الدبلوماسي

السنة التاسعة والعشرون - العدد 294 - 295
أغسطس - سبتمبر 2020 الثمن 10 جنيهات

ملحمة القناة الجديدة.. فخر للمصريين والانسانية

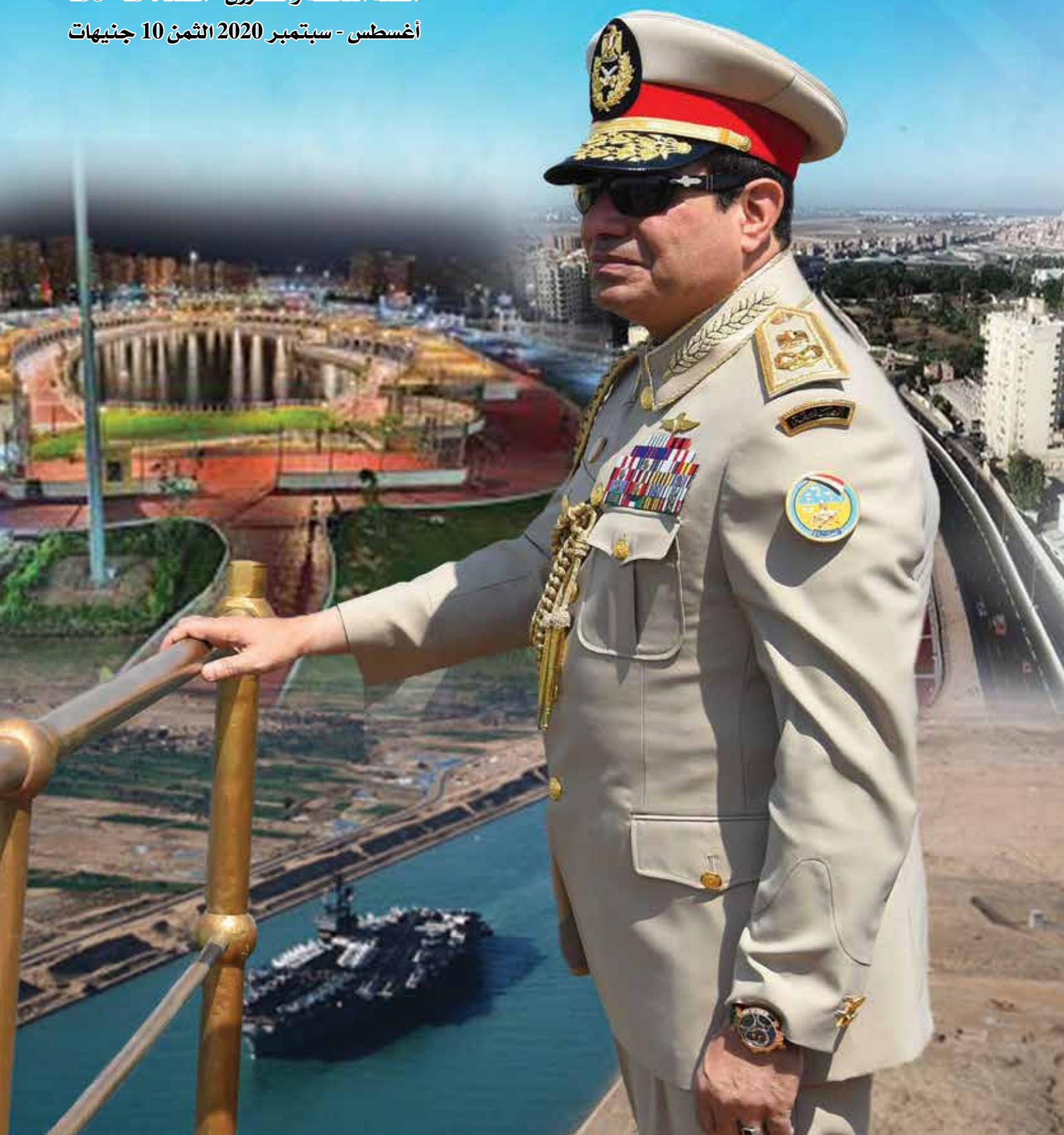

موبايلك بيطلع فلوس
مع خـدمـة BM Wallet

تتيح هذه الخدمة استخدام الهاتف المحمول في:

- استقبال وتحويل الأموال من محفظة بنك مصر لأي محفظة أخرى في مصر مجاناً
- السـحب والإيداع في المحفظة من خـلال أكثر من 8000 ماكينة صـراف آلي على مستوى الجمهورية مجاناً أو أكثر من 90,000 منفذ من منافذ شركة فوري
- دفع التبرعات وسداد فواتير الكهرباء والمياه والغاز
- شحن محفظة الهاتف المحمول لعملاء البنك عن طريق ربط بطاقات بنك مصـر (الخصم المباشر، الائتمانية، والمدفوعة مقدماً) ذاتياً من خلال التطبيق
- إمكانية شـحن رصـيد الموبايل، ودفع فواتير الإنترنت والموبايل والهاتف الأرضـي
- إمكانية الشراء عن طريق خاصية الـ QR Code

مش محتاج تروح الفرع

دلوقتي ولأول مرة في مصر

تقدر تحمّل وتفعّل محفظة بنك مصر BM Wallet
بنفسك من غير أي مصاريف أو مشاوير

BM WALLET

يمكنك الآن تحميـل تطبيق
محفظة بنك مصر

Download on the App Store

GET IT ON Google Play

meeza ميزة

*تطبق الشروط والأحكام

بنك مصر
BANQUE MISR
نعمل معاً لخير بلدنا

BM 19888 Phone

www.banquemisr.com

فى هذا العدد

ملحمة القناة الجديدة.. فخر للمصريين والانسانية.... بقلم السفير رضا الطايفى	2
الحقيبة الدبلوماسية	4
تحديات الزمن والحركة ..... سفير جمال الدين البيومى	10
بصمة الحضارة المصرية فى العالم (2) .... د. مهندس هانئ محمود النقراشى	14
حروب الذاكرة الجديدة فى أوروبا والدور الروسى فى الحرب العالمية الثانية..... سفير د. عزت سعد	16
لبنان ألى أين ؟ ..... سفير د. صلاح حليمة	20
إسرائيل والاختلاف على المسروق ..... سفير رخا أحمد حسن	22
العام المصرى الجديد 6262 «مفهوم الزمن عند قدماء المصريين» ... سفير عبدالفتاح عزالدين	24
عظمة مصر بالمهجر (2) ..... سفير د. سامح أبو العينين	28
الدبلوماسية والقانون ..... رجائى عطية	31
العقيدة النووية الصينية والحرب الباردة ... سفير د. يوسف الشرقاوى	32
الاشتراكية العربية لجمال عبدالناصر ..... سفير د. وليد محمود عبد الناصر	37
الزعيم الذى لا تغرب عنه الشمس ..... د. هشام عبدالملك	40
فى الذكرى الـ 75 لاعتماد ميثاق الأمم المتحدة: ..... هادية الشربينى	44
دور منظمات المجتمع المدنى فى التنمية المستدامة فى مصر ..... سفير عزت البحيرى	46
أزمة الصواريخ الكوبية ..... سكرتير ثان شريف فايد	48
قناة السويس .. نبض مصر ..... عادل عبدالصمد	50
المستشرقون ومعاداة الإسلام (2) ..... سفير د. محمد نعمان جلال	52
جريمة ضد الإنسانية..... سفير محمد عبدالمنعم الشاذلى	57
ذكريات دامية.. قائمة فى صداها ..... سفير فخرى عثمان	58
رابطة زوجات الدبلوماسيين المصريين... تقدمها ناديه الريس	60
منظمة الإيجاد الإفريقية ..... مصر الأمل والعدل والعمل النبيل .. سفير أحمد زين	62
مخطط الضم الإسرائيلى: القنص فى الفراغ... ميسا جيوسى	64
لماذا رفضت أوكرانيا تسليم الإرهابى المصرى؟ ... سفير أسامة توفيق بدر	66
كان ياما كان. نور وانطفأ..... «قصة» ..... سفيرة د. عبير بسيونى رضوان	67
الإرهاب السيبرانى وخطورته على الأمن القومى المصرى..... ملحق دبلوماسى محمد كامل	68
أمن مصر المائى فى ضوء أزمة «سد النهضة» الإثيوبى..... ملحق دبلوماسى هانى حلمى	70
مسيرة صديقى ..... سفير د. هادى التونسى	72
حكايات وطرائف دبلوماسية من الماضى .... سفير يسرى القويضى	73
الصراع الإقليمى على الغاز الطبيعى ..... ملحق دبلوماسى أحمد جمال	74
الذكاء الأصطناعى ..... ملحق دبلوماسى ملك القصراوى	76
تأملات ..... سفير أشرف عقل	77
ناس فى الظل.. ليحيى حقى ..... سوسن رحمى	78
أهمية الثقافة فى أدب الناشئة 3/4 ..... د. يوسف نوفل	79
الإحساس بالقرب من الله ..... سفير د فتحى مرعى	80

الدبلوماسى

مجلة شهرية منوعة
تصدر منذ مارس 1992 عن
النادى الدبلوماسى المصرى

أسسها السفير مصطفى العيسوى

رئيس مجلس إدارة النادى الدبلوماسى
سفير أبوبكر حفنى محمود

رئيس التحرير
سفير رضا الطايفى

المستشار القانونى
رجائى عطية

مستشار التحرير
عادل عبد الصمد

المستشار الفنى
جمال عبد النبى

سكرتير تحرير تنفيذى
شادى غالى

أسرة تحرير العدد

سفير أشرف عقل
سفير د. يوسف الشرقاوى
سكرتير أول أحمد أبو المجد
سكرتير ثان هند منذر

توجه المراسلات إلى رئيس تحرير
مجلة «الدبلوماسى»:
مبنى وزارة الخارجية المصرية
ماسبيرو الدور 28 - غرفة 2820
تليفاكس 27735457 +202

gmail.com@diplomatmagazine92

جميع الآراء الواردة بالمقالات تعبر عن أصحابها
دون أدنى مسئولية على المجلة، والخرائط المنشورة
توضيحية إلا إذا ذكر غير ذلك

ملحمة القناة الجديدة.. فخر للمصريين والانسانية

رئيس التحرير
السفير رضا الطايفى
taifyreda@yahoo.com

فى البدء كانت مصر.. كانت ومازالت حديقة غنّاء... حديقة هى وعاء للتجارب الإنسانية منذ فجر التاريخ.. حديقة هى منصة إطلاق للمستقبل وليست أريكة للاسترخاء على الماضى.. حديقة تضيء المساحات المظلمة فى العقل الجمعى بخصوص الحضارة المصرية القديمة.. حديقة مازالت ثمارها يانعة حتى الآن. قالت عنها كارين شوبارت عمدة برلين يوماً: كيف كان سيكون شكل العالم الآن لو لم تكن الحضارة المصرية القديمة؟ حديقة غناء... زهرة قانون الأخلاق، زهرة العدالة، زهرة العلوم، زهرة الدين، زهرة الطب والدواء، زهرة اللوتس المقدسة والتى فيها سرّ النقاء.. والصفاء.

لا أهدى هذه الحديقة.. ولكنى أدعو الكل لزيارتها والبقاء فيها، فمن رآها وقع فى هواها، وآمن بها وافتداها، وسبحان الذى خلقها وجمّلها وسوّاها! مصر هدية الله للعالم كله.. أجمل رمانة فى أعدل ميزان.. وعمار يا مصر.

* هذه هى مصر فى عيون د. وسيم السيسى فى مستهل كتابه القيم «فى البدء كانت مصر». مصر بلد العطاء والنماء والبهاء.. مصر التى بدأت تسترد عافيتها وعنفوانها برغم كل ما يواجهها من تحديات وما يحدق بها من مخاطر وصلت إلى حد تهديد مياه النيل شريان حياة مصر وكل المصريين.. مصر بدأت تستعيد نهضتها وتستعيد رونقها بمشروعات تنموية عملاقة تشهد مع كل طلعة شمس أنها بلد البنائين العظام أحفاد بناة الأهرامات الذين نجحوا فى عام واحد بالتمام والكمال أن يطوعوا الصخور ويزيحوا ركام الهضاب والرمال ليشقوا قناة السويس الجديدة، المشروع الذى قام بعملية تنفيذه بكل إصرار واقتدار فريق عمل وطنى تحت قيادة الفريق مهاب مميش رئيس هيئة قناة السويس السابق الذى واصل الليل بالنهار من أجل اختصار مدة إتمام المشروع لتكون عاماً واحداً بدلاً من ثلاثة أعوام حسبما كان مقدراً ومقرراً.

* هذا المشروع القومى الذى جسّد الإرادة التى لا تلين والتلاحم الشعبى فى أروع صورة، الذى افتتح فى السادس من أغسطس 2015 والذى يواكب هذا العام الذكرى الخامسة لافتتاحه.

* حيث شهد الفريق أسامة ربيع رئيس هيئة قناة السويس احتفالية الهيئة بهذه المناسبة مؤكداً فى كلمته أن الجدوى الفنية والاقتصادية لمشروع قناة السويس الجديدة لم تتوقف عند كونه أحد مشروعات التطوير فحسب، بل كانت نقطة الانطلاق الحقيقية نحو تبنى إستراتيجية تنموية متكاملة لتطوير المجرى الملاحى للقناة والحفاظ على مكانتها الرائدة رغم التحديات العالمية المختلفة.

معرباً عن فخره بما قدمه مشروع القناة الجديدة على مدار الخمس سنوات الماضية، حيث كان له بالغ الأثر فى زيادة أعداد وحمولات السفن العابرة للقناة التى بلغت منذ الافتتاح عبور 90 ألف سفينة بحمولة صافية 5.5 مليار طن، بإجمالى إيرادات قدرها 27.2 مليار دولار.

هذا فضلاً عن الدور المحورى الذى لعبته القناة الجديدة فى رفع تصنيف قناة السويس وزيادة قدرتها على مواجهة تحديات المنافسة. إضافة إلى الدور المجتمعى للهيئة بمنطقة قناة السويس ممثلاً فى افتتاح أكبر وأحدث مركز طبى للقلب والقسطرة بالشرق الأوسط لخدمة أبناء مدن القناة، وتشييد استاد القناة الدولى وهو بمثابة قرية أوليمبية مصغرة، هذا علاوة على رفع كفاءة وترميم أول مقر إدارى لقناة السويس ليكون بمثابة متحف عالمى يسرد تاريخ القناة ويوثق مراحل مهمة لتطوير الممر الملاحى الأهم عالمياً ليكون هذا المتحف مزاراً ومقصداً سياحياً يمثل أهم الصروح المضيئة فى تاريخ وحاضر ومستقبل القناة.

* من المتوقع أن يضم المتحف المنتظر بانوراما تحكى قصة القناة التى ترتبط بتاريخ مصر - وجناحاً يجسد قصة ووقائع حفر القناة - وجناحاً لمشاهد الافتتاح الأسطورى للقناة - وجناحاً ثالثاً يستعرض ملابسات ووقائع وتبعات إعلان قرار تأميم القناة، ووقائع إغلاقها وإعادة افتتاحها - وجناحاً رابعاً حول مشروع تنمية محور قناة السويس وحفر وافتتاح قناة السويس الجديدة. وأملى أن يلحق بهذا المتحف مكتبة تضم كل وثائق القناة وكل ما نشر عنها محلياً ودولياً لتكون مرجعاً رسمياً للباحثين والدارسين وتوثيقاً لملحمة القناة التى تمثل فخراً ليس فقط للمصريين ولكن للإنسانية جمعاء التى تستفيد من هذا الممر الإستراتيجى المصرى الموقع، العالمى الأثر والتأثير.

* من الجدير بالذكر أن مشروع شق قناة جديدة كان بمثابة إحدى الركائز الرئيسية للمشروع القومى

الذى كان الرئيس عبد الفتاح السيسى قد أعلن عنه ودشنه يوم 5 / 8 / 2014 وهو مشروع تنمية محور قناة السويس الذى تضمن أيضاً إنشاء مدينة صناعية عالمية على ضفاف القناة - إنشاء مدينة الإسماعيلية الجديدة - استكمال إنشاء وتجهيز وادى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات - إنشاء سبعة أنفاق تحت مياه القناة تربط سيناء بالوطن الأم من خلال الإسماعيلية وبورسعيد - تحسين وتطوير خمسة موانىء قائمة بالمنطقة، وذلك بهدف أن تمثل هذه المشروعات قيمة مضافة إلى قناة السويس وتحويلها من مجرد معبر مائى للسفن والبضائع إلى مقر لتوطين التكنولوجيا الحديثة ومركز اقتصادى وصناعى وتجارى عالمى ويكون بمثابة Hub إقليمى للتجارة بين دول المنطقة العربية والشرق الأوسط وإفريقيا فضلاً عن دوره كمرفأ للخدمات اللوجيستية وخدمات الشحن والتفريغ، بما يُضيف ويُضفى أهمية جيوإستراتيجية لقناة السويس ويزيد من قدراتها وصلاحياتها التنافسية. ولقد بدأت هذه الخطة الطموحة ذات الأهداف التنموية الإستراتيجية المستدامة تأتى بثمارها بجذب المزيد من الاستثمارات الأجنبية المباشرة والبدء فى إقامة مدن صناعية متخصصة industrial parks واختصار مدة العبور فى اتجاهين وغيرها من النتائج والإنجازات التى بدأت تأتى تباعاً برغم حالة الركود التى ضربت ومازالت الاقتصاد العالمى نتيجة جائحة كوفيد19، هذا الفيروس الغامض الذى يمثل لغزاً وعلامة استفهام محيرة. والذى يأمل الجميع فى التغلب عليه قبل نهاية هذا العام من خلال اكتشاف وتصنيع المصل للوقاية منه والدواء المناسب لمواجهته.

* ولعل مشروع الحزام والطريق (حزام واحد وطريق واحد) الذى تهدف الصين من خلاله إلى إحياء طريق الحرير القديم، وإشباع طموحاتها الاقتصادية على المستوى الدولى، الذى يمثل أحد أكبر مشاريع البنية التحتية والاستثمارية فى التاريخ، المنتظر أن يمر بثمانية وستين دولة تضم حوالى خمسة وستين فى المائة من سكان العالم فى آسيا وأوروبا وإفريقيا وتمتلك حوالى سبعين فى المائة من الناتج المحلى على مستوى العالم، لعل هذا المشروع العملاق يمثل قيمة مضافة جديدة لقناة السويس، حيث تعد قناة السويس إحدى المحطات الرئيسية للطريق البحرى لمبادرة الحزام والطريق والذى يرتكز فى الأساس على ربط قارات آسيا وإفريقيا وأوروبا والذى يبدأ رحلته من بحر الصين الجنوبى وصولاً إلى المحيط الهندى وباب المندب ثم مروراً من قناة السويس.

* ولعله من الملفت للنظر والجدير بالذكر، ومما يدعو للفخر والاطمئنان، أن يتزامن احتفالنا هذا العام بالذكرى الخامسة لافتتاح القناة الجديدة بكل ما يعنيه هذا المشروع من دلالات تنموية وإستراتيجية، مع المراسم المتوالية لافتتاح العديد من المشروعات التنموية الكبرى فى كافة المجالات والقطاعات الصناعية والزراعية والبنى التحتية فى مختلف محافظات ومدن دلتا وصعيد مصر بشكل متوازن استفادة من المزايا النسبية لكل موقع، فضلاً عن مشروعات الرقمنة والتحديث وإنشاء المدن الذكية والمشروعات العمرانية الحديثة كتلك التى نراها فى العاصمة الإدارية الجديدة ومدينة العلمين الجديدة والجلالة على سبيل المثال. هذا مع الاهتمام بنفس القدر ببناء وتطوير قدراتنا الدفاعية براً وبحراً وجواً بما يمثل قوة ردع هائلة لكل من تسّول له نفسه محاولة الاقتراب من حدودنا أو التعدى على حقوقنا، فلقد انطلقت عجلة التنمية نحو المستقبل المنشود ولا مجال لعودة عقارب الساعة إلى الوراء.

ختاماً:

فإن ما سبق من تقديرات قد تبدو لدى البعض متفائلة وقد تبدو لدى البعض الآخر إفراطاً فى التفاؤل، لأنها فى جزء كبير منها ستظل مرهونة سلباً أو إيجاباً بتطورات الوضع الدولى المعقد والوضع الإقليمى الملبّد بالغيوم وكذا حركة التجارة العالمية التى نالت منها كثيراً جائحة كورونا. وإن كان الأمل كبيراً أن يتعافى عالمنا من تبعات هذا الوباء المخيف، وتعود الحياة والأنشطة العادية إلى طبيعتها حتى تصبح «كل الأمانى ممكنة».

حقيبة الوزير

تضمنت حقيبة السيد سامح شكرى وزير الخارجية نشاطا مكثفا منه:

خلال اتصال هاتفى ... الوزير شكرى ونظيره الألمانى يبحثان آخر تطورات الملف الليبى والقضية الفلسطينية

أجرى وزير الخارجية سامح شكرى، اتصالاً هاتفياً مع نظيره الألمانى «هايكو ماس»، حيث تركز الاتصال على التباحُث بشأن آخر التطورات الخاصة بالملف الليبى، والأوضاع على صعيد القضية الفلسطينية.

وفى تصريح للمُتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية أحمد حافظ، ذكر أن الاتصال تناول الترحيب بالبيانين الصادرين عن المجلس الرئاسى ومجلس النواب مؤخراً لوقف إطلاق النار والعمليات العسكرية فى كافة الأراضى الليبية، حيث تم التأكيد على أهمية الاستفادة من تلك الخطوة المهمة للتوصل إلى تسوية سياسية شاملة للأزمة تستهدف استعادة الأمن والاستقرار، وتُسهم فى محاربة التنظيمات الإرهابية والتصدى بحزم للتدخلات الأجنبية الهدّامة فى ليبيا، وتحقق طموحات الشعب الليبى وتحفظ مقدراته.

كما تناول الاتصال تطورات القضية الفلسطينية، حيث أكد الوزير شكرى على أهمية البناء على آخر التطورات من أجل الحفاظ على حل الدولتين والعمل قدماً نحو تعزيز فرص تحقيق السلام العادل والأمن المنشود، وفى إطار استعادة الحقوق الفلسطينية المشروعة وفقاً لمقررات الشرعية الدولية ذات الصلة.

خلال اتصال هاتفى، شكرى يبحث عدداً من ملفات المنطقة مع نظيره الفرنسى

فى إطار التواصل والتنسيق المشترك بين كل من مصر وفرنسا، أجرى سامح شكرى وزير الخارجية، اتصالاً هاتفياً بوزير خارجية فرنسا «جان إيف لودريان»، وذلك للتباحُث حول عدد من الملفات الإقليمية شملت التطورات الأخيرة على كل من الساحة الليبية والقضية الفلسطينية، وكذا الأوضاع فى لبنان.

وصرح أحمد حافظ، المُتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، بأن الوزيرين تشاورا حول آخر تطورات القضية الفلسطينية، حيث تم التأكيد على ضرورة الحفاظ على مبدأ حل الدولتين، فضلاً عن مواصلة دعم المساعى الرامية إلى تحقيق السلام الشامل والعادل للقضية الفلسطينية وفقاً لقرارات الشرعية الدولية بما يضمن تحقيق السلام والاستقرار والأمن فى المنطقة بأكملها.

كما ذكر المُتحدث الرسمى أن الاتصال تناول أيضاً آخر المستجدات فى الملف الليبى، حيث رحبّا بالبيانين الصادرين عن المجلس الرئاسى ومجلس النواب لوقف إطلاق النار والعمليات العسكرية فى كافة الأراضى الليبية باعتبار ذلك خطوة مهمة على طريق تحقيق التسوية السياسية وطموحات الشعب الليبى فى استعادة الاستقرار والأمن وحفظ ثرواته، مع الإسهام فى المواجهة الحازمة للجماعات الإرهابية والتدخلات الخارجية التى تسعى لتأجيج الأوضاع.

هذا، وأكد حافظ أن الوزيرين تناولا كذلك تطورات الموقف على صعيد الوضع فى لبنان وسُبل المساهمة فى إخراج البلاد من الظرف الراهن بغية تأمين مستقبل لبنان للبنانيين، حيث أكد الوزير شكرى دعم مصر لإرادة الشعب اللبنانى الشقيق فضلاً عن المساعدة فى تلبية احتياجاته. كما تطرق الوزيران إلى أهمية التعاون الوثيق بين مصر وفرنسا للوقوف إلى جانب الشعب اللبنانى فى المرحلة القادمة بكافة السبل الممكنة دفعاً لأولويات لبنان ومصالح شعبه.

استقبل الرئيس اللبنانى العماد ميشال عون، سامح شكري بقصر بعبدا فى العاصمة اللبنانية بيروت

قام وزير الخارجية بزيارة إلى العاصمة اللبنانية بيروت، التقى خلالها بكبار المسئولين والقادة اللبنانيين.

وكان فى استقبال وزير الخارجية بمطار رفيق الحريرى الدولى (مطار بيروت) سفير مصر لدى لبنان، الدكتور ياسر علوى، وقنصل مصر العام فى لبنان أحمد إمام، وكافة أعضاء البعثة الدبلوماسية المصرية.

ورافق وزير الخارجية وفد ضم السفير/ نزيه النجارى، والسفير/ طارق الطايل، إلى جانب المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، أحمد حافظ.

واستهل وزير الخارجية لقاءاته مع الرئيس اللبناني/ ميشال عون، ثم أجرى زيارة تفقدية إلى المركز الطبى الاستشفائى المصرى (المستشفى المصري) فى بيروت، وأعقب ذلك لقاء مع رئيس مجلس النواب نبيه برى، ولقاء آخر مع الزعيم السياسى الدرزي/ وليد جنبلاط رئيس الحزب التقدمى الاشتراكى.

وعقد سامح شكرى مجموعة من اللقاءات بكبار السياسيين وقادة الأحزاب والتيارات السياسية فى لبنان بمقر إقامته، واختتم لقاءاته باجتماع مع رئيس الحكومة السابق زعيم «تيار المستقبل»، سعد الحريرى، ورؤساء الحكومات السابقين، أعقبه مؤتمر صحفى قبيل مغادرته بيروت.

زيارة سامح شكرى إلى رام الله

قام وزير الخارجية سامح شكرى بزيارة إلى رام الله حيث التقى بالرئيس الفلسطينى محمود عباس فى لقاء منفرد انضم إليه أعضاء وفدى الجانبين، ثم استضاف الرئيس الفلسطينى السيد الوزير والوفد المرافق له على مائدة غداء، حيث تم استكمال المباحثات المُفصّلة بشأن القضية الفلسطينية وسبل الحفاظ على حقوق الشعب الفلسطينى.

ونقل شكرى تحيّات السيد رئيس الجمهورية «عبدالفتاح السيسي» إلى الرئيس الفلسطينى محمود عباس، وعَبّر عن دعم مصر للقضية الفلسطينية ولحقوق الشعب الفلسطينى وعلى رأسها حقه فى تقرير مصيره وإقامة دولته المستقلة ذات السيادة على حدود عام 1967 وعاصمتها القدس الشرقية، ورفض مصر أى قرارات أو خطوات أحادية بما فيها ضم إسرائيل لأراض فلسطينية فى الضفة الغربية.

وبحث الوزير سامح شكرى خلال زيارته إلى رام الله الخطوات والأساليب المتاحة لكى يكون ممكناً الحديث عن استئناف جهود السلام على أساس حل الدولتين والمرجعيات الدولية المعروفة والمبادرة العربية للسلام.

توقيع اتفاق حول تعيين المنطقة الاقتصادية الخالصة بين جمهورية مصر العربية وجمهورية اليونان

إعلان وزير الخارجية سامح شكرى، التوقيع على اتفاقية ترسيم الحدود البحرية مع اليونان، لم يكن مفاجأة، بل جاء بعد العديد من المشاورات بين البلدين فى هذا الصدد خلال السنوات الماضية، وتكلل بتوقيع الاتفاق بين القاهرة وأثينا.

وقال وزير الخارجية اليونانى الذى زار القاهرة للتوقيع على الاتفاقية مع نظيره شكرى، إن هناك تواصلًا تامًا ومستمرًا بين البلدين على أعلى مستوى .

واعتبر الوزير اليونانى أن الاتفاقية التى وقعت أواخر العام الماضى بين تركيا وحكومة طرابلس لترسيم الحدود البحرية ليست قانونية . وأضاف: سنواجه جميع التحديات فى المنطقة بالتعاون مع مصر .

وتأتى هذه الاتفاقية وسط توترات تشهدها المنطقة، إثر التدخّل التركى السافر فى ليبيا وتوقيع رجب طيب أردوغان اتفاقية ترسيم حدود مع رئيس حكومة الوفاق الليبية فايز السرّاج.

السفير د. السيد أمين شلبى وجائزة الدولة

حصل السفير د. السيد أمين شلبى على جائزة الدولة التقديرية فى مجال العلوم الاجتماعية.

خبر صحفي

استقبل السفير / حمدى سند لوزا نائب وزير الخارجية للشئون الإفريقية، سفراء الدول الأوروبية المعتمدين فى القاهرة وذلك لإطلاعهم على آخر المستجدات اتصالاً بمسار المفاوضات الجارية حول سد النهضة تحت رعاية الاتحاد الإفريقى، حيث أكد على حرص مصر على التفاوض بهدف التوصل إلى اتفاق عادل ومتوازن حول ملء وتشغيل سد النهضة يحفظ حقوقها ومصالحها المائية ويراعى مصالح الدول الثلاث.

وقد صرح السفير / حمدى سند لوزا عقب الاجتماع بأنه أوضح للسفراء أن اهتمام مصر بإحاطة السفراء الأوروبيين بتطورات المفاوضات ينبع من حرصها على إطلاع المجتمع الدولى على آخر مستجدات التفاوض حول هذا الملف الحيوى، وكذلك من منطلق العلاقات الإستراتيجية التى تربط الاتحاد الأوروبى بأطراف التفاوض الثلاثة.

إعلان

تعلن مجلة الدبلوماسى عن تلقى عروض مندوبى إعلان لمجلة الدبلوماسى لاختيار الانسب للمجلة.

نشـــاط السفـــارات

ألبانيا

اســـتقبل الرئيس الألباني «ايلير ميتا» السفير/ محمد خليل، سفير جمهورية مصر العربية لدى ألبانيا، وذلك فى إطار التوديع بمناسبة انتهاء مهام عمله بألبانيا. وقد أعرب الرئيس الألبانى خلال اللقاء عـــن خالص تقديره للدفعة القوية التى شـــهدتها العلاقات الثنائية بين البلدين، وكذلك سعادته بالزيارة الرسمية التى قام بها إلى مصر خلال العام الماضى ولقائه خلال الزيارة بالسيد رئيس الجمهورية وكل من رئيس الوزراء ورئيس مجلس النواب.

وقد قـــام الرئيس الألبانى خلال اللقاء بتجديد الدعوة للســـيد الرئيس « «عبدالفتاح السيســـي»» لزيارة ألبانيا. كما وجه الدعوة للشركات المصرية للاســـتثمار فى ألبانيا باعتبارها بوابة الدخول للأســـواق الاقتصادية لدول غرب البلقان. وفـــى نهاية اللقاء، قدّم الرئيس الألبانى الشـــكر للســـفير المصرى على دوره فى تعزيز العلاقات الثنائية والتعاون بين البلدين.

الفاتيكان

منحت الفاتيكان سفير جمهورية مصر العربية لدى الكرسى الرسولي/ محمود سامى وساماً بدرجة فارس، وذلك تقديراً للجهود المبذولة خلال فترة رئاســـته للبعثة منذ عام ٢٠١٧، وإسهامه فى تعزيز العلاقات بين الجانبين ومشـــاركته فـــى دعم الحوار بين الأديان، وكذا تثميناً للعلاقات المتميزة بين مصر والفاتيكان.

ويُعـــد هذا التكريم تقديـــراً من الفاتيـــكان للعلاقات الودية والمستقرة التى تحتفظ بها مع مصر، خاصة فى ظل ما تميزت به العلاقات الثنائية بين الجانبين خلال الفترة الماضية من تطور شهد عدداً من الزيارات الرســـمية المتبادلة لكبار المسئولين بالبلدين، فضلاً عن الزيارات المتعددة لفضيلة شيخ الأزهر الشريف ووفود من المؤسسات الدينية المصرية والفاتيكانية.

ماليزيا

التقى الســـفير/ جمال عبد الرحيم متولى، ســـفير مصر لدى ماليزيا، بوزير الشـــئون الإســـلامية الماليزى د.ذو الكفل محمد البكرى، وذلك يوم ١٣ أغســـطس الماضى بمقر وزارة الشـــئون الإســـلامية بماليزيا. أكد السفير متولى على تميز العلاقات الثنائية بين البلدين والـــدور المهم الذى يلعبه الأزهر الشـــريف فى دعم أواصر التعاون بين مصر وماليزيـــا، مُثنياً على الدور المهم الذى تلعبـــه المنظمة العالمية لرابطة خريجى الأزهر الشـــريف - فرع ماليزيا، وموضحاً حرص مصر على استمرار تواصلها مع خريجى الأزهر الشريف من مختلف دول العالم.

من جانبه، أشـــاد وزير الشئون الإســـلامية الماليزى بالدور المهم الذى يلعبه مبعوثو الأزهر فى ماليزيا، معرباً عن تقدير قادة بلاده من جلالة ملك ماليزيا ورئيس وزرائها لدور مؤسسة الأزهر الشريف وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر د. أحمد الطيب فى خدمة الدين الإسلامى والأمة الإسلامية؛ وأشار إلى قرارهما بمنح فضيلته جائزة الشخصية الإســـلامية الأولى لعام 1442هـ/2020م وهى الجائزة السنوية التى يتم منحها للشخصيات المرموقة دولياً التى تلعب دوراً بارزاً فى خدمة الإسلام والمسلمين.

كابول

التقى هانى صلاح سفير مصر فى كابول بوزير الحج والشئون الدينية الأفغانى محمد قاسم حليمى، حيث تناول اللقاء بحث سبل تعزيز التعاون الثنائى بين البلدين فى مجالات الدعوة الإســـلامية والتعليم الأزهرى ونشـــر الفكر الإســـلامى الوســـطى المستنير، والتأكيد على ضرورة مواجهـــة التحريض على العنف والكراهية، ومكافحة الفكر المتطرف الذى يتنافى مع تعاليم الدين الإسلامى الصحيحة. كما قدم الســـفير المصرى التهنئة للمسئول الأفغانى على توليه المنصب فى التشكيل الوزارى الجديد.

مـــن جانبه، أعرب الوزير/ حليمى عـــن اعتزازه بتخرجه من الأزهر الشـــريف كمنارة للفكر الوســـطى والتســـامح فى العالم الإســـلامى، موضحاً حـــرص بلاده على تطويـــر التعاون مع كل من الأزهر الشـــريف ووزارة الأوقاف فى مجال الدعوة الإسلامية ومكافحة الفكر المتطرف، مشـــيداً بالجهود التى يقوم بها الأزهر الشريف فى أفغانستان من خلال المعهد الأزهرى فى كابول وكذلك من خلال المنح السنوية التى تقدمها مصر للطلاب الأفغان للدراسة فى جامعة الأزهر والمعاهد الأزهرية بمصر.

بلجراد

نظمت سفارة مصر فى بلجراد حفلاً مرئياً عبر الإنترنت للإعلان عن جائزتى أفضل مقال سفر عن مصر فى حضرة خمسون من ممثلى كبريات وسائل الإعلام والأكاديميين والوزارات المعنية بالسياحة والتعليم والشباب.

وعبر سفير مصر فى بلجراد «عمرو الجويلي» عن التقدير «لمؤسسة بيليانا بوسنتش أوجنينوفتش» التى تحمل اسم الإعلامية الصربية التى عشقت مصر، وكتبت عنها العديد من التقارير السياحية، لتخصيص المسابقة الأولى التى تنظمها المؤسسة للمقالات الخاصة بمصر، فى شريحتى شباب الإعلاميين التى فازت بها السيدة ألكسندرا ميكاتا من جانب، والطلبة الدارسين للإعلام فى سن 17 إلى 23 عاماً التى فاز بها «ميلوس تودوروفيتش» من جانب آخر. وأعلن «الجويلى» عن الجائزتين المقدمتين من الهيئة العامة للتنشيط السياحى برئاسة المهندس أحمد يوسف، المتمثلة فى زيارة لمصر لمدة أسبوع، مثمناً قيام الفائزين باختيار عنوان «مصر بعيون صربيا». ودعا الفائزين لتطوير المقالين إلى مدونتين بعد زيارتهما المقررة لمصر، مبرزاً دور شباب الكتاب فى تقديم الحضارة المصرية القديمة والمعاصرة، ليس فقط من خلال المقالات المطبوعة، لكن أيضاً عبر الإعلام الاجتماعى الذى يخاطب شريحة واسعة من الشباب بشكل خاص، والمجتمع بشكل عام.

كانبرا

فى إطار الأنشطة الثقافية التى تقوم بها سفارة جمهورية مصر العربية فى كانبرا، وفى إطار حرص البعثة على التواصل مع مختلف الفئات والشرائح العمرية بالمجتمع الأسترالى، تم ترتيب زيارة لمجموعة من طلبة الشئون الدولية وشئون الشرق الأوسط بجامعة أستراليا الوطنية إلى مقر البعثة المصرية. واستعرض السفير المصرى فى أستراليا محمود زايد طبيعة عمل البعثات الدبلوماسية ودورها فى تنمية مختلف مجالات التعاون بين الدول، مستعرضًا الأوجه المتعددة للعلاقات الثنائية المصرية / الأسترالية.

كما تم اصطحاب الطلبة إلى المعرض المُقام بمقر البعثة، والذى يحتوى على غرف منفصلة تحكى كل منها جزءاً من تاريخ مصر (الفرعونى / القبطى / الإسلامي / مصر الحديثة)، حيث تم تقديم شرح عن تاريخ مصر وحضارتها.

غينيا

استقبل الدكتور / إبراهيما كاسورى فوفانا، رئيس وزراء جمهورية غينيا، سفير جمهورية مصر العربية فى كوناكري / تامر كمال المليجى، وذلك لبحث آفاق التعاون المشترك بين البلدين.

وقد أكد السفير / المليجى على اهتمام مصر بتنمية وتعزيز التعاون مع غينيا فى المجالات المختلفة ومنها المجال الاقتصادى والتجارى، مستعرضاً خبرات الشركات المصرية الكبيرة فى شتى المجالات وعلى رأسها مجال البناء والتشييد والبنية التحتية ومحطات توليد الطاقة الكهربائية، حيث وعد رئيس الوزراء الغينى بالعمل على تذليل كافة العقبات أمام الشركات المصرية للنفاذ للسوق الغينى لما تتمتع به تلك الشركات من خبرة كبيرة وسمعة متميزة على مستوى القارة الإفريقية.

ومن جانبه، أعرب رئيس الوزراء الغينى عن تقدير بلاده الشديد للدور التاريخى الذى قامت ومازالت تقوم به مصر فى دعم ومساندة أشقائها فى غينيا وفى القارة الإفريقية.

سحب قرعة بطولة كأس العالم لكرة اليد في مصر

استقبل سفير مصر في بلجراد «عمرو الجويلى» الصحفي الصربي «زيفوتا بوجدانوفتش» المتخصص في مجال رياضة كرة اليد، حيث يقوم بإدارة موقعين على شبكة الانترنت أحدهما باللغة الإنجليزية «هاندبول بلانت Handball-Planet.com » والثانى باللغة الصربية « هاندبول بلقان Handball-Balkan.com.

نوه سفير مصر لدى صربيا الاهتمام الذى تحظى به الرياضة كأحد مجالات التعاون لتبادل الخبرات، مبرزاً قوة الدفع التي تحققت بتوقيع مذكرة تفاهم مشتركة البلدين في مجال الشباب والرياضة في نوفمبر 2018. وأضاف «الجويلى» أن زيارة وفد اتحاد كرة اليد برئاسة الدكتور هشام نصر إلى بلجراد في ديسمبر الماضى مثلت فرصة لتقديم النموذج المصرى الرائد في هذا المجال إضافة إلى صقل قدرات الفريق القومى باعتباره من أقوى الفرق عالمياً.

من جانبه عبر الصحفى الصربى، قبل ان يغادر إلى القاهرة، عن سعادته لحضور قرعة سحب بطولة كأس العالم لكرة اليد المقرر عقدها في مصر في بداية 2021 بدعوة من اتحاد كرة اليد، مثنياً على قدرات مصر باعتبارها إحدى الدول القليلة التي لديها بنية تحتية متطورة، وأن الزيارة ستكون فرصة لزيارة المنشآت المخصصة للبطولة في كل من القاهرة والإسكندرية والعاصمة الإدارية.

نيوزيلندا

التقت السفيرة/ دينا الصيحى سفيرة مصر لدى نيوزيلندا بالسيد Winston Roberts مستشار العلاقات الخارجية للمكتبة الوطنية النيوزيلندية، وذلك لبحث سبل تعزيز التعاون بين المكتبة الوطنية وكل من دار الكتب والوثائق القومية ومكتبة الإسكندرية، حيث تم الاتفاق على تبادل المواد الثقافية الرقمية بين البلدين وترتيب لقاءات عبر تقنية الفيديو كونفرانس لنقل وتبادل الخبرات فيما يخص معالجة المخطوطات الأثرية والأرشفة الرقمية للكتب والوثائق التاريخية.

ياوندى

إلتقى سفير جمهورية مصر العربية فى ياوندى «مدحت كمال المليجي» وزير الخارجية الكاميرونى Lejeune Mbella Mbel-la وذلك لبحث سبل تعزيز التعاون المشترك بين البلديّن الشقيقين فى مختلف المجالات. هذا، وقد أكد وزير الخارجية الكاميرونى إعتزاز بلاده بالعلاقات التاريخية والمتميزة التى تربط الدولتيّن، مشيداً بالدور الريادى للسيد الرئيس عبدالفتاح السيسى خلال رئاسة سيادته للإتحاد الأفريقى، وتركيز سيادته على سبل تنمية القارة الأفريقية، ومكافحة الفساد، وحل النزاعات الأفريقية.

بوروندى

قامت السفيرة د. عبير بسيونى رضوان، سفيرة جمهورية مصر العربية لدى بوروندى بمقر القصر الرئاسى الجديد بتسجيل كلمة مواساة وعزاء مصر بدفتر العزاء فى وفاة السيد/ بيير نكرونزيزا رئيس الجمهورية البوروندى بأزمة قلبية وحيث تم إعلان الحداد لمدة 7 أيام فى بوروندى بدءاً من يوم 9 يونيو 2020 وفتحت دفتر التعازى.

هذا، وقد وجه السيد الرئيس «عبدالفتاح السيسي» رئيس جمهورية مصر العربية برقية تعزية فى وفاة الرئيس البوروندى من موقع المتحدث الرسمى لرئاسة الجمهورية فور إعلان خبر الوفاة، كما وجه السيد الرئيس رسالة تعزية موجهة إلى الرئيس البوروندى الجديد المنتخب السيد/ إيفاريست ندايشيميى فى وفاة الرئيس الراحل.

قامت السفيرة د. عبير بسيونى رضوان بإجراء مراسم التوديع فى القصر الرئاسى البوروندى بمناسبة نهاية مدة خدمتها، والتقت بالمهندس Prosper Bazombanza نائب رئيس جمهورية بوروندى حيث تناولت السفيرة المصرية مظاهر تعزيز علاقات التعاون بين مصر وبوروندى على كافة المستويات الثنائية والإقليمية والمتعددة الأطراف فى ضوء الروابط التاريخية والعلاقات الوثيقة بين البلدين. كما عقدت مع نهاية مراسم التوديع بالقصر الرئاسى مؤتمراً صحفياً تناول فيه الجانبان المصرى والبوروندى العلاقات الثنائية الوثيقة بين البلدين الشقيقين وسبل تعزيزها خاصه بالزيارات المتبادلة.

بلغاريا

استقبلت نائبة رئيس الوزراء للإصلاح القضائى ووزيرة الخارجية البلغارية، Ekaterina Zaharieva، السفير/ خالد عمارة سفير مصر لدى جمهورية بلغاريا. وقد أكد السفير المصرى خلال اللقاء حرص مصر على دفع علاقات الصداقة والتعاون بين البلدين للأمام، والبناء على الزخم الذى شهدته العلاقات الثنائية خلال الأعوام السابقة والتطور الإيجابى فى العلاقات الاقتصادية والتجارية، حيث تعدى الميزان التجارى بين البلدين 1.27 مليار دولار خلال عام 2019 كما أعرب عن تطلع القاهرة لعقد الجولة الأولى للجنة المشتركة للتعاون، وكذلك مجلس الأعمال المصرى – البلغارى الذى تم إطلاقه خلال زيارة السيد رئيس الجمهورية البلغارى إلى القاهرة فى مارس 2019.

وقد أكدت السيدة نائبة رئيس الوزراء ووزيرة الخارجية البلغارية على اهتمام بلادها بتعزيز التعاون والحوار البنّاء بين البلدين فى شتى المجالات، وتقديرها للدور المهم الذى تلعبه مصر لتحقيق الاستقرار والأمن فى المنطقة. وأشارت إلى الإمكانيات والفرص الكبيرة لتعزيز العلاقات الاقتصادية والتجارية بين البلدين، وأعربت عن تطلعها لإمكانية عقد الجولة الأولى للجنة المشتركة للتعاون فى خريف 2020، بالتزامن مع تنظيم اجتماع للمنتدى المشترك لرجال الأعمال من البلدين.

أوكرانيا

نظمت السفارة المصرية فى أوكرانيا، بالمشاركة مع غرفة التجارة والصناعة الأوكرانية، اجتماعاً تم عقده عبر تقنية الفيديو كونفرانس تحت عنوان التجارة المصرية الأوكرانية فى زمن التحديات الدولية ، وقام بتيسير مداولات الاجتماع كل من د.حسام الدين على، سفير مصر لدى أوكرانيا، وجينادى شيزيكوف، رئيس غرفة التجارة والصناعة الأوكرانية، من مقر الغرفة بالعاصمة كييف. وشارك فى الاجتماع من الجانب المصرى ممثلو جمعيات رجال الأعمال المصرية، وعلى رأسهم محمد يوسف، رئيس جمعية رجال الأعمال المصرية، وجمال العجيزى، ممثلاً للجانب المصرى من مجلس الأعمال المصرى الأوكرانى مع سيرجى ماروسنكو عن الجانب الأوكرانى. كما شارك من الجانب الأوكرانى تراس كافكا، نائب وزير الاقتصاد - ممثل التجارة الأوكرانى، وعدد من ممثلى شركات الأدوية ومنتجات الألبان وغيرها، فضلاً عن ييفجين كوزيك، رئيس مجلس إدارة تحالف شركات أوكرانية ساعية للمشاركة فى مختلف جهود تطوير صناعة الحديد والصلب المصرية.

اليمن

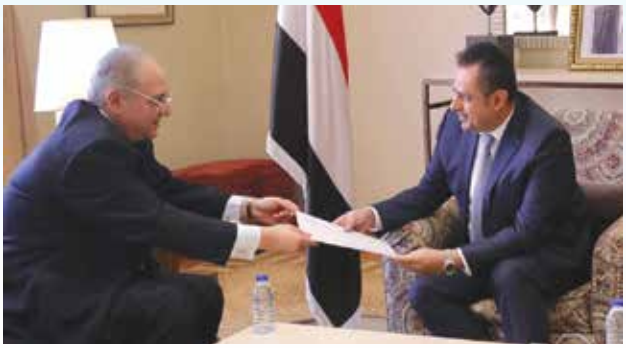

فى إطار الدور المصرى الداعم للأشقاء فى الجمهورية اليمنية، التقى السفير/ أحمد فاروق، سفير مصر لدى المملكة العربية السعودية والمعتمد لدى الجمهورية اليمنية، بالسيد الدكتور/ معين عبد الملك رئيس الوزراء اليمنى، وسلّمه خلال اللقاء رسالة خطية من السيد الدكتور/ مصطفى مدبولى رئيس الوزراء، جدد فيها التأكيد على اهتمام مصر باليمن ودعمها للأشقاء هناك، كما تضمنت الرسالة دعوة رئيس الوزراء اليمنى لزيارة القاهرة فى أقرب فرصة للتباحث والتشاور حول أفضل السبل لتعزيز العلاقات الثنائية بين البلدين. ومن جانبه، عبّر رئيس الوزراء اليمنى عن اعتزازه بالدور المصرى الداعم لليمن، وتطلعه لإتمام الزيارة بما يُعزز العلاقات الأخوية بين البلدين.

كما التقى السفير/ أحمد فاروق بالشيخ/ سلطان البركانى، رئيس البرلمان اليمنى، حيث جرى خلال اللقاء استعراض الجهود الجارية لتنفيذ اتفاق الرياض بين الحكومة الشرعية والمجلس الانتقالى، باعتباره المظلة السياسية والقانونية المعنية بإنهاء الوضع الحالى. وعبّر رئيس البرلمان اليمنى عن خالص تقديره للدور المصرى تجاه اليمن.

اليابان

استضافة السفارة المصرية فى طوكيو اجتماعاً بمشاركة كل من البروفيسور/ ميتسو أوتشى رئيس جامعة هيروشيما، وسفيرى زامبيا ومالاوى باليابان فضلاً عن رئيس المكتب الثقافى المصرى والملحقة الثقافية بطوكيو، وذلك لبحث استحداث برنامج للتبادل الطلابى بين الجامعة اليابانية وعدد من جامعات الدول الثلاث. وذكر السفير/ أيمن كامل، سفير مصر لدى اليابان، أن البرنامج المُقترح يأتى في إطار تنفيذ مُخرجات القمة السابعة لمؤتمر طوكيو الدولى للتنمية الإفريقية «تيكاد»، الذى عُقد برئاسة مصرية – يابانية مُشتركة بمدينة يوكوهاما شهر أغسطس الماضى، والذى أكد إعلانها النهائى على أهمية التعاون بين اليابان وإفريقيا فى عدد من المجالات، أبرزها التعليم وتنمية الموارد البشرية والاجتماعية.

الرياض

استقبل وزير الدولة للشئون الخارجية فى المملكة العربية السعودية/ عادل الجبير، السفير/ أحمد فاروق سفير جمهورية مصر العربية فى الرياض.

وقد شهد اللقاء التباحُث حول سُبل تعزيز التعاون المشترك بين البلدين الشقيقين فى كافة المجالات. كما تطرق اللقاء إلى المواقف والرؤى المتطابقة للبلدين إزاء عدد من الملفات الإقليمية والدولية.

بولندا

ثمّن السفير/ حسام القاويش، سفير جمهورية مصر العربية فى بولندا، استجابة الحكومة البولندية لطلب السفارة بإضافة مصر ضمن القائمة الخضراء للسفر، بحيث يتم رفع الحظر المفروض عليها ليكون السفر ممكناً إلى مصر اعتباراً من يوم 12/ 8/ 2020، وذلك على ضوء الإجراءات الاحترازية المتبعة فى المطارات المصرية ومقاصدها السياحية المختلفة.

وأكد القاويش على استمرار السفارة المصرية فى بذل كافة الجهود الممكنة بهدف دفع آفاق التعاون بين البلدين إلى مستويات أرحب فى مجال صناعة السياحة، والتى تساهم فى تعزيز مستوى الاقتصاد الوطنى وإتاحة الفرصة للاطلاع على المقاصد السياحية بمختلف أنواعها ونطاقاتها وكذا التعرف على التراث التاريخى لمصر.

تحديات الزمن والحركة

يعتبر «فريدريك تيلر» (1856/ 1915) أبو علم الإدارة العلمية، وواحد من أوائل استشـــاريها، وأحد القادة المفكرين فى علم كفاءة الحركة. وكانت أفكاره المتسمة باتساع الأفق والنضج والنظرة الشاملة، بالغة التأثير فى عصور التقدم. وكان «تيلر» مهندســـاً أمريكياً مهتمًا بتحسين الكفاءة الصناعية. وتدرس نظرياته ضمن علوم إدارة الأعمال. حيث رويت عنـــه قصة طريفة. عندما بدأ حياته العملية وهو صفر اليدين من أى ثروة أو منصب. وأثناء تجواله أمام مبنى يجرى بناؤه. اســـتوقفت نظره الطريقة التى يبنى بها العمال الحوائط، طوبة بطوبة. فعرض على المسئول عن المبنى أن يمده بطريقة توفر 40٪ من الزمن اللازم للبناء.

سفير جمال الدين البيومي

gbayoumi@hotmail.com

واعترف المســـئول أن تنفيذ المبنى متأخر عن جدوله الزمنى. وعرض على «تيلر» نصف المكســـب المترتب على هذا التوفير. ولدهشته كان اقتراح «فريدريك تيلر» بســـيطًا وهو أن يضع البناءون الطوب على يسارهم، و«خلطة الأسمنت» على يمينهم. لأن الوضـــع العكسى كان يســـتغرق ضعف حركة الأيدى اللازمة لتنـــاول الطوبة من اليمـــين ووضعها فى مكانها فى الوســـط، وتناول «خلطة الأســـمنت» من اليســـار وتحريكها إلى اليمين حتى الوسط.

بعد ذلـــك عمل «فريدريـــك تيلر» مهندســـاً فى مصنع للحديـــد فى ولاية بنســـلڤانيا. ولاحظ انخفاض الإنتاجية وضيـــاع الوقت والجهـــد والمواد دون تحقيق فائدة إنتاجية، وسرعان ما قام بإجراء التجارب الميدانية من أجل زيادة الكفـــاءة الإنتاجية، باختصـــار الزمن والحركـــة اللازمين للإنتـــاج. وقد نشر تجاربه على شـــكل نظرية عام 1911م فى كتابه المعروف باسم «مبادئ الإدارة العلمية». وتهدف دراسات «تيلور» حول الحركة والزمن إلى رفع الكفاءة الإنتاجية بالتخلص من حركة العامل غير اللازمة للعمل، وتحديد وقـــت نموذجى لإنجاز كل عملية. ولقد أقبلت مؤسسات كثيرة على تطبيق أبحاث ودراســـات «تيلور» فحققت نتائج إيجابية فى زيادة الإنتاج وانخفـــاض التكاليف. وهمـــا هدفان رئيسيان تســـعى لتحقيقهما نظريات الإدارة. وترتب عـــلى إدخال هذا النظام فى مناولة الحديد الخـــام وتفريغه من العربات، أن زاد الإنتاج من 2 طن إلى 10 أطنان فى الســـاعة وانخفضت التكاليف من 27 سنتاً إلى 8 سنتات للطن. وظهر بجلاء أن «تيلور» حقق نجاحًا كبيرًا.

وبهذا أصبح «فريدريك تيلور» أول عالم يعتبر أن «حركة العمل» تســـتحق المراقبة والدراســـة المنهجيـــة. ونتيجة لأفكاره تحقق كثير مـــن الثراء عندما ارتفع مستوى معيشـــة جموع العمال فى الدول الصناعية بقدر غير مســـبوق. وكان هذا من أهم الإسهامات العلمية فى حقل الإدارة فيما يعرف بدراسة الزمن والحركـــةtime and motion study التى ما زالت تدرس، وتقع محل إعجاب وتقدير الباحثين والممارســـين فى علوم الإدارة، بالرغم من مـــرور ما يزيد عن قرن على هذه الدراسة.

الآلات وتحديث الصناعة

تـــــذكرنا هذا التاريخ عندما تولت وزارة الخارجيـــة المصريـــة منذ عام 1995 قيادة مفاوضات المشـــاركة مع الاتحاد الأوروبى، والتى شملت عشرات من برامج التحديث، لمختلف القطاعات والبرامج والمشروعـــات. كان أكبرها على الإطـــلاق «برنامج تحديـــث الصناعة المصرية» الذى حظى بأكبر تمويل قدمه الاتحاد الأوروبى لأية دولة ولأى مشروع للتنميـــة. وعندما تعاملنـــا مع صياغة البرنامج كان أول ما خطر فى بال أغلبنا أن تحديـــث الصناعة يعنـــى تزويدها بأحـــدث الآلات والنظم. وقبل أن نبدأ فى العمل قصدنا أن نتعلم من تجارب الدول التى سبقتنا. فزرنا فى أوروبا برنامجى التحديث بكل من أيرلنـــدا والبرتغال، وفى العالم العربى زرنا برنامجى تونس والمغرب. فتعرفنا على «ألبرتينو سانتانا» الذى يعـــد أبو برنامج تحديث الصناعة البرتغالية، وعلى «ســـليم تليتلي» صانع البرنامج التونـــسى. ودعونا كليهما أكثر من مرة للحديث مع خبرائنا فى القاهرة.

وحكى لنا «ألبرتينو ســـانتانا» أنه عندما ســـافر وأعضاء فريقه فى جولة شملت بعض الدول الصناعية المتقدمة، اســـتوقفهم فى مصنـــع للإلكترونيات بالولايات المتحـــدة الأمريكية، أن شريط تجميع المنتج، والـــذى يحمل مكونات الإنتـــاج ويمر أمـــام العاملين، يتحرك بسرعة غير مألوفة تصـــل لنحو 360 مترًا فى الســـاعة. فى حين كان نظيره فى الصناعة البرتغالية يدور بسرعة تتجاوز المائة متر بقليل. مما يعكس فارقًا كبيرًا فى حجم الإنتاج وكفـــاءة العاملين. ولم يقتنع «ســـانتانا» بتبرير زملائه من أن الفارق يرجـــع إلى أن الشريط الأمريكى تديره آلـــة يابانية حديثـــة وسريعة. فاســـتعان بالخبير الياباني الذى تولى تحديـــث المصنع الأمريكـــى. فنجح فى مضاعفة سرعة شريـــط مكونات إنتاج المصنع البرتغـــالى دون أن يطلب تغيير صامولة أو مســـمار واحد فى آلة. فقد انصبـــت عملية التحديث على دراســـة حركة المكونات وترتيـــب عملية الإنتاج ومناخ الموقع، ودراسات الزمن والحركة حســـب علوم إدارة الأعمال، بالإضافة لرفع مهارات العمال وكفاءاتهم الفردية والجماعية.

ولقد أدهشـــنى وأعجبنى يومًا قول وزير خارجية البرتغـــال أن 90٪ من المصانـــع التى كانت قائمة فى بلده حتى

فردريك تيلر

عام 1986 - عندما انضمت للاتحاد الأوروبى – تغيرت سبل إدارتها بالكامل أو اختفت. لكن قامت أكثر من عشرة مصانع حديثة مقابل كل مصنع اختفى.

الاستثمار على البشر

من هذا المنطلق بدأت مجموعة العمل المصرية المكلفة بوضع الإطار الفكرى للتحديث عملها مستهدية بتجارب الدول التى سبقتنا. وتعلمنا أن كلًا من البرتغال وأيرلندا نجحتا فى التحول – فى نحو عشرين سنة وبفضل برامج التحديث – إلى مصاف الدول التى تحتل صادراتها الصناعية أكثر من 90٪ من صادراتها الإجمالية. كما تمكنت تونس منذ عام 1995 من إدارة برنامج غاية فى الوضوح والبساطة لرفع قدرات صناعاتها، حتى أصبحت تصدر ملابس جاهزة بنحو 3.6 مليار دولار، كما بلغت المركز السادس فى العالم لصناعة موصلات السيارات. ولقد دعونا الدول العربية المتوسطية العشرة إلى عدة لقاءات بالقاهرة لتبادل المشورة والاستفادة بالخبرة حول بناء فكر تحديث الصناعة.

وتوصل فريق العمل المصرى لمجمل التحديات التى تواجهها الصناعة المصرية، وأدرك أن الآلات لا تأتى فى مقدمة تلك التحديات. وأن تحديات الصناعة تدور حول مجاراة تحرير التجارة وحركة رؤوس الأموال العالمية، وقيام تكتلات إقليمية كبرى منافسة، وتسارع التقدم التكنولوجى، وضغوط المنافسة من جانب عدد متزايد من الاقتصادات الصاعدة. الأمر الذى يتطلب من الاقتصاد المصرى تبنى إستراتيجية للتكامل السريع مع الاقتصاد العالمى، بحفز القوى الاقتصادية وإعادة تنظيمها وتشجيع القطاعين الصناعى والخدمى لزيادة قدراتهما التنافسية.

وبهذا قام فكر «برنامج تحديث الصناعة المصرية» على تنمية القدرة التنافسية وتوفير أفضل المهارات ووسائل الإنتاج والتسويق الحديثة. ليصبح القطاع الصناعى قاطرة للنمو، ويستهدف معدل نمو سنوى 12٪. مما تطلب زيادة تدفق الاستثمار الأجنبى المباشر والتكنولوجيا التى تصاحبه، وجذب رؤوس أموال المصريين فى الخارج، لاستكمال فجوة الادخار المحلى المتواضع. وخلق مناخ جاذب للاستثمار. واستفادة بتجارب التحديث الأخرى، فقد جعلنا عناصر البرنامج المصرى تضم ثلاثة محاور، يتناول أولها تحديث المنشآت وزيادة ديناميكيتها. ويعالج الثانى موضوع تقوية مجموعات الأعمال فى القطاعات المختلفة. ويتعامل الثالث مع تحدى تطوير سياسات الحكومة ومؤسساتها لتهيئة بيئة صناعية جاذبة.

تحديث المنشآت وزيادة ديناميكيتها:

يتحقق هدف تحديث المنشآت بتحسين كفاءتها الفردية، وتحقيق تنافسية الشركات، وقدراتها على التجديد، فلم يعد الاعتماد على الاستثمار فى الآلات والأصول المادية وحده كافيًا. إذ تؤدى قدرة المنشأة على الارتفاع بمستوى أساليبها التنظيمية والإدارية والتكنولوجية، إلى نمو إنتاجية العوامل الكلية. ويتضمن ذلك النهوض بالجودة والتدريب، والتسويق، وتحديث الإدارة والموارد البشرية، وكفاءة القوى العاملة، وتطوير التصميمات، وأعمال البحث، والاستثمار فى حماية البيئة، وترشيد استهلاك الطاقة والموارد المصرية.

تقوية القطاعات ومجموعات الأعمال:

يحتاج التحديث إلى التركيز على قطاعات صناعية محددة برمتها. مثل قطاع الصناعات النسيجية التى تبدأ بصناعة الحليج، مرورًا بصناعة الغزل فالنسيج فالملابس والمفروشات. وكذلك قطاع الصناعات المعدنية التى تبدأ بصناعة الألومنيوم والنحاس والحديد والصلب، فالدرفلة والصناعات الهندسية للآلات المنزلية.. وهكذا بالنسبة لكافة المجموعات الصناعية المتقاربة Clusters. فيتطلب الأمر تنشيط الدور الإيجابى للتعاون بين المصانع فى كل صناعة معينة، والعمل الجماعى بين المنشآت فى مجالات البحث العلمى والتسويق والتمويل والإقراض. والتعاون مع المؤسسات الدولية المتخصصة. وزيادة مساهمة مختلف المؤسسات بدور إيجابى فى قيام نظام مصرى للجودة وتشجيع الابتكار ونقل التكنولوجيا، والاستخدام الكامل للخبرة الفنية المتوافرة. وإزالة نقاط الاختناق لتنمية الصناعة.

دور الحكومة فى تهيئة بيئة جاذبة للاستثمار والأعمال:

تستطيع الدولة توفير بيئة مؤسسية مواتية تشجع قيام القطاع الخاص بالاستثمار ونمو الإنتاجية. وتساهم السياسات الحكومية والاستثمارات العامة فى الارتفاع بمستوى التعليم والتدريب وتوفير البنية الأساسية لدعم بحوث التكنولوجيا التى تؤثر على عدة صناعات مرتبطة ببعضها. ومن بين المجالات التى جذبت الاهتمام، تطبيق نظام مصرى للجودة يتفق مع النظام الدولى، وتبسيط وتحسين البيئة القانونية والتنظيمية، وتطبيق أنظمة التجارة، وتوفير قواعد للبيانات والمعلومات عن الصناعة والتجارة المحلية والدولية. وزيادة قدرة جمعيات الأعمال على خدمة أعضائها وتقديم المساعدة الفنية. وتحسين إمكانيات حصول المؤسسات على التمويل.

ويتعاظم شأن الاستثمار فى وحدات لإصلاح السياسات Policy Reform Units وتقديم المساعدة الفنية للمؤسسات المصرية الخاصة، ولوزارات ومؤسسات الدولة ذات الصلة بالتنمية والإصلاح. وتوفير الاستشاريين والمدربين المصريين. مع توفير الثقة الكاملة بشفافية القواعد التنفيذية المطبقة، وسرية المعلومات التجارية والكفاءة فى تجهيز المشروعات. على أن يراعى عدم تدخل أو سيطرة الحكومة على تلك الوحدات، بغرض كسب ثقة القطاع الخاص. وتوفير الشفافية التامة فى معايير استحقاق الخدمة، والحكم

تحديات الزمن والحركة

على مميـــزات مختلف المســـتفيدين، وذلك لضمان تأييـــد الحكومة المصرية والمؤسسات المانحة.

زمن التحديث:

تحتاج برامـــج التحديث عادة لفترة عشرين ســـنة متواصلة. ومع التغيرات السريعـــة فى الاقتصـــاد والتكنولوجيا فإن تنفيذ تلك البرامج يكون من خلال جداول تنفيذية مـــدة كل منها خمس ســـنوات. وفى منتصف مـــدة البرنامج الخماسى يجرى تقييم مـــا تم تنفيذه. وقرب نهاية كل خمس ســـنوات يعاد النظر فى إدخال التعديلات التى تنشأ عن التقييم. وبالنســـبة للصناعة فهى تقوم على ركائز إستراتيجية أساسية تستهدف النمو والتنويع والنفاذ للأسواق، وجذب الاســـتثمارات إلى القطاعـــات كثيفـــة المهارات والتى تســـتخدم التكنولوجيا المتقدمة، وخلـــق الروابط بين الشركات المحليـــة والأجنبيـــة، وإدمـــاج قطاع الصناعات الصغيرة فى مجتمع الصناعة الحديثة. وتقوم أسس التحديث السريع وعالميته على افتراض أن البيئة الجاذبة للاستثمار ستلقى اســـتجابات ملائمة مـــن المصريين فى الخـــارج ليعودوا إلى الوطن بأموالهـــم المدخرة، وبمهاراتهم الفنية، وخبراتهم مع الأسواق الخارجية، لتنشيط عملية النمو.

ويعتمد فكر التحديـــث على قواعد ترشحه للانطلاق المعتمد على التصدير ولتحقيـــق النمو المتســـارع للاقتصاد اســـتنادًا إلى قاعدة إنتاج متنوعة لديها سوق محلية واســـعة تستوعب الجانب الأكبر من الإنتاج. ووفرة ورخص الأيدى العاملة والمواد الخـــام كالغاز الطبيعى والمعـــادن المتعددة والقطـــن وغيرها. بالإضافة إلى موقع مصر الإســـتراتيجى المتميز والمناسب لاندماج المصانع المحلية فى شـــبكات الإنتاج والتسويق العالمية، والمشـــاركة مع الأطراف الرئيســـية فى الأســـواق الإقليمية والدولية. فضلًا عن شبكة واسعة من البنية الأساسية لخدمة الصناعة.

المدخل الأساسى للتحديث:

من أجـــل تعزيز مســـتوى البيئة الكليـــة، فإن برامـــج التحديث تتطلب الدعم والمتابعة المبـــاشرة للإصلاحات، وإزالة القيود الإدارية، وتبنى لامركزية الإدارة العامة، وتحديث أنظمة التدريب الوطنيـــة، ونظم الجـــودة والمعلومات، والعلـــوم والتكنولوجيـــا. كما يتطلب الأمر الاستثمار فى البنية الأساسية، وفى جميع المجالات التى تؤثر فى بيئة العمل والتشغيل، بحيث تتوافق الإصلاحات مع سياســـات الاقتصاد الكلى التى تتبعها الدولة، وعلى أن تنفذ بطريقة مرنة وبنهج متواصل، مع منح أولوية للاستثمارات والمشـــروعات التى تعزز نمو الصادرات والتكنولوجيات النظيفة وترشيد الطاقة، والربط بين المؤسســـات وأجهزة العلوم والتكنولوجيـــا، والاهتمـــام بالمنتجات والعمليات المبتكرة والمشروعات الناجحة التى تعد نماذج محفـــزة لأفضل مزايا الاستثمار فى العوامل الديناميكية للقدرة التنافسية.

جوانب الضعف:

اكتشـــفنا أنه بالرغم من الإمكانيات المتاحة للصناعة المصريـــة ظل أداؤها ضعيفاً، مع أنهـــا حصلت على النصيب الأكبر من الاستثمارات العامة والخاصة خلال عدة عقود. وظلت نسبة مساهمة الصناعـــة فى إجمالى حجـــم التوظف لا تتجـــاوز 14٪. ولا يتجـــاوز نصيب الصـــادرات الصناعية نســـبة 6٪ من إجمالى الإنتاج الصناعى.

وتعود بعـــض جوانـــب الضعف الرئيسية إلى السياســـات التى اتبعتها مصر فى الســـابق، كالحمايـــة المبالغ فيها، وسياســـة إحلال الواردات، وغيبة حوافز المنشآت الصناعية لمراعاة معايير الجودة، واعتمـــاد الصناعة على احتكار الســـوق الداخلى والتخلى عن المنافسة الخارجية للنفاذ إلى أســـواق التصدير والأخذ بالتجديـــد التكنولوجى. وتمثل العوامل التالية الاحتياجات الرئيســـية لدعم القدرة التنافسية للصناعة:

1 – تطوير أنظمة التعليم والتدريب فى خدمة احتياجات الصناعة الحديثة.

2 – تطبيق نظام مصرى للجودة على المنتجات الصناعية.

3 – تقليص بيروقراطية الاســـتيراد والتصدير والتى تؤدى لارتفاع تكاليف المدخلات.

4 – تحســـين نظـــم الضرائب التى تحول دون المنافسة فى الداخل والخارج.

5 – بيئة جذب الاستثمارات الأجنبية الكبيرة واستثمارات المصريين فى الخارج.

6 – مراعاة المعايير العالمية فى البيئة الوطنية للعمليات الصناعية.

7 – هيكلة القطاع العام وتلافى تراكم الخسائر واختلال الهيكل المالى، والعمالة الزائدة.

وهناك حاجة لتركيز الإنتاج فى السلع ذات القيمة المضافة العالية، والنفاذ إلى أسواق جديدة. وتقوية المهارات الإدارية والتنظيمية والتخطيط الإســـتراتيجى، وزيادة القدرة على التعاون مع الشبكات الدولية والمنشـــآت الكبيرة والصغيرة فى الخارج بمختلف أشكال التحالف.

الاستثمار وحسابات الزمن

أصبح المستثمر فى أى مكان يحسب الوقت الـــذى ســـيقضيه (أو بالأحرى سيضيعه) بين أول ســـاعة تدخل فيها أمواله للبلد وبين أول ربح يحققه ويدخل حســـابه فى البنك. ولهذا صار المستثمر يتخذ قرار الدخول للاســـتثمار فى بلد، كلما قل عدد تلك الساعات المهدرة.

وفى هذا تعلمنا درسًـــا فى نيويورك عندما خرجنا من مشـــاهدة مسرحية «شـــيكاجو» قرب منتصف الليل فى أحد مسارح «برودواي» لنجد بعض المحال التجاريـــة مفتوحًا. فدخلنا أحدها لنجد بضائـــع مبهرة تباع بأســـعار معقولة بدرجـــة ملفتة. فلما حـــاول البائع أن يغرينا بالشراء ووجد منا بعض التردد، أخذ يخفض فى السعر بصورة جعلتنا لم نستطع مقاومة العرض. واشترينا أطقم فضية للطعام وبعـــض مفارش المائدة بأسعار مرضية للغاية. ولفتت أنظارنا محنا فنية من الرخام الملون تشكل رقعة للعبة «الشـــطرنج» صناعة مكسيكية، تباع بنصف ثمنها الذى اشـــتريناها به من أيام فى المكسيك.

فلما بحثنا الأمر لاحقًا تبيّن أن هذه المحال تقترض قروضًا سريعة تحت اسم (قرض الليلة الواحـــدة أوOvernight loan) وهو نظام من التمويل ابتدعته بعض البنوك. حيث فكـــرت أن النقود تبيـــت فى خزائنهـــا راكدة من ســـاعة إغلاق البنك فى المساء حتى صباح اليوم التـــالى. فقررت البنـــوك إتاحة قروض سريعة من هذه الأموال «مســـافة الليل» بشروط ميسرة. ويكون على المقترض أن يستخدم القرض فى شراء أشياء سريعة

البيـــع، ويعمل عـــلى تصريفها قبل أن يطلع الصباح، ليعيـــد أموال البنك مرة ثانية وقبل بداية يوم العمل التالى. وهنا يثور السؤال: هل لدى هذا المستثمر وقت يضيعه فى اســـتخراج رخصة مبانٍ أو تركيب عداد للنور أو فى تصريح فتحٍ بعد ساعات الإغلاق؟؟؟

وقد حاولنا نقل هذه المفاهيم لبعض مراقبى الحسابات الذين لم يوافقونا على إجراء تخفيض على رســـم الاشتراك فى أحد المعارض. وشرحنا لهم أن المعرض لو افتتح دون شغل كل أماكنه. فسوف تمثل الأماكن الشاغرة خسارة محققة. مثـــل الأمر فى صناعـــة الملاهى فى دور المسرح والســـينما أو صناعة الطيران. فافتتاح المـــسرح أو إقلاع الطائرة دون أن تشـــغل كل المقاعد، تعد كل المقاعد الشاغرة خسارة. ولهذا ابتدعت شركات الطيران نظام المســـافر فى آخر لحظة فتمنحه مقعدًا بسعر منخفض.

تكلفة الفرصة البديلة للوقـت

فى لقـــاء ودى على العشـــاء بنادى الســـلك الدبلوماسى – من عدة سنوات – اســـتضفنا عشرة من نـــواب البرلمان الأوروبى، كانوا فى زيـــارة لمصر. ودار حديث عـــن العلاقات المصرية الأوروبية وتطورها وآفـــاق المســـتقبل أمامها. فســـأل صديق من الجانب المصرى عن أهم المحفزات والمعوقات أمام المستثمر الأوروبـــى فى مصر. وغطـــت الإجابات الجوانب الطيبة والجاذبة. ومن أهمها، حجم الســـوق المصرى الكبير والانفتاح على الأسواق فى إفريقيا والدول العربية والارتباط بأوروبـــا، وتوفر اليد العاملة ومصادر الطاقة والميـــاه. أما المعوقات فقد انصب التركيز على آفة العالم الثالث وهى «البيروقراطيـــة وإضاعة الوقت». وقال خبير منهم: «لا يقتصر الفســـاد على الرشـــوة. وإنما تبديـــد الوقت هو الأكثر تكلفة». وذكرنا ذلك بقول حكيم للرئيس جمـــال عبد الناصر – فى إحدى خطبه مـــن أكثر من نصف قرن – يؤكد نفس المعنى. حيث قال ضاحكًا «الرشوة معروفة الحدود لكن إهدار المال الناتج عن سوء الإدارة ضرره أكبر بكثير».

ومن بين خبرات «تكلفة بطء صناعة اتخـــاذ القرار» أننا عقدنا العزم ســـنة 1984 على إقامـــة المفاعل الذرى لتوليد الكهربـــاء فى الضبعة بتكلفة 2.3 مليار دولار بتكنولوجيـــا وتمويل ألمانى غطى 1.7 مليار مـــن المبلغ بقرض ميسر. ثم حدثـــت كارثة انفجـــار المفاعل الذرى الروسى فى «شـــيرنوبل» ســـنة 1986. وأثرت بعض الدول غـــير الراضية على تملـــك مصر لمثل هـــذه التكنولوجيا فى وجدان صانع القرار، فأوقف المشروع. وظـــل وزير الكهربـــاء المهندس ماهر أباظة (رحمه الله) يحارب لاســـتعادته دون اســـتجابة. والآن يتكلـــف المفاعل الذى يجـــرى بناؤه 29 مليـــار دولار. وخسرنا – أيضًا – الوقت الطويل الذى كنّا سنستفيد خلاله من هذه الطاقة.

ويعتز الذين يعملـــون منّا فى قطاع التعاون الإنمائى بأن مصر من أكثر دول العالم تلقيًا للعون الأجنبى، ومن أفضلها ســـمعة. وقد ســـمعنا وزير الخارجية اليابانى يقـــول فى القاهـــرة للدكتور بطرس غالى «إن اليابان غيورة لأن مصر تســـتطيع أن تســـتفيد بحجم أكبر من المســـاعدات، لو وفرت قدراً مناسبًا من سرعة الإنجاز» كما حضرت لقاء استقبل فيه وزير الخارجية عمرو موسى، نائب رئيس بنك الاســـتثمار الأوروبى، والذى عبّر عن رغبـــة البنك فى زيـــادة حجم تمويلـــه لمشروعات تنمويـــة فى مصر. ومع ذلك فقد أدت كثـــرة التغييرات فى القيادات العليا، إلى عدم التركيز لإنجاز بعض من أكبر المشروعات. ولقد عايشنا يومًا تغييرات فى قطاع الصناعة فى الوقت الذى كان «برنامـــج تحديث الصناعة» أحـــوج ما يكـــون للانطـــلاق بسرعة لاســـتيعاب التمويل المتاح. وللأسف لم تســـتوعب القيادة الجديدة احتياجات نجاح البرنامج. وعندما اســـتحال على تلك القيادة الفهـــم تم تغييرها متأخرًا، عندما كان أغلب وقت التنفيذ قد انقضى، وخسرنا إمكانية التنفيـــذ الجيد لواحد من أفضل برامج التحديـــث والتنمية، ولم نســـتفد من مليار دولار الاستفادة المنتظرة.

ورغم أن هذه الحادثة ذات شـــهرة، ومعروفـــة لقطاع تنفيذى واســـع، إلا أنها تكررت بعد ذلـــك فى برنامج كبير لدعم القدرات الفنية والمؤسسية لأجهزة الحكومة. عندما شـــاء مسئول حكومى كبير أن يخضع البرنامج لإدارته المباشرة، لتستفيد وزارته ببعض التمويل المتاح. مما يخالف الأســـاس المتفق عليه لقيام البرنامـــج بـــإدارة مســـتقلة. وتوقف البرنامـــج ومعه التمويـــل القادم. كما خسر المسئول الذى اتخذ القرار الخاطئ منصبه.

تمتلك مصر تاريخًا طويلًا معتبرًا من الإدارة والقيـــادة الجيدة، بوصفها أقدم دولة وأعظم بيروقراطيـــة فى التاريخ. ومن التحديات الكـــبرى أمام مواصلة نهضة مـــصر، أن نحافظ عـــلى الثروة البشرية التى اكتســـبت خـــبرات عالية المستوى فى الإدارة والتخطيط والتنفيذ. ولا شك أن مصر الحديثة تمتلك «ضبط إيقاع» أجهزتها ومؤسساتها وقياداتها، للانطلاق نحـــو تحقيق التنمية والتقدم بالقدر الذى يستحقه بلد وشعب عظيم كمصر.

بصمة الحضارة المصرية فى العالم (2)

لـــم ينقطع العطاء الحضارى لمصر تجاه العالم مع آخر ملوك ما قبل ميلاد المســـيح، وهذا الملك هو كليوباترا السابعة التى دقت أول مسمار فى نعش الإمبراطورية الرومانية فخلصت الإنسانية من سيطرتها ووحشيتها فى معاملة البشر.

د. مهندس هانئ محمود النقراشي

hn@nokraschy.net

عندما دخلت المسيحية مصر على يد مرقص الإنجيلى، ظهرت بشكل أوضح مواهب الشعب المصرى فى التضحية من أجل المبـــدأ والجهاد لنشر النظافة وهى عماد الحفاظ على الصحـــة كما أثبتت هذه الأيام التى نعيشها فى الظل الكئيب لجائحة كوفيد 19-، ولنبدأ القصة من أولها ....

دعانى صديقـــى الألمانى «بيتر» إلى مسكنه لمقابلة قس كاثوليكى لنتباحث معـــه فى موضوع تاريخـــى كلمته عنه وهو الآثار الطيبة التى تركها مصريان فى أوروبا يلقبان الآن بلقب قديس وهما القديس «موريس» والقديسة «فيرينا». قال القس: «القول بأن القديس موريس شـــخصية حقيقية وقصة استشهاده حـــدث تاريخى وليس أســـطورة قول صحيح لأنه مُثبـــت تاريخياً ووجدته فى كتاب القديســـين. ولكن قصة «فيرينا» التى علّمت ســـكان الكهـــوف النظافة فهى غير موجودة فى كتاب القديســـين لذلـــك هى - على ما أعتقد - أســـطورة تبادلها الناس عبر العصور ولا أســـاس لها من الصحة مثل الكثير من الأساطير المتداولة». افترقنا بعد هذا اللقاء العابر إلى أن ســـاقتنى المصادفـــة لإثبات أن «فيرينا» المصريـــة كان لها أثر عظيم فى قلوب الشعب فى سويسرا حتى أنها لقبت بالقديســـة والدلائل التى أعرضها هنا والتى تُنشر لأول مرة تثبت ذلك.

كان من ممارسات الرومان، إمعاناً فى استعباد الشعوب التى احتلوا أراضيها، تجنيد شـــبابها ليحـــارب فى صفوف جيـــوش الرومان تحقيقـــاً لأطماعهم الاســـتعمارية. فحدث فى القرن الثالث الميلادى، وكانت المسيحية فى ذلك الوقت قد انتشرت فى كل أنحاء مصر بينما بقى الرومان على وثنيتهم، أن جندوا فيلقاً من صعيد مصر سمّوه فيلق «طيبة» نسبة إلى العاصمة الســـابقة قبـــل أن تنتقل العاصمة إلى الإسكندرية. ونصّبوا شاباً قوياً فاره الطول ومتوقد الذهن، عيناه تبرقـــان بالذكاء الذى يشـــهد بإيمانه، اسمه «موريس» قائداً لهذا الفيلق. وعند حاجتهـــم إلى تعزيز فرقهـــم المتورطة فى معـــارك ضد المدافعـــين عن أرضهم فى جبال الألـــب، وهؤلاء كانوا فى نظرهم ثواراً يســـتحقون الإبـــادة، لم يترددوا فى اســـتدعاء فيلق «طيبة» وإرساله إلى موقـــع العمليات الحربيـــة بين الجبال الشـــاهقة وفى البرد القارس. ولكن جند مصر - وهم خير أجناد الأرض - تحملوا الغربـــة والتضاريـــس الغريبة عنهم وكذلك البرد القارس. أما ما لم يتحملوه فهو أمر القائـــد الرومانى لهم بتقديم القرابين لآلهة الرومان قبيل بدء التلاحم مـــع الثوار وذلك لأن جنـــد مصر كلهم كانوا مســـيحيين يؤمنون بالله الواحد الأحد، فرفضوا تقديـــم القرابين لأوثان الرومـــان. اعتبر القائـــد الرومانى هذا الرفض عصياناً فأمر حاشـــيته بتنفيذ عقوبة عصيان الأوامر وهى العشرية أى وضعهم فى صف واحد وإعدام كل عاشر جندى ليكونوا عبرة لغيرهم. وبعد تنفيذ العشريـــة الأولى أعاد القائـــد الرومانى أمره بتقديـــم القرابـــين، ولكن جنود مصر المؤمنين ثبتوا عـــلى إيمانهم وعلى رفضهم تقديم القرابين، فأمر بالعشرية الثانية، وتبعتها الثالثة والرابعة .... إلى أن استشهدوا جميعاً فى سبيل الله وهم ثابتون على إيمانهم ... {«ولا تحســـبنَّ الذين قتلوا فى سبيل اللّه أمواتاً بل أحياءٌ عند ربِّهم يرزقون» آل عمران 169}.

حدثـــت هذه المذبحة الوحشـــية فى سويسرا (الفرنسية) وتكريماً لتضحية هذا الفيلق سُـــمّيت المدينة التى نشأت هناك باسم الشهيد قائد الفيلق «موريس»

تمثال القديسة فيرينا

كنيسة القديسة فيرينا فى مدينة تسورتساخ

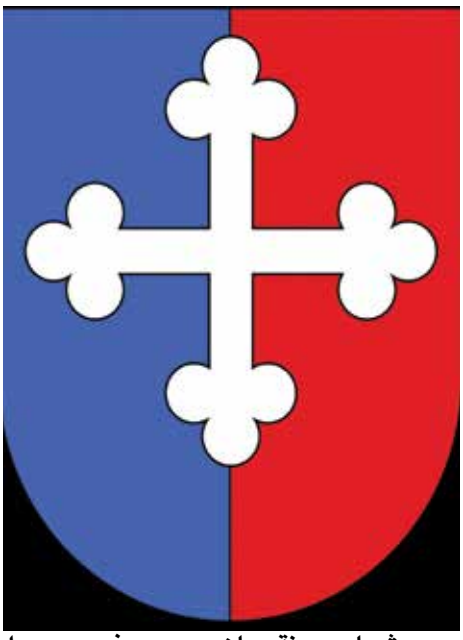

شعار مدينة سان موريس فى سوسرا الفرنسية

(Saint -Maurice (VS واتخذوا من الصليب القبطى ذى الأضلاع المتساوية الطول وكل منها ينتهى بثلاث دوائر ترمز مجتمعة إلى تلاميذ المسيح الاثنى عشر شعاراً لمنطقتهم.

قصة فيلق «طيبة» لم تنته عند استشهاد كل أفراده، بل هنا تبدأ قصة «فيرينا» الفتاة المرافقة للجنود لرعايتهم طبياً وتضميد جروحهم التى قد تصيبهم أثناء المعارك وكانت مخطوبة لأحد جنود الفيلق اسمه «فيكتور»، وهى القصة التى ينكرها القس الكاثوليكى لأنها ليست موثقة فى كتاب القديسين حسب قوله.

قبر القديسة فيرينا

لوحة تذكارية على كنيسة القديسة فيرينا

وجدت «فيرينا» نفسها وحيدة وسط الجبال الوعرة بعد استشهاد جميع أفراد الفيلق ومنهم خطيبها «فيكتور»، فذهبت للاختباء فى أحد الكهوف ولقيت هناك عدداً من سكان المنطقة يعيشون فى هذه الوحشة. استضافها هؤلاء السكان وعرضوا عليها البقاء معهم إلى أن يرحل عنهم ما بقى من جند الرومان. قبلت الفتاة ضيافة سكان المنطقة شاكرة كرمهم ولكن على مضض لأنها تقززت مما رأته منهم، إذ كانت أيديهم دائماً قذرة ولا يغسلونها حتى عند إقبالهم على الطعام وكان شعرهم الأشعث ممتلئاً بالحشرات، أما هى القادمة من مجتمع متحضر يعتنى بملبسه وهيئته وخاصة بالنظافة التى كان لها مركز خاص فى تعاملاتها بصفتها مسئولة عن الخدمات الطبية، فأثار ما رأته منهم شفقتها عليهم وأخذت على نفسها عهداً بأن تبدّل حالهم إلى الأفضل. لجأت إلى حقيبة أدواتها وأخرجت منها مشطاً وبدأت بالأطفال لأنهم أسرع فى التعلم فأخذت تمشّط شعرهم لإقصاء الحشرات منه ثم استدارت وأخذت إبريق الماء وغسلت بالماء شعر الأطفال وسعدت بابتسامتهم عندما لاحظوا نهاية الهرش المستمر لفروة رأسهم. ذاع صيت «فيرينا» الفتاة المصرية التى علّمتهم النظافة فأحبوها لدرجة أنهم أطلقوا عليها لقب القديسة فصارت تُنادى فى كل مكان بالقديسة «فيرينا».

عند زيارتى لمدينة بازل السويسرية سنة 2011 قابلت أحد علماء الآثار وتحدثت معه عن قصة «فيرينا» وأنا تحت تأثير أن هذه القصة ليست إلا أسطورة، ففوجئت بقوله: «إن قبرها فى مدينة تسورتساخ Zurzach على بعد خمسين كيلومتراً من بازل على نهر الراين». فى هذه اللحظة انفعلت حتى كدت أسمع تسارع دقات قلبى فقلت له: «إذا صح أنها مدفونة فى هذه المدينة، فلابد أنها شخصية حقيقية عاشت وتوفيت، وإلا ما معنى عمل قبر لشخصية أسطورية؟». فى هذه اللحظة قررت سرعة الذهاب إلى تسورتساخ رغم تأخر الوقت. وعند وصولى هناك وجدت ضالتى فوراً دون سؤال المارة حيث الكنيسة الصغيرة تتوسط المدينة. كان باب الكنيسة مفتوحاً والكنيسة خالية تماماً، فتقدمت إلى أن وجدت على الجانب الأيمن سوراً يحمى مكاناً منخفضاً به قبر «فيرينا» وغطاء القبر الحجرى منقوش عليه صورتها تحمل فى يدها اليسرى مشطاً مزدوجاً (نسميه فى مصر فلّاية) وفى يدها اليمنى تحمل إبريق الماء، وفوق القبر يعلو تمثال لها يصورها تحمل فى يديها المشط والإبريق. وتبيّن أن يوم أول سبتمبر من كل عام هو يوم تكريمها.

وكانت هذه بداية نشر المسيحية فى أوروبا على يد المصريين، شهداء ومعلّمى النظافة. وتبعهم مصريون كثيرون نشروا المسيحية فى أوروبا بعضهم يرقدون فى قبورهم فى أماكن كثيرة من أوروبا.

حروب الذاكرة الجديدة فى أوروبا والدور الروسى فى الحرب العالمية الثانية

فى 24 يونيو الماضى احتفلت روسيا بالذكرى الـ 75 للانتصار على ألمانيا النازية بعرض عسكرى ضخم جرى الإعداد له قبل أشهر. وقد دُعى للمشاركة قادة جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق ورئيسا صربيا والبوسنة والهرسك وممثلون عن دول أخرى عديدة. وكان الاحتفال مقرراً يوم 9 مايو الماضى، كالمعتاد، إلا أن ظروف تفشى وباء كوفيد 19- أدت إلى تأجيله ليكون 24 يونيو، والذى يوافق تاريخ أول عرض عسكرى سوفيتى بمناسبة الانتصار عام 1945، أى بعد يومين فقط من هزيمة ألمانيا.

سفير د. عزت سعد

saad.ezzat@gmail.com

ويجئ حرص الرئيس بوتين على الاحتفال بالذكرى هذا العام، ليس فقط لأنها الذكرى الخامسة والسبعون وأنها عادة ما تكون مناسبة لعرض أحدث ما فى الترسانة العسكرية الروسية من أسلحة ونظم دفاع، بل وأيضاً، وربما الأهم، بسبب ما يمكن تسميته بحروب الذاكرة الجديدة والحملة الغربية المنسقة التى يشنها الغرب خاصة منذ عام 2014 فى إطار التدابير العقابية ضد روسيا ارتباطاً بالأزمة الأوكرانية واستعادة القرم، لتشويه دور الاتحاد السوفيتى فى الحرب وتعمد تشبيه جوزيف ستالين بهتلر وجرائمه، خاصة منذ أن أعلن الرئيس بوتين فى خطابه الشهير فى فبراير عام 2007 أمام مؤتمر سياسات الأمن فى ميونخ بأن سقوط الاتحاد السوفيتى السابق كان الكارثة الجيوسياسية الأكبر فى القرن العشرين، وهو ما فتح الباب أمام توجيه انتقادات للرئيس الروسى، خاصة من النخبة السياسية الحاكمة فى بعض بلدان أوروبا الوسطى والشرقية الشيوعية السابقة.

وكان البرلمان الأوروبى قد أصدر قراراً فى سبتمبر 2019 ينتقد مختلف الدول بسبب ما أسماه «تجاوزاتها فى تعاملها مع الماضي»، وكانت روسيا الدولة الوحيدة التى أشار إليها القرار بالاسم فقط، مؤكداً أنه يتعين عليها الاعتذار عن المسئولية التى تقاسمتها الشمولية السوفيتية مع الشمولية النازية فى اندلاع الحرب العالمية الثانية، بما فى ذلك كل مآسى الحرب والهولوكوست. وكان بعض دول أوروبا الوسطى والشرقية، وبخاصة بولندا، وراء دفع البرلمان الأوروبى لاعتماد القرار، فيما بدا أنه توجه غربى بإنكار أى دور للاتحاد السوفيتى فى هزيمة ألمانيا النازية، على نحو ما يوثقه أرشيف الحلفاء المنتصرين(1).

وقد احتفل العالم فى 27 يناير الماضى بالذكرى السنوية الخامسة والسبعين لتحرير معسكر «أوشفيتز»، والذى يصادف يوم إحياء ذكرى المحرقة، علماً بأن هذا المعسكر حرر من قبل الجيش السوفيتى عام 1945. وعلى هامش الاحتفالية التى شارك فيها الرئيس بوتين، أصدر رؤساء المفوضية الأوروبية والمجلس الأوروبى والبرلمان الأوروبى بياناً مشتركاً خلال تواجدهم فى إسرائيل، احتفاءً بالمناسبة ذكر: «قبل خمسة وسبعين عاماً حررت قوات الحلفاء معسكر الاعتقال النازى فى «أوشفيتز - بيركيناو». ولقد قضوا على أبشع جريمة فى التاريخ الأوروبى، الإبادة المخطط لها لليهود فى أوروبا». ولم يرد أى ذكر فى البيان للقوات التى حررت المخيم بالفعل(2). ثم جاء إعلان البيت الأبيض فى مايو الماضى عن برقية بعث بها الرئيس ترامب لرئيس الوزراء البريطانى بوريس جونسون بمناسبة الذكرى الخامسة والسبعين لتحقيق النصر على النازية أشاد فيها بدور الحلفاء فى ذلك، مشيراً إلى دولتين فقط هما «الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة»، ومضيفاً «إن النصر كان حليفاً للولايات المتحدة وبريطانيا العظمى، وأن الروح الأمريكية ستنتصر على الدوام». ومن باب المزيد من تشويه الدور السوفيتى فى الحرب، أشار بعض القادة الغربيين إلى أن «قوات الجبهة الأوكرانية الأولى هى من حرر أوشفيتز، بما يعنى ضمناً أن القوات المحررة كانت أوكرانية وليست سوفيتية حيث كانت

أوكرانيا جزءاً من الاتحاد السوفيتي».

وقد دعا كل ذلك المتحدث الرسمى للخارجية الروسية فى تغريدة لها إلى القول: «بإمكانكم أن تسموا ذلك بما تريدون، سواء كان تزويراً أو إهانة للتفكير السليم أو إعادة لكتابة التاريخ. ولكن عندما تصدر مثل هذه التعليقات عن سلطات بلد يدعى أنه «زعيم العالم الحر» أو «نصير الديمقراطية» ويزعم محاربة الأكاذيب بلا هوادة، فإنه لا يمكن التسامح مع ذلك».

والواقع أنه بعد سقوط الاتحاد السوفيتى قبل ثلاثة عقود، توالت الادعاءات العلنية من دول أوروبا الوسطى والشرقية الشيوعية السابقة، الواحدة تلو الأخرى، بالتواطؤ السوفيتي/ النازى فى الهولوكوست، وعدم الاهتمام كثيراً بمسألة الانتصار على ألمانيا النازية والقضاء عليها فى نهاية المطاف. وفى هذا السياق ظهر مصطلح «سياسات الذاكرة Geschichtspolitik فى ألمانيا لوصف وإدانة تدخلات رجال السياسة لخدمة مصالحهم الذاتية فى التاريخ والذاكرة الجماعية. وعاود هذا المفهوم الظهور فى بولندا عام 2000، ولكن للتدليل على معنى إيجابى بأن «سياسات الذاكرة» لا مجال فيها للحوار أو البحث عن تفسيرات مشتركة لأحداث الماضى. وفى هذا السياق وإزاء وصم بعض شعوب المنطقة بمعاداة السامية والحديث عن أدوار بعض قيادات دولها فى المحرقة، وانطلاقاً من بولندا، أقرت كل دول المنطقة، قوانين لحماية تاريخ أبطالها الوطنيين من حملات الافتراء بتورطهم فى جرائم الهولوكوست والتواطؤ مع النازيين.

وتسعى بلدان أوروبا الوسطى والشرقية فى هذا السياق إلى تسويق فكرة أن نظام الحكم السوفيتى الشمولى كان مصدر شرور القرن العشرين، بغض النظر عن تصرفات النظم التى تحالف بعضها مع هتلر قبيل وأثناء الحرب العالمية الثانية.

وعلى سبيل المثال يخطط عمدة بودابست لوضع نصب تذكارى لضحايا الاغتصاب فى زمن الحرب العالمية الثانية على أيدى جنود الجيش السوفيتى، فى الوقت الذى لا يوجد فيه نصب تذكارى للعديد من الجنود المجريين الضحايا الذين تواطئوا مع النازيين على الجبهة الشرقية. كما لايوجد مثل هذا النصب التذكارى فى ألمانيا، تماماً مثلما لا يوجد نصب تذكارى لنحو 3.5 مليون أسير حرب سوفيتى ماتوا فى الأسر الألمانى أو مئات الآلاف من عمال السخرة السوفيت الذين لقوا حتفهم أثناء الحرب.

وفى تقدير المؤرخين المحايدين، فإن حروب الذاكرة الجارية فى أوروبا اليوم لاتقربنا من الحقيقة الكاملة، فهى تقسم رؤية وفهم الأحداث إلى جانبين «نحن» و«هم» وتقلص نحن إلى «الضحايا» وهم إلى «المجرمين»، وهو ما يستحيل معه مواجهة الحقائق. وحيث أنه لا أحد يستطيع أن يربح مثل هذه الحرب، فقد أدى ذلك إلى تزايد هوة عدم الثقة فيما بين الأوروبيين أنفسهم، وبينهم وبين الروس.

والنتيجة، كما يقول هؤلاء، أن الحرب العالمية الثانية فى المخيلة الشعبية الغربية، خاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية، كانت صراعاً كسبه الأمريكيون من خلال معارك شواطئ نورماندى، استعادوا بها المدن الفرنسية واستقبال جنود الحلفاء بالورود فى شوارع باريس، «إنه نصر رسمه الجنرال إيزنهاور بفعل رعب القنبلة النووية». وبالطبع فسردية كهذه لا يمكن بيعها عندما تكون فى روسيا، حيث ينظر إلى الحرب العالمية الثانية على أنها «الحرب الوطنية العظمى» والتى يتذكرها الروس فى سياق مختلف تماماً.

والواقع أن وثائق الحرب العالمية الثانية تشير إلى أنه منذ بدايات عام 1941 عندما كانت نيران الحرب على الحدود الشرقية للاتحاد السوفيتى (قلعة بريست فى جمهورية بيلاروس السوفيتية آنذاك) وتحديداً فى 22 يونيو 1941، دخل الاتحاد السوفيتى الحرب ولعب، جيشاً وشعوباً، الدور الأكثر أهمية فى انتصار الحلفاء على قوات هتلر. ووفقاً لبعض التقديرات، فإنه مقابل مقتل جندى أمريكى واحد فى الحرب مات 80 جنديًا سوفيتيًا محاربًا فى المعركة.

وكما هو معروف فقد اعتبر السوفييت الهجوم النازى عليهم هجوماً غادراً فى ضوء ميثاق عدم الاعتداء الذى عرف باسم وزيرى خارجية البلدين (ميثاق مولوتوف/ روبينتروب) الموقع سراً فى أغسطس 1939، ضمن معاهدات وترتيبات أخرى وقعتها ألمانيا النازية مع بعض الدول الغربية مثل فرنسا وبريطانيا، تم بموجبه تقاسم الأراضى البولندية.

ووفقاً للمؤرخ والصحفى البريطانى Max Hastings فى كتابه المعنون «جهنم: العالم فى حرب 1939 - 1945». كان الجيش الأحمر «القاطرة الرئيسية لتدمير النازي». وأن الاتحاد السوفيتى دفع الثمن الأكثر فداحة: ممثلاً فى خسائر فى الأرواح تراوحت ما بين 27,26 مليون مواطن سوفيتى لاقوا حتفهم خلال الحرب، بمن فيهم أكثر من 11 مليون جندى. وكانت معركة موسكو، التى بدأت فى أكتوبر 1941 واستمرت حتى إبريل 1942 من المعارك المصيرية التى غيرت مسار الحرب، وقاد الجيش السوفيتى فيها الجنرال جيورجى جوكوف(3). وبجانب الخسائر فى الأرواح خسر الاتحاد السوفيتى ما يقدر بنحو 13 مليار دولار خسائر حربية هى الأكبر فى الحرب حسب البروتوكول الختامى لاجتماعات القوى المنتصرة فى يالطا وأمام محكمة جرائم الحرب فى نورمبرج، حيث أثبت الاتحاد السوفيتى

حروب الذاكرة الجديدة فى أوروبا والدور الروسى فى الحرب العالمية الثانية

أمام المحكمة أن القوات النازية دمرت 71.000 مدينة وقرية إضافة إلى 32.000 مصنع(4). وفقدت بولندا 6 ملايين قتيل وهو ما يعادل 17٪ من عدد السكان آنذاك، وفقد الصينيون 13.5 مليون. وهناك 26 دولة خسر كل منها خلال الحرب أكثر من 10.000 مواطن بسبب الأعمال القتالية. وقدرت الخسائر المادية عام 1947، بحسب أستاذ الاقتصاد السويدى «كارل جونار» ما بين 100 و200 مليار دولار بما فيها ألمانيا واليابان، بينما قدر بعض المؤرخين الألمان خسائر الحرب حسب القيمة الحالية بحوالى 7.5 تريليون يورو (5). فى الوقت ذاته، فقد الألمان ثلاثة أرباع مقاتليهم خلال حربهم مع الجيش الأحمر.

ووفقاً للمؤرخ البريطاني«Max Hastings» فإنه من حسن حظ الحلفاء الغربيين، أن دفع الروس، وليس هؤلاء (الحلفاء) تقريباً كل فاتورة الجزار هتلر وتحمل 95٪ من الخسائر العسكرية فى صفوف القوى الكبرى الثلاث التى شكلت التحالف الكبير. وكانت المعركة الفاصلة فى هذا الشأن معركة ستالينجراد والتى دارت حولها أكبر معركة دبابات فى التاريخ والتى لم يحدث مثلها على الجبهة الغربية أثناء الحرب.

وكما ثبت تاريخيًا، «فلم يكن هدف هتلر هو القضاء على اليهود فحسب، ولكن أراد أيضاً تدمير بولندا والاتحاد السوفيتى كدولتين وإعدام النخبة الحاكمة فيهما وقتل عشرات الملايين من السلافيين» وفقاً لما كتبه المؤرخ Timothy Snyder فى مؤلفه «Blood Lands: Europe between Hitler and Stalin».

وفى مذكراته أعرب إيزنهاور عن صدمته بسبب هول الدمار قائلاً: «عندما طرنا إلى روسيا، فى عام 1945، لم أر منزلاً واحداً قائماً بين الحدود الغربية للبلاد حتى المنطقة حول موسكو، وعن هذه المنطقة، أبلغنى المارشال Zhukov عن قتل العديد من النساء والأطفال وكبار السن بأعداد لن تستطيع الحكومة الروسية حصرها(6).

وفى ضوء استسلام ألمانيا دون شروط، حيث لم تحصل مفاوضات بين المنتصر والمهزوم، حدد المنتصر القواعد والتعويضات، ولم يكن بوسع الألمان دفع الفاتورة بكاملها بحكم اقتصادهم المدمر، وبالتالى كانت التعويضات رمزية. وعندما بدأ الاقتصاد الألمانى فى التعافى، وحتى الآن، دفعت ألمانيا طبقاً لحسابات المؤرخين الألمان 951 مليار يورو تعويضاً منها 76.7 مليار يورو تعويضات فورية. وحصلت إسرائيل عام 1952 على ثلاثة مليارات مارك لصالح اللاجئين اليهود من ألمانيا بالإضافة إلى 450 مليون مارك لمؤتمر التعويضات المادية لليهود من ألمانيا لصالح ضحايا المحرقة خارج إسرائيل(7).

وحتى عهد قريب رفعت بعض الدول الأوروبية مطالب بالتعويض، وتحديداً كلا من اليونان وبولندا، إلا أن الحكومة الألمانية رفضت بشكل قاطع بدء مفاوضات فى هذا الشأن على أساس أن عدداً من الاتفاقيات الدولية أنهت موضوع التعويضات ومرت عقود على نهاية الحرب، وبالتالى سقطت هذه الدعاوى بالتقادم.

ولقد وفرت الذكرى الخامسة والسبعون للانتصار على النازية فرصة للرئيس بوتين لكى يدلى بدلوه حيث قام فى دورية The National Interest فى 21 يوليو الماضى، وتحت عنوان «الدروس الحقيقية للذكرى الـ75 للحرب العالمية الثانية»، بتفنيد الاتهامات الموجهة للاتحاد السوفيتى مشيراً فى ذلك إلى ما يلى بصفة خاصة:

– إن «جوهر السياسة الغربية آنذاك كان إرضاء ألمانيا النازية»، وأن أوروبا والغرب يتهمون روسيا بمحاولة إعادة كتابة التاريخ وحرمانها من حقيقة دورها فى هزيمة النازية متهماً الدول الغربية، لا سيما كلاً من بريطانيا والولايات المتحدة بالمساهمة فى قيام الحرب حيث استثمرت مؤسساتها المالية والصناعية فى المصانع والآلة العسكرية الألمانية بجانب تأييد الطبقة الأرستقراطية والنخبة السياسية الحركات القومية الراديكالية واليمينية المتطرفة الصاعدة آنذاك فى ألمانيا وأوروبا. وفى هذا السياق، أرجع بوتين جذور الحرب إلى القرارات التى اتخذت بعد الحرب العالمية الأولى، معتبراً معاهدة فرساى رمزاً للظلم الفادح لألمانيا التى «سرق اقتصادها وأجبرت على دفع تعويضات هائلة للحلفاء الغربيين». ونقل بوتين عن أحد القادة العسكريين الفرنسيين لقوات الحلفاء (فوش) وصفه للمعاهدة بأنها «ليست سلاماً، إنها هدنة لعشرين عاماً»، مؤكداً أن هذه الإهانة القومية لألمانيا كانت التربة الخصبة للمشاعر المتطرفة التى وظفها الحزب النازى جيداً ووعد الشعب بتخليص ألمانيا من «إرث فرساي».

– أكد بوتين أن «ستالين لم يكن الوحيد الذى ألحق بنفسه العار بمقابلة هتلر، الذى عرف فى أوساط البلدان الغربية بالسياسى المرموق وكان ضيفاً مرحباً به فى العواصم الأوروبية»، فقد انخرطت بولندا مع ألمانيا وبموافقة بريطانية وفرنسية عام 1938 فى ترتيبات لتقسيم تشيكوسلوفاكيا، تحت ما أسماه

بوتين «خيانة ميونخ» والتى جعلت من قيام الحرب قـــدراً محتوماً، مضيفاً أن الاتحاد السوفيتى كان البلد الوحيد الذى وقف بجانب تشيكوسلوفاكيا. وأضاف الرئيس الروسى أن السياسيين الأوروبيين وبخاصة البولنديين يرغبون فى «إخفاء خيانة ميونخ تحت السجادة»، مبرراً ذلك بأن الأوروبيين خرقوا تعهداتهم ودعموا «خيانـــة ميونخ» بـــل وذهاب بعضهم إلى تزييف الحقائـــق، رغم إدراكهم أن الاتحـــاد الســـوفيتى كان البلد الوحيد الذى وقف بجانب تشيكوسلوفاكيا. فقد حاول الاتحاد السوفيتى، وفقاً لالتزاماته الدولية، بما فيها اتفاقاته مع فرنســـا وتشيكوســـلوفاكيا، منع المأســـاة من الحدوث.

فى الوقت ذاته، قامت بولندا، مدفوعة بمصالحها الذاتية، ببذل كل ما فى وسعها لإعاقة إنشـــاء نظام للأمن الجماعى فى أوروبـــا. أما المملكة المتحدة وفرنســـا، واللتـــان كانتا الحليفتين الرئيســـيتين للتشيك والســـلوفاك، فقد قررتا سحب ضماناتهمـــا والتخلى عن هـــذه الدولة لكى تلقى مصيرهـــا. وبفعلتهما هذه، فقد سعتا إلى جذب اهتمام النازى شرقاً بما يدفع ألمانيا والاتحاد السوفيتى على طريـــق الصدام الحتمـــى والدخول فى مواجهة دموية. وأضـــاف بوتين أنه فى الوقت الذى كانت تجرى فيه مفاوضات فى موسكو بين قادة عسكريين سوفييت وفرنســـيين وبريطانيين لإنشاء جبهة موحدة ضد هتلر، كانت تجرى اتصالات سرية نشـــطة بين بريطانيـــا وألمانيا، كما لعبت بولندا دوراً فى إفشـــال هذه المفاوضات، حيث لـــم ترغب فى التحمل بـــأى التزامات مع الجانب الســـوفيتى وحتى تحت ضغـــط الحلفاء الغربيين، رفضت القيـــادة البولندية فكرة القيام بعمل مشترك مع الجيش الأحمر لمواجهة هتلر.

– خلص بوتين إلى أنه فى ظل الظروف عاليه وقع الاتحاد السوفيتى ميثاق عدم اعتداء مع ألمانيا، موضحاً أنه من الناحية العملية كان آخر البلدان الأوروبية التى فعلت ذلك، خاصة وأنـــه واجه تهديداً حقيقياً بالحرب على جبهتين: مع ألمانيا فى الغرب ومـــع اليابان فى الشرق، حيث كانت تجـــرى معركة ضروس على نهر «خالكين جـــول». وآخذاً فى الاعتبار هذا التهديد، فقد ســـعى القادة السوفييت إلى شراء الوقـــت الثمين المطلوب لتعزيز دفاعـــات البلاد. وأضـــاف أن الاتحاد السوفيتى أعطى تقييماً قانونياً وأخلاقياً لما يسمى ميثاق «مولوتوف – روبنتروب» حيـــث أدان مجلس الســـوفييت الأعلى رســـمياً – بقراره المؤرخ 24 ديسمبر 1989 – البروتوكولات السرية على أنها «عمل من أعمال الســـلطة الشخصية، التـــى لا يتحمل الشـــعب الســـوفيتى مسئولية التواطؤ فيها». واستطرد بوتين فذكر أنه ربما لا يعلم الكثيرون أنه بعد هجـــوم النازى مباشرة عـــلى بولندا فى الأيام الأولى من ســـبتمبر 1939، دعت برلين بقوة وبصورة متكررة موســـكو للاشتراك معها فى العمل العسكرى، وهو ما تجاهلته القيادة السوفيتية.

والخلاصة أنـــه بغض النظر عن ما كشفه الرئيس بوتين من معلومات، ذكر أنها من أرشـــيف دول الحلفاء، والتى تعكس نفاق الغرب وسياســـاته التى لا تحترم ســـوى الأقوياء على النحو الذى نراه اليوم من الموقف الغربى من قضايا دوليـــة عديدة بما فيها محنة الشـــعب الفلســـطينى وأزمة ليبيا وسوريا، فإن بعـــض القادة الغربيـــين ربما لا يدرك أنه كلما زادت حدة الانتقادات للرئيس بوتين ونظامه كلما ترســـخت شعبيته وازداد تمســـك الشعب الروسى به. ومن الطبيعى والحال كذلك أن يســـتنهض بوتين الروح الوطنية الروسية والتذكير دائماً بالتضحيـــات الهائلة التى قدمها الشعب الروسى فى الحرب، والتى تسعى حروب الذاكرة الجديـــدة فى أوروبا إلى سرقتها أو محوها.

1-Alexei Miller: Gaps and omissions in Europe's New Memory wars, April 13, 2020, Carnegie Moscow center.

2 – المرجع السابق.

3-David M.Glantz.The Initial period of war on the Eastern front, 22 June – August1941:Proceeding of the Fourth Art of War Symposium ,Garmisch,FRG,October 1987 https://web.archive.org/web/20161230074604/https://books.google.com/books?id=Y94v2momd SAC&P9=PA67.

4 – ظل : DW انظر في ذلك : دويتش فله الحرب العالمية الثانية – حجم الكارثة في أرقام – 19 يناير 2019: ظل – الحرب – / a-50214004 العالمية – الثانية – حجم – الكارثة – في – ارقام http://www.dw.com/ar

5 – ظل الحرب العالمية: DW دويتش فله الثانية – مرجع سابق.

6 – Ishaan Tharoor:How the Soviet Union helped Save the World from Hitler during World War II,https://www.independent.co.uk/news/world/the-soviet-union-helped-save-the-world-from-hitler-a7020926.html.a7020926.html.

7 – إشان ثارور: كيف ساعد الاتحاد السوفيتي في إنقاذ العالم من هتلر خلال الحرب العالمية الثانية – جريدة الإندبندنت – مرجع سابق.

لبنان ألى أين ؟

لبنان كما عرفناه وتعرفنا عليه بهويته الفريدة والمتفردة، بلد التسامح والمحبة، بلد الألفة والمودة، بلد التعايش والتآخى، بلد النشـــاط الاقتصادى البنّاء، والفكر والفن الراقى، درة الشرق الأوسط، وســـويسرا العالم العربى. على الرغم من الصراعات والصدام الدامى أحياناً الذى شهده لبنان فى فترات ســـابقة، إلا أن قدرة شعبه على إعادة البناء والتشـــييد تفوق معدلات الهدم والتدمير. مرّ لبنان بأكثر من محنة ومأزق وخرج منها قوياً متعافياً وهكذا سيكون .

اليـــوم يمـــر لبنان بأقـــسى المحن وأسوأها، متجسدة فى تدمير مرفأ بيروت، ذلك الدمار الذى أشـــبه بزلزال عنيف هزّ لبنان والمنطقة ليخلف وراءه مئات من الضحايا الأبريـــاء، وتشريد الآلاف من المواطنين الشيوخ والنساء والشباب والأطفال، وتدمير منشـــآت ومؤسسات وأبنيـــة وممتلكات عامـــة وخاصة، بل وفـــرض ضرورة الإصـــلاح والتغيير استجابة لمطالب شعبية عارمة للأجيال الجديدة. وعن عملية التدمير التى لحقت بلبنان وهى أمر - دون أن نستبق نتائج تحقيق دولى مستقل مأمول ومنشود - ، يصعب تصور أن تكون حدثاً عارضاً، بل إنها عـــلى الأرجح بفعل فاعل على عكس مـــا ورد فى تصريح للرئيـــس الفرنسى ماكرون الذى ربما قصد به عدم توجيه أو التلميح بأى اتهـــام لأى طرف قبل عقد مؤتمر دعم لبنـــان الذى دعا إليه. أما الفاعل وإن كان شبه مجهول حتى الآن، انتظاراً لنتائج تحقيق مرتقب، فإن الإجابة على السؤال الحاكم فى هذا الصدد وهو مَن صاحب المصلحة فى ارتكاب هذه الجريمة الشـــنعاء؟ قد تنحصر الإجابة على الأرجح على ضـــوء قراءة المعطيات الحاليـــة فى احتمالين لا ثالـــث لهما، أحدهما حزب داخلى له ارتباطات ولائية خارجيـــة، والآخر دولة بالجوار فى حالة عداء مع ذات الحزب بصفة خاصة .

لقد عاش لبنان منذ اســـتقلاله على تركيبة طائفية متوازنه بين مســـلميه ومســـيحييه، بين طوائفه الإســـلامية ونظيرتها المسيحية، بوضعية خاصة فى إطار عالمـــه العربى، وفى ارتباط بالعالم الغربى وخاصة فرنسا دولة الاستعمار السابق للبنان الذى كان تحت الانتداب الفرنـــسى، ونأى بموجبهـــا - أى بتلك التركيبة المتوازنة - عن صراعات إقليمية دولية بقدر المستطاع، ولم يكن هناك ما

سفير د. صلاح حليمة

salah_halima@hotmail.com

يعكر صفو أمن لبنان واستقراره سوى صراعات محلية نشبت على خلفية تواجد منظمات ذات طابع طائفى، تتبنى مسار المقاومه الفلسطينية للاحتلال الإسرائيلى كما أعلنت فى فجـــر التكوين، ارتبطت آنذاك أو ربما فى مرحلة لاحقة بعلاقات عضويـــة بدول ذات نهـــج أيديولوجى طائفى إســـلامى معتمد عسكرياً على ميليشيات متطرفة، وفرت لها تلك الدول الدعم المادى بالســـلاح وبالمال والدعم المعنوى سياســـياً فى المحافـــل المحلية والإقليمية والدوليـــة، وهى دول المحور الثلاثـــى إيران وقطر وتركيا، لتنشـــئ على ضـــوء مجمل ما تقدم ميليشـــيات خاصـــة بها، عـــلى مســـتوى عال من التدريب والتسليح والقدرات العسكرية والماديـــة لتصبح فى واقـــع الأمر دولة داخل الدولة بسيطرتها على مؤسساتها المختلفـــة ومفاصل الحكـــم فيها، ولم يعد الأمر فى حقيقتـــه مقاومة الاحتلال الإسرائيلى ودعم القضية الفلســـطينية، وإنما الهيمنة والســـيطرة على مقدرات الدولة، ومؤسساتها ومفاصلها المختلفة ومنها المرفأ، ودانت بالولاء لدولة الملالى الإيرانية، ودولة الـــولاة التركية، والدعم المالى القطـــرى. ولتبدأ تلك المنظمات فى الاضطلاع بدور عسكرى وسياسى بدول فى الجوار اللبنانى بالتدخل لصالح هذه الدولة أو تلـــك، متجاوزة بذلك المصالح الإستراتيجية للبنان، والوضعية الخاصة له، وما تـــم التوافق عليه ليختل التوازن القائم بين تركيبتـــه الدينية والطائفية، وليشهد لبنان أوضاعاً سياسية متأزمة،

وأوضاعاً اقتصادية متدهورة، واجتماعية متصادمة مع انتشار الفساد وتهريب وتخزين السلاح والاتجار به، وبدا مرفأ بيروت ملاذاً لدول الملالى والولاة والتى تمارس تدخلات خارجية بدول عربية/ وعربية إفريقية/ وإفريقية، كمخزن للأسلحة والمواد المتفجرة للاستخدام عند المقتضى داخلياً أو خارجياً.

واقع الأمر أن تفجير المرفأ لم يكن سوى القشة التى قصمت ظهر البعير أى التى فجّرت الموقف الداخلى وزادته اشتعالاً، فقد سبق الحادثة مظاهرات واحتجاجات شعبية صاخبة على مجمل تلك الأوضاع المشار إليها، مطالبة بالإصلاح والتغيير، ومؤكدة عدم الثقة فى الحكومة القائمة وتوجيه العديد من الاتهامات لممارسات تصب فى غير مصالح الشعب ودولة لبنان، بل ونادت بإسقاط النظام وضرورة تغيير أسسه ومكوناته القائمة على تركيبته الطائفية التى فقدت توازنها المعهود، وأن يتخذ النظام المنشود من المواطن والإنسانية أساساً ومنطلقاً. ومن هنا ليس الوضع الشائك أو المنزلق الخطر الذى يمر به لبنان اليوم هو تفجير المرفأ وما أفرزه من تداعيات سلبية بشرية ومادية، إذ أنها أمور لها الأولوية، وستتم مداواتها ومعالجتها بدعم إقليمى ودولى متنوع على غرار نموذج مؤتمر باريس، بل ويمكن للجامعة العربية أن تطرح مبادرة فى نفس الإطار بعقد مؤتمر عربى لدعم لبنان فى المجال الإنسانى وإعادة الإعمار والبناء مماثلاً لمؤتمر عقدته فى الخرطوم من أجل دارفور فى عام 2007/ 2008 شاركت فيه الدول العربية ومنظمات المجتمع المدنى العربية، ارتباطاً بالعمل العربى المشترك بجانب الدور الذى تضطلع به دول عربية فى الإطار الثنائى فكلاهما أى العمل الثنائى والعمل المشترك لا يغنى أحدهما عن الآخر.

لقد كانت ثقة الشعب اللبنانى مفقودة فى الحكومة القائمة مثلما حظيت بنفس الوضع من عدم الثقة إقليميا ودوليا لحد كبير، وتوالت استقالات وزراء لتعلن الحكومة استقالتها أيضا أمام ضغوط شعبية، وإقليمية ودولية، والتى تجلت فى تصريحات لرؤساء دول وحكومات ومواقف من جانبهم ومن جانب مؤسسات مالية دولية مثل صندوق النقد الدولى تتحدث عن توجيه المساعدات للشعب وليس للحكومة وربط أية مساعدات بعملية إصلاح وتغيير إقتصادى وسياسى.

وفى التقدير أن لبنان سيمر بمرحلة انتقالية ستشهد عملية إصلاح سياسى واقتصادى ووضع حد للفساد والمفسدين، وإنهاء محاولات الهيمنة والسيطرة من الداخل والخارج خاصة لأطراف بعينها، والتوجه نحو تفكيك جميع الميليشيات ونزع سلاحها وربما دمجها فى القوات المسلحة اللبنانية أو أجهزة الشرطة أو القطاع المدنى تحت إشراف إقليمى دولى، وربما تشكيل مؤسسات الدولة فى المرحلة الحالية فى إطار التوازن الطائفى التقليدى، لتتلوه مرحلة تالية تتخذ من المواطنة أساساً ومنطلقاً لدستور جديد يحافظ على النسيج الاجتماعى للشعب اللبنانى دون تحزب أو تعصب أو ولاء أو ارتباط بقوى خارجية تهيمن وتسيطر على مقدرات الدولة وشعبها. وربما يكون ذلك كله فى المرحلة الانتقالية تحت إشراف إقليمى ودولى عبر حكومة وحدة وطنية تكنوقراطية تتوافق عليها الأحزاب السياسية لحين إجراء انتخابات ووضع أسس جديدة لقانون انتخابى جديد.

إسرائيل والاختلاف على المسروق

عاشـــت إسرائيل على مدى عام كامل فى حالة اختلافات على تشكيل الحكومة واضطرت إلى إجراء الانتخابات أكثر من مرة والتى لم تختلف نتائج كل منها عن سابقتها كثيرًا. وكان رئيس الوزراء نتنياهو وحزب الليكود الذى يتزعمه وراء هذه الخلافات إزاء الإصرار على أن يكون نتنياهو رئيسًـــا للوزراء فى كل الأحوال لسبب عام وهو أن اليمين الإسرائيلى المتطرف يرى فيه أفضل من يحقق لإسرائيل طموحاتها التوســـعية بحكم علاقته مع الرئيس الأمريكى ترامب الذى أعطى له الضوء الأخضر بل والدعم لتحقيق الكثير مما تســـعى إليه إسرائيل، ولسبب خاص وهو أن نتنياهو يواجه اتهامات جادة بخيانة الأمانة والفســـاد والرشـــوة انتهت بتقديمه إلى المحاكمة وهو يستميت فى الاحتفاظ بمنصب رئيس الوزراء لعله يحقق له مظلة حماية بالحصانة أو يجد من خلاله مخرجاً أو يعقد صفقة.

سفير رخـا أحمد حسن

rakhahassan@yahoo.com

وفى إطار هذه الأجواء، وبما تقدمه خطة الســـلام الأمريكية المعروفة بصفقة القرن من هدايـــا لإسرائيـــل وفى مقدمتها حرية كبيرة فى ضم مزيد من الأراضى الفلسطينية المحتلة إلى إسرائيل، وخشية نتنياهو واليمين الإسرائيلى المتطرف مـــن احتمال عدم فوز الرئيس ترامب بفترة رئاســـية ثانية والذى أصبح احتمالاً مرجحًـــا، فقد وعد نتنياهو أثناء حملاته الانتخابيـــة بأنه عندما يتولى رئاســـة الحكومة فإنه سيقدم لها مشروعًا بضم غـــور الأردن، وشـــمال البحر الميت، والمســـتوطنات الإسرائيلية عـــلى الأراضى الفلسطينية فى الضفة الغربية لنهر الأردن، إلى إسرائيل مستندًا كما يقول إلى أن صفقة القرن الأمريكية تعطى إسرائيل هذا الحق.

وعندما عقد نتنياهو اجتماعًا مع زعيمى حزب كحول لافان «أبيض أزرق» المتحالف معه وهما بيتـــى جانتس، رئيس الحكومة البديل ووزير الدفاع، وجابى اشـــكنازى، أبديا تحفظهما على خطة تنفيذ ضم أراض فلســـطينية فى الضفة الغربية إلى إسرائيل وأوضحـــا أن الطريقة التى تطرح بها هذه المســـألة والتفكير فى تنفيذهـــا دون حوار مع الفلسطينيين، ســـتلحق أضرارًا كبيرة، وتهدد بآثار سلبية للغاية على إسرائيل. وأن الإدارة الأمريكية تعيد النظر فى مسألة الضم من حيث طريقة التنفيـــذ وموعده، وذلك لانشغالها بالانتفاضة الشـــعبية الداخلية، وبســـبب اعتراضات من الـــدول العربية وأيضًا بســـبب الخلافات بين المستوطنين الإسرائيليين ومظاهر العداء التى عبر عنها بعضهم ضد الرئيس ترامب.

ومع ذلك فيلاحظ أن حزب كحول لافان ليس ضد فكرة ضم المستوطنات إلى إسرائيل مع اختيار التوقيتات المناسبة.

وقد تناول الإعـــلام الإسرائيلى ما جرى من اتصـــالات أمريكية مـــع بيتى جانتس وغيره من المسئولين الإسرائيليين تفيد بأنه من المستحســـن تأجيل عمليـــة الضم وأن جانتس أبدى احترامًا للرغبة الأمريكية، وأنه من الأفضل استمرار الحوار بين الإسرائيليين والأمريكيين ومـــع جهات أخرى ليصلوا إلى خطة متوازنة فى نهايـــة الأمر، خاصة وأن دولاً عربية مؤثرة مثل مصر والســـعودية والكويت والأردن، غاضبة وتعارض خطة الضم.

كما وجه 55 عضوًا من الديمقراطيين والجمهوريـــين فى الكونجـــرس الأمريكى رسالة إلى السفير الأمريكى فى إسرائيل ديفيد فريدمـــان، يطالبونه فيهـــا بإبراز الموقف الأمريكى الرافض للمساس بحقوق الإنسان للفلسطينيين، وكبح جماح عنف المستوطنين الإسرائيليين ضدهم والـــذى يتم لأغراض سياســـية لفرض الأمر الواقـــع للاحتلال وتوســـيع رقعـــة ضـــم الأراضى المتوقعة باســـتغلال الدعم الأمريكى للاســـتيطان، بطريقة غير أخلاقية. وأوضحوا أن سكوت الإدارة الأمريكيـــة على عنف المســـتوطنين يجعلها شريكًا فى الاعتـــداءات رغمًا عنها، وتقدم أكبر فرصة لتثبيت الاستيطان.

وقـــد التقـــى نتنياهـــو مع رؤســـاء المســـتوطنات فى الضفـــة الغربيـــة ممن يؤيـــدون صفقة القـــرن، وأوضح لهم أنه من جهته يرغـــب فى تنفيذ قرار الضم فورًا وعدم الانتظار حتى بدايـــة يوليو 2020، لكـــن الإدارة الأمريكية لم تعـــط الضوء الأخضر، وأنه بدون ذلك لا يجوز لإسرائيل أن تتصرف كما تريـــد وأن الرئيس ترامب لا مثيل له فى دعـــم إسرائيل وهى تريد أن تســـتغل وجوده لتســـوية الأمور المختلف عليها ومناقشتها معه، وأنه - أى نتنياهو - سيسعى لإنهاء هذه الأمور قبل الانتخابات الأمريكية. وطمأن زعماء المستوطنات بأنه لن يكون هناك تجميد لبناء المســـتوطنات فى أية مستوطنة، وأن الأمريكيين يتحدثون عن دولة فلســـطينية فى صفقة القرن، لكن إسرائيل لا تســـميها كذلك، وهى ليســـت كذلك، إنها كيان مستقل، لكنه أقل من دولة بكثـــير، ولن يكون هناك ربـــط بين الضم وبين الدولة الفلســـطينية، وأن القرار الذى سيتم طرحه لمصادقة الحكومة الإسرائيلية عليه بشأن الضم لن يتضمن أية إشارة إلى دولة فلســـطينية، وأنه لن يوافق على منح الفلســـطينيين 30٪ إضافيـــة من الضفة الغربية كما تنص صفقة القرن، بل سيجرى بشأنها مفاوضات مع الفلسطينيين عندما يغيرون موقفهم من صفقة القرن.

كما أوضح رئيس الكنيســـت لزعماء المســـتوطنات وهـــو يشـــارك فى اللجنة الإسرائيلية الأمريكية لترســـيم الحدود، أن الأمور لن تتأخر، وأنهم ســـيمضون قدمًا بمخطط الضم خلال الفترة المقبلة.

ويشـــن عـــدد كبير من المســـتوطنين المتشددين حملة ضد قيام دولة فلسطينية بدعـــم وتمويل مـــن عنـــاصر فى اليمين الراديكالى الأمريكى والمعروفين بالإنجيليين وهدفهم محاصرة الرئيـــس ترامب فى عز حملته الانتخابية، ورئيس الوزراء الإسرائيلى نتنياهـــو فى معمعة معركتـــه القضائية، وسعيه لإجراء انتخابات إسرائيلية جديدة. وهدف المستوطنين إسقاط فكرة إقامة دولة فلسطينية التى تتحدث عنها صفقة القرن، رغم أنهـــا دولة ضعيفة، وغير مســـتقلة، ولا يرضى بهـــا الفلســـطينيون. ويدعى المســـتوطنون أن مجرد طرح فكرة الدولة الفلسطينية فى الصفقة يضع أساسًا لدولة إرهاب، ولتكبيل الاستيطان، والتهديد بوضع نحو 300 ألف مســـتوطن فى مستوطنات معزولة، ويتزعم هذا الاتجاه المتطرف رئيس مجلس مســـتوطنات غور الأردن ورئيس المجلس العـــام للمســـتوطنات فى الضفة الغربيـــة ديفيد الحيانى، الذى يصطدم مع نتنياهـــو علنًا، ويصف ترامـــب بأنه ليس صديقًا لإسرائيل!! ويرى المســـتوطنون أنه يمكن ضم أراض فلســـطينية دون موافقة أمريكا، ويستشـــهدون بضم رئيس وزراء إسرائيل الأسبق ليفى أشكول شرق القدس دون موافقة الأمريكيـــين، ومناحم بيجن ضم الجولان أيضًا بعدم رضاء الأمريكيين، وأن القـــول بضرورة موافقـــة الأمريكيين ليس صحيحًـــا، ويرون أن ثمن التوافق مع الرئيس ترامب باهظ جدًا.

هـذا ويخشى نتنياهو من موقف الإنجيليين فى الولايات المتحدة حيث يحتاجهم ترامب فى الانتخابات الرئاسية فى نوفمبر 2020، وقد صوتوا لصالحه فى انتخابات 2016 ولكن موقفهم الآن أصبح محل مساومة. وقد طرد ترامب المتظاهرين بالغاز المسيل للدموع من أمام البيت الأبيض لمحاولة إرضائهم، ولكن النتيجة كانت مغايرة إذ أن الكنائس الإنجيلية هى التى نظمت المظاهرة الكبرى ضد ترامب بعد ثلاثة أيام فقط من تلك الواقعة، ومن ثمّ لم يعد ترامب يعول كثيرًا على تصويت الإنجيليين بمن فيهم من يؤيدون إسرائيل، ويتجاوبون مع المستوطنين المتطرفين.

اقتراح فلسطينى مضاد للضم

أعلن رئيس الوزراء الفلسطينى محمد أشتيه فى 9/ 6/ 2020 عن تقديم اقتراح فلسطينى مضاد للخطة الأمريكية للسلام - صفقة القرن - إلى اللجنة الرباعية المكونة من الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبى وروسيا والولايات المتحدة، ويتضمن الاقتراح:

- إنشاء دولة فلسطينية ذات سيادة مستقلة ومنزوعة السلاح، عاصمتها القدس الشرقية.
- إجراء تعديلات طفيفة على الحدود عند الضرورة، ومبادلات محتملة للأراضى بين فلسطين وإسرائيل، وأن يكون التبادل متساويًا من حيث الحجم، وقيمة الأراضى.
- يعتبر الاعتراف بالدولة الفلسطينية إجراء وقائيًا ضد الضم.
- ضرورة إشعار إسرائيل بالضغوط الدولية وبحث فرض عقوبات عليها إذا اتخذت خطوات أحادية.
- ضرورة التمسك بالقانون الدولى، وحل الدولتين على حدود 4 يونيو 1967.

وقد هدد أشتيه بسحب اعتراف منظمة التحرير الفلسطينية بإسرائيل فى حال إقدامها على تنفيذ نواياها بضم أجزاء من الضفة الغربية إلى سيادتها.

وسربت السلطة الفلسطينية أن لديهم الكثير من الأوراق من بينها الرسائل المتبادلة بين ياسر عرفات وإسحق رابين فى 9 سبتمبر 1993، وقد اعترفت منظمة التحرير الفلسطينية بإسرائيل دولة، فيما اعترفت إسرائيل بالمنظمة، ومن ثمّ ستكون مسألة الاعتراف بإسرائيل مطروحة فى حالة تقويض فرص إقامة الدولة الفلسطينية.

وقد أكدت السلطة الفلسطينية على ما يلى:

- عدم الموافقة على أى قرار أحادى إسرائيلى بضم أراض فلسطينية إليها.
- رفض أية مباحثات مع الإسرائيليين والأمريكيين قبل التراجع عن صفقة القرن وخطة الضم، وأن تكون المفاوضات على أساس القانون الدولى وحل الدولتين. وأنه مع وجود بعض المؤشرات غير المؤكدة عن تراجع أمريكى عن تأييد خطة الضم، إلا أن السلطة الفلسطينية قد أوقفت كل أشكال التعامل مع إسرائيل والولايات المتحدة، وإذا نفذت خطة الضم فإنها لن تلتزم بالاتفاقات مع الاحتلال الإسرائيلى وكل ما يترتب عليها، وأنها فى المرحلة الثالثة ستطالب قوات الاحتلال بتحمل مسئولياتها كقوة احتلال لأراضى دولة فلسطين.

ردود الفعل العربية والدولية

لقى مشروع إسرائيل بضم غور الأردن، وشمال البحر الميت، والمستوطنات الإسرائيلية فى الأراضى الفلسطينية المحتلة فى الضفة الغربية لنهر الأردن معارضة قوية على المستويين العربى والدولى.

فقد استنكرت الدول العربية مشروع الضم، واعتبره الأردن مهدداً لعملية السلام والاستقرار واتفاق السلام مع إسرائيل. وأكد أمين عام جامعة الدول العربية أن مشروع الضم مخالف للقانون الدولى ويقضى على أية فرصة لتحقيق حل الدولتين وإقامة دولة فلسطينية مستقلة عاصمتها القدس الشرقية. وعمل على بناء تحالف دولى من كل الدول المعارضة لمشروع الضم الإسرائيلى خاصة وأن أغلبية الدول والتكتلات الدولية تعارضه وتم الاتفاق على عقد اجتماع خاص لمجلس الأمن الدولى لمناقشة ورفض المشروع الإسرائيلى.

وسبق أن أعلنت روسيا رفضها صفقة القرن الأمريكية استنادًا إلى رفض الفلسطينيين لها وكذلك جامعة الدول العربية، ومن ثمّ فمن غير المنطقى الترويج لها.

وأعلن وزير خارجية ألمانيا أثناء زيارته إسرائيل يوم 10/ 6/ 2020 أن حكومته تعتبر القرار الإسرائيلى بضم أراض من الضفة الغربية أمرًا مخالفًا للقانون الدولى وخارقًا لاتفاقيات السلام. وقال إنه قلق لأن الضم ينسف عملية السلام برمتها ويجعل من حل الدولتين الذى تؤيده ألمانيا وتعتبره أفضل الحلول، حلاً غير واقعى، وغير عملى.

وقد أصدر مؤتمر وزراء خارجية دول منظمة التعاون الإسلامى، قرارًا حذر فيه سلطات الاحتلال الإسرائيلى من ضم أى أراض فلسطينية محتلة وأن الضم يعد إعلانًا رسميًا من إسرائيل بإلغاء كافة الاتفاقيات الموقعة معها، وإنهاء التسوية التفاوضية ويدفع المنطقة إلى مزيد من العنف وعدم الاستقرار وإدانة أى طرف يساند أو يدعم هذه الخطوات العدوانية بأى شكل من الأشكال ودعوة المجتمع الدولى إلى عدم التعامل مع أية حكومة إسرائيلية على أجندتها مشروع الضم، وفرض عقوبات اقتصادية وسياسية ومقاطعة منظومة الاستعمار الإسرائيلى.

كما أعرب ممثل السياسة الخارجية والأمن فى الاتحاد الأوروبى فى اتصال مع الحكومة الإسرائيلية عن قلق قادة الأمن فى أوروبا من مخطط ضم أراض فلسطينية محتلة لإسرائيل والتزام الاتحاد الثابت بحل الدولتين واستعداده للمساهمة فى العمل على استئناف المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية.

وقد بدأت إسرائيل فى إعادة دراسة الموقف على ضوء ردود الأفعال القوية المعارضة لبرنامج الضم ومن الأفكار التى ينظر فيها رئيس الوزراء نتنياهو ومؤيدوه تجزئة عملية الضم إلى مراحل بحيث تبدأ بالمستوطنات فى الضفة الغربية وقد يكون إما بإعلان ضمها إلى إسرائيل أو الاكتفاء مرحلياً بإعلان سيادة إسرائيل عليها، مع إرجاء ضم غور الأردن لما يحيط به من تعقيدات بشأن العلاقات مع الأردن.

وتشير تقديرات جيش الاحتلال الإسرائيلى إلى أن الضم لن يؤدى إلى انتفاضة ثالثة لأن عملية الضم فى رأيهم لا تؤذى الجمهور الفلسطينى ولكنهم حذروا من أن أى حدث بسيط قد يتحول إلى توجه لتصعيد قوى وإن كانوا يرون أن ثمة فرصاً ضئيلة لأن يدعو الرئيس عباس إلى تصعيد أمنى.

ويلاحظ أن السلطة الفلسطينية بدأت تتعامل مع إسرائيل عبر طرف ثالث عند الضرورة مثل الصليب الأحمر الدولى كما بدأت تهيئة الأجواء لحشد مظاهرات احتجاجات جماهيرية ضد قوات الاحتلال مع اقتراب أى تنفيذ لأى برنامج ضم إسرائيلى.

ورغم كل ردود الأفعال القوية على كافة المستويات الفلسطينية والعربية والدولية الرافضة تماماً لمشروع إسرائيل ضم أجزاء من الأراضى الفلسطينية المحتلة باستثناء الموقف الأمريكى المنقسم ولكنه أميل لضم فى إطار صفقة القرن، فإن نتنياهو متمسك ومصر على تنفيذ مشروع الضم سواء مرة واحدة وإذا تعذر ذلك يكون الضم على مراحل حيث يعتبره نتنياهو إنجازاً بالغ الأهمية فى مسيرته السياسية التى يخشى أن تنتهى بالمحاكمة الجارية له وإدانته كما حدث مع رئيس الوزراء السابق أولمرت كما يرى أهمية تحقيق مشروع الضم فى وجود الرئيس الأمريكى ترامب فى السلطة لأنه يعتقد أنه أكثر الرؤساء دعماً لإسرائيل. لذا فمن غير المتوقع أن يتراجع عن تنفيذ الضم وبدأت بعض استطلاعات الرأى العام الإسرائيلية تنشر نتائج استطلاعات تشير إلى أنه لو أجريت انتخابات إسرائيلية الآن سيفوز فيها نتنياهو بما لا يقل عن 40 مقعداً وستحقق أحزاب اليمين الأخرى المتحالفة معه مكاسب تكفل لهم مع نتنياهو تشكيل حكومة بأغلبية مريحة فى الكنيست، وهذا كله يشجع نتنياهو على المضى فى برنامج الضم.

والموقف الدولى فى صالح السلطة الفلسطينية والدول العربية ويتطلب استثماره بأقصى ما يمكن لوقف مشروع الضم الإسرائيلى، وإذا تم تنفيذه تفرض عقوبات رادعة اقتصادية وتجارية وثقافية على إسرائيل لخرقها الشرعية الدولية.

العام المصرى الجديد 6262
«مفهوم الزمن عند قدماء المصريين»

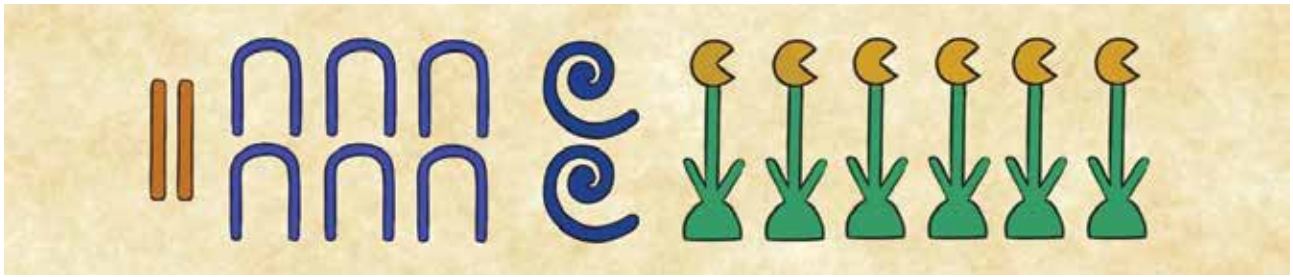

تستقبل مصر فى 11 سبتمبر 2020 اليوم الأول من شهر تحوت «توت» عام 6262 بالتقويم المصرى القديم وسط كثير من الصعاب، وأهمها الإرهاب فى سيناء، وجائحة كورونا وآثارها على طريقة المعيشة والاقتصاد، ومخاطر عدم الاتفاق مع اثيوبيا لتجنب التأثيرات السلبية المحتملة لسد النهضة حتى الآن، والتدخلات الخارجية فى العالم العربى وآخرها فى ليبيا الجارة مما يهدد حدودنا الغربية . ومع ذلك فإن قراءة الرقم 6262 كفيل بطمئنتنا إلى استمرار مصر أقدم دولة فى التاريخ لأنها عبرت جميع التحديات التى واجهتها فى الماضى وتستمر فى الحياة بل والحيوية وإن شاء الله إلى الازدهار والرفاهية، فمرحباً بالعام المصرى الجديد 6262.

سفير عبدالفتاح عزالدين

afmecairo@gmail.com

مصر الحضارة

يقول المؤرخون انه عند وصول جنود الحملة الفرنسية إلى الأقصر فى المراكب وعندما وقعت أنظارهم على معبد الكرنك الرائع ران عليهم الصمت وأخذوا ينظرون مشدوهين ، ثم أخذوا فى التصفيق بحماس وعندما وصلت المراكب إلى الشاطىء ودون أى أوامر أخذوا يصطفون بخطوة محلك سر ،وهم يرفعون أيديهم بالتحية العسكرية تعظيماً لما يروه من العجائب المصرية التى تتحدى الزمن.

تعجبنى هذه الصورة التى نقلها المؤرخون ومازلنا نراها فى نظرات الإعجاب بالآثار المصرية فى المعارض الدولية حول العالم وفى نظرات السائحين .

والمصريون جد فخوريين بما صنعه أجدادهم فيقول مثلا الشاعر عبدالوهاب محمد فى أغنية حق بلادك «عام 1967» غناء السيدة أم كلثوم: قوم بإيمان وبروح وضمير/ دوس على كل الصعب وسير/ يالى بنيت الهرم/ قبل الزمان بزمان.

ويقول الشاعر عبدالفتاح مصطفى فى أغنية طوف وشوف «عام 1964» والتى تشدو بها أيضاً السيدة أم كلثوم.. شوف آثار أجيال ملوا الدنيا حضارة وابتكار/ علموا قلب الحجر يوصف معارك الانتصار/ علموه يبقى سفير الدهر ليهم بالفخار/ كان نهار الدنيا ماطلعشى وهنا عز النهار.

وأحاول هنا البحث عن مفهوم أو النظرة إلى الزمن لدى المصريين القدماء.

المجتمع والزمن

من المعروف ان هناك ظاهرتان طبيعيتان أثرتا فى حياة المصرى وتفكيره وهما الشمس والنيل ، ومنهما استمد فكرة الاستمرارية والخلود «تعاقب الليل والنهار والفيضان السنوى لنهر يتجدد».

وقد أدرك المصرى القديم الزمن وتقسيماته وقياسه واخترع أدوات قياسه . وورد الزمن فى أساطيره وفى الديانة واللغة والأدب وساعدهم على ذلك تقدمهم فى علوم الرياضيات والهندسة والفلك والتكنولوجيا، وقد وضعوا التقاويم كما عرف مؤرخونا القدامى كيف يسجلون تاريخنا الطويل وكيف يقسمونه إلى حقب وأزمنة.

فى مجال الأسطورة تصور ان العالم كان موجوداً فى هيئة ماء يسوده غمام «الظلام والفوضى» ثم ظهر تل مقدس أو بيضة كبيرة ، وبدأ ظهور الآلهة التى أوجدت نفسها فى البداية بالكلمة أو خرجت من هذه البيضة.

أسطورة الإله رع تقول انه يتجول فى السماء بمركبه كل يوم ثم عندما يذهب إلى العالم الآخر يحل الظلام ثم يظهر فى صباح اليوم التالى وهكذا دواليك، كما أن أسطورة أوزيريس وعودته إلى الحياة وترأسه محكمة الآخرة تدلل على فكرة الخلود بعد البعث.

كذلك فإن اسطورة طائر الفينيكس «العنقاء» الذى لا يوجد منه سوى طائر واحد فى أى زمان يذهب قرب انتهاء حياته «500 عام» إلى مدينة هليوبوليس «أو عين شمس الحالية» حيث يحترق ومن رماده يظهر طائر جديد.

هذه الأساطير تهتم بفكرة البعث والحياة بعد الموت والخلود.

وفى الدين كان هناك آلهة عديدين فى كل إقليم من أقاليم مصر الـ 42 وبينها إله مفضل، وانتشرت عبادة التاسوع فى بعض المدن الكبيرة القديمة «عددها كان يتراوح بين 7 - 10آلهة أحياناً»، مثل تاسوع هليوبوليس، وبالتدريج أخذ الملوك فى تفضيل إله الشمس رع وعبد المصريون رع كما عبدوا أوزيريس «ديانة المزارعين» واختلطت عبادة الاثنين «هنرى برستيد فجر الضمير» .

آمن المصرى القديم وفق هذه الديانه بأنه بعد الموت سيحاكم أمام محكمة من 24 قاضياً يمثلون أقاليم مصر ويرأسهم الإله أوزيريس ،ويقوم الإله تحوت إله الحكمة والعلم والسحر بتسجيل أعمالهم وأقوالهم والحكم عليهم فيوضع قلب الميت فى كفة وريشة الآلهة ماعت آلة الفضيلة والعدالة فى كفة، فإن رجحت كفته «أى كان صالحا» يخلد فى الحقول الخالدة «الجنة» وإن لم ترجح «أى كان طالحا» يكون

التقاويم الثلاثة المستخدمة فى مصر اليوم (الميلادى والقبطى والهجرى)

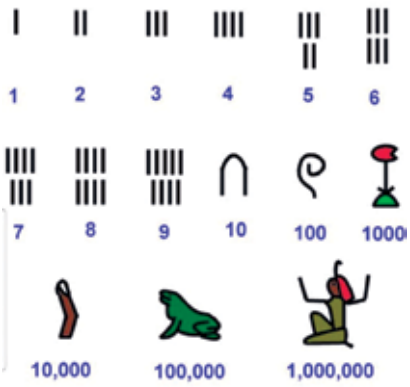

جدول الأرقام الهيروغليفية

هلاكه ونهايته بإلقاءه إلى الوحش «عميت» وهو حيوان مركب له رأس تمساح وجسم أسد ونصفه الخلفى فرس النهر وتساعده وحوش أخرى.

تضمنت اللغة المصرية القديمة «نتر حرو» أى الكلام المقدس ألفاظاً كثيرة وتعبيرات عن الزمان مثل: الثانية «حات» - الدقيقة «آت» - الساعة «آنوت» - اليوم «هرو» - الشهر «أبد» - السنة «رنبيت»، وتضمنت تعبيرات: زمن طويل - أبدى - مليون عام . وكانوا يطلقون على مدينة منف «مدينة الزمن اللانهائى» ،وكانوا يطلقون على الملك مينا تسمية معناها «المؤسس الراعى الخالد» (د. على رضوان).

وفى الأدب المصرى القديم سواء الأدب الدينى أو الحكم والقصص أدركوا الفصل بين مراحل حياة الإنسان من طفل إلى صبى إلى شاب ثم إلى كهل ، واهتموا برعاية الطفل وصنعوا له الألعاب، واهتموا بتعليم الصبى حرفة، وقدموا النصائح للشاب وحرصوا على تزويجه، وأدركوا ان الكهولة ضعف ومرض ولكنها أيضاً حكمة واستعداد لما

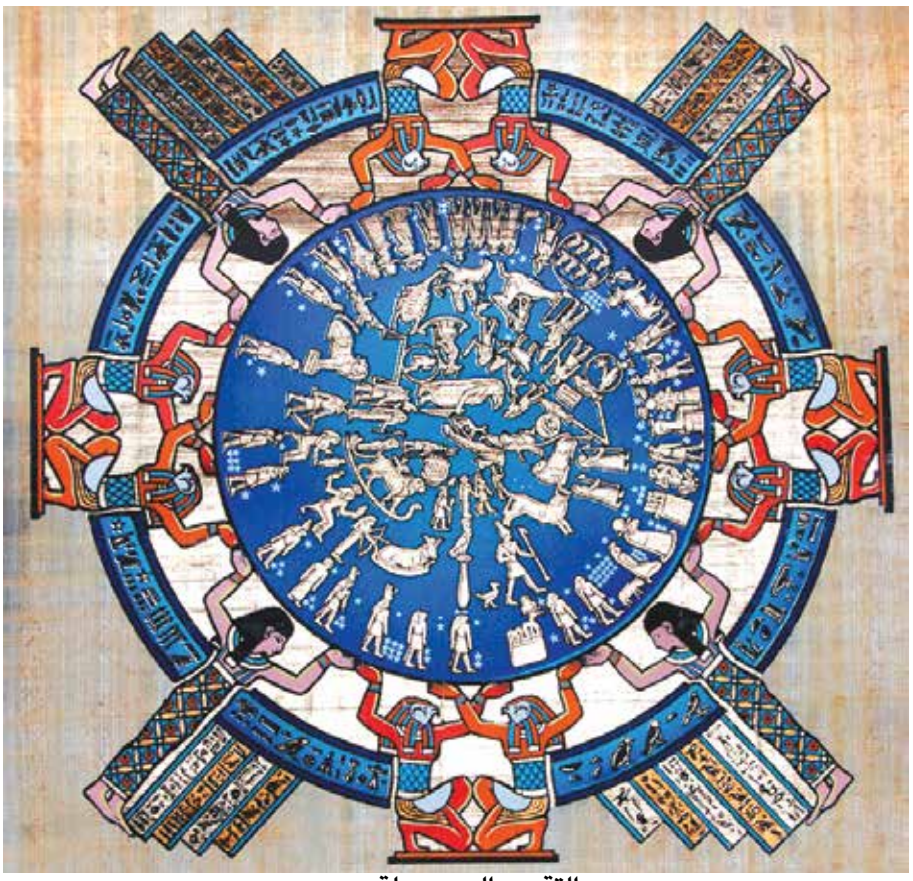

التقويم المصرى لقديم

بعد الموت «حكم إيبور»، وعموماً نصحوا ومدحوا الصبر كفضيلة.

كما كانوا يحتفلون بأعياد 30 عاماً و60 عاماً و120 عاماً للملك «فكرة الأجيال» (ويمكن ملاحظة تشابهها مع فكرة اليوبيل الفضى والذهبى والماسى فى العصر الحديث) وكانوا يعبرون عن رغبتهم فى العيش طويلا وفى «الخلود» بعد الموت.

ومن الأمثلة الأدبية التى يتضح فيها منظور الزمن يقول الملك: «لا تشغل بالك بطول الأيام لأنهم (القضاة فى العالم الاخر)يرون العمر كأنه ساعة، يبعث المرء بعد موته وتوضع أعماله بجانبه كالجبال، لأن السرمدية هى التى تنتظر الإنسان هناك والأحمق من يحتقرها.»

ورجل عاش فى زمن حكم الرعامسة «1290 - 1270 ق.م» ظهر على لوحة وهو يتحدث إلى أبو الهول فيقول:» إنك الوحيد المتواجد على الدوام، بينما الناس جميعاً إلى زوال.»

ويقول الحكيم بتاح حتب: «كن محباً للخير والناس، تكن سيداً فى الدنيا والآخرة» .

«إن من يأتى «إلى العالم الآخر» دون أن يقترف إثماً، سيحيا كأنه إله ويستمر فى عيشه حراً كسادة الأبدية «تومليين».

وفى الرياضيات عرف قدماء المصريين الأرقام وحسابات الجمع والطرح والضرب والقسمة وكانت لديهم طريقة لكتابة الأرقام من 1 حتى عشرة مليون «انظر الأرقام المصرية»، والذى وفقاً لطريقتهم فى الحساب يمكن مضاعفته ان احتاجوا.

وفى الهندسة والعمارة كانوا متطورين للغاية فقاسوا مساحة المربع والمستطيل والدائرة «باستخدام معامل 3.14» ،واخترعوا الأدوات العملية لقياس مساحة الأراضى ، ومقياس النيل لمعرفة مدى ارتفاع مياه الفيضان وبالتالى يحددون الضرائب.

وتعتبر المسلة تطويراً لفكرة المزولة أى الساعة الشمسية ، فقد تابعوا ظل المسلة على الأرض أثناء النهار وقسموا دائرة حول المسلة إلى 12 قسما أو ساعة، وتطور ظل المسلة ليصبح عقرب «مؤشر» الساعة الحديث.

ومثال آخر ساعة أمينوفيس الثالث المائية «مقال السيد د. مهندس هانى محمود النقراشى - مجلة الدبلوماسى يونيو ويوليو 2020» وهو عبارة عن إناء يملأ بالماء فى توقيت معين لحساب الزمن الذى يمر وتدل على الزمن علامات على جدار الإناء الذى يتسرب الماء من فتحات أسفله.

وفى مجال الفلك رصدوا النجوم ووضعوا جداول لها، ولاحظوا ان نجم الشعرى اليمانى الذى كان معروفاً لديهم باسم «سبد» يتوافق ظهوره مع بداية الفيضان كل عام «كما يتوافق ظهور هذا

«مفهوم الزمن عند قدماء المصريين»

النجم مع الشمس مرة كل 1460 عاما» وقد وضعوا التقويم التحوتى المقدس اعتقاداً بأن الإله تحوت هو الذى منحه للمصريين.

التقويم المصرى

احتسب قدماء المصريين السنة الشمسية بـ 365 يوماً وقسموا السنة إلى 12 شهراً، كل شهر 30 يوماً ثم أضافوا الأيام الخمسة الباقية فى نهاية العام وأسموها أيام النسىء أو الأيام المنسية.

وسموا أشهر السنة تسميات آلهة مصرية وبدأوا بالشهر الأول الذى سموه تحوت وتوافق بدايته 11 سبتمبر من التقويم الميلادى المستخدم الآن (وبعض المصادر تذكر انه يوافق 19 يوليو أو 29 أغسطس!! انظر جدول الشهور المصرية وهى نفس الأسماء المستخدمة فى التقويم القبطى الحالى فى مصر - النتيجة الزراعية) وهو بداية فيضان النيل.

قسم المصريون السنة إلى ثلاثة فصول: فصل بذر البذور، فصل الحصاد، فصل الفيضان، كما قسموا الشهر إلى ثلاثة أجزاء عشرية اى كان لديهم ثلاثة عشريات «أسابيع»، وكل هذه التقسيمات كانت تخدم الزراعة التى كانت النشاط الأساسى فى مصر القديمة.

يقال ان كليوباترا أهدت التقويم التحوتى إلى يوليوس قيصر فتبناه منذ عام 46 ق.م ثم عدله الرومان فى عام 132 بإضافة نظام السنوات الكبيسة «366 يوماً» وأصبح هو التقويم الميلادى المستخدم حالياً فى معظم أنحاء العالم والذى وضع كل أسسه المصريون القدماء.

والجدير بالذكر هنا ان المصريون القدماء كانوا يستخدمون تقويماً قمرياً قبل وبعد اختراعهم للتقويم الشمسى. وكان هناك نوعان من التقويم القمرى يستخدم الأول فى تحديد الأعياد الدينية والمعاملات التجارية، وكان الآخر رسمياً للحكم والإدارة ويختلف عن التقويم القمرى الآخر فى انه يضاف إلى الاثنى عشر شهراً قمرياً خمسة أيام نسىء كل عام كما يحدث فى التقويم الشمسى ،ويضاف شهراً كل عدة أعوام ليتوافق مع السنة الشمسية.

كان قدماء المصريون يقيمون خمسة احتفالات بالعام الجديد، كما اشتهرت بعض المدن باحتفالاتها الخاصة مثل كوم امبو التى كان لديها الإحتفال بعيد وفاء النيل «رأس العام المصرى القديم» فيضعون باقات من الورود تحزم بالبردى وتمهر ببعض الأختام تقدم إلى الإله حابى «نهر النيل».

وربما يكفينا إقامة احتفال كبير سنوياً فى «بدايات» فصل الفيضان بحيث يصبح مهرجاناً شعبياً وسياحياً هاماً وشهيراً.

فى زيارة لى إلى المكسيك اشتريت تقويم المايا الشهير وكان مرسوماً فوق قطعة من الجلد المصقول تقليداً لتقويم الإنكا القديم ، ويمكننا إنتاج مصنوعات يدوية أو سياحية تحمل أسماء وعلامات أو آلهة الشهور المصرية القديمة.

وآمل أن نتمكن يوماً من طباعة تقويم يومى مصرى، ويا حبذا لو كان موازياً للتقاويم الميلادية والهجرية والقبطية المستخدمة حاليا لدينا، وقد كان الفضل لجهود العالم المصرى الشهير محمود الفلكى فى وضع تقويم يجمع بين التقاويم الثلاثة الأخيرة المستخدمة، فهل نطمع فى أن يوضع التقويم المصرى مع أحد أو باقى هذه التقاويم؟

وبمناسبة بدء العام المصرى الجديد أقترح استخدامه فى مجال «السياحة» فمن الممكن أن تستخدم وزارة السياحة والمنشآت السياحية التقويم المصرى فى مطبوعاتها السياحية ومكاتباتها بجانب التاريخ الميلادى المستخدم وأعتقد ان هذا سيكون له تأثير كبير على السواح الزائرين وعلى اجتذاب المزيد منهم لزيارة بلدنا الذى يمتلك أطول تاريخ «توجد لدى بلاد أخرى تقاويم محلية وتاريخية ولكنها كلها أقصر من التقويم المصرى»، فالسائح إلى مصر لا يعرف على الأغلب سوى التاريخ الميلادى المعمول به فى معظم أنحاء العالم، فإذا زار مصر ووجد أمامه مطبوعات سياحية مدون عليها التاريخ المصرى، وأنه يزور مصر يوم اول توت عام 2626 على سبيل المثال فلابد أنه سيتسائل عن هذا التاريخ، وسيسعد بكونه فى بلد عمر الحضارة المثبتة فيه 2626 عاما أى أقدم دولة فى العالم، فلو ذهب إلى السوق ووجد تقويم أو منتجات تحمل هذا التاريخ فلاشك أن هذا سيجذبه إلى اقتناءها.

ولكم أن تتخيلوا لو تبنت بعض وسائل الإعلام مثل الصحف المصرية فى مجال السياحة أو غيرها التى تتصدر باللغات الأجنبية أو باللغة العربية وضع تاريخ التقويم المصرى عليها، فكم يكون المرء سعيدا بالحصول عليها!

مانيتو السمنودى

قام مؤرخنا العظيم مانيتو السمنودى فى القرن الثالث قبل الميلاد وبناء على طلب حاكم مصر بطليموس الثانى بتدوين تاريخ مصر، فوضع كتابين يسمى علماء المصريات الكتاب الأول بالايجبتانا والثانى بالايجبتياكا، وقد ضاع كلاهما، الكتاب الأول بالكامل، وبقى من الكتاب الثانى بعض المقتطفات وردت مقتسبة فى كتب المؤرخين القدامى أمثال يوسفوس وديدور الصقلى واسترابون وبلوتارك وغيرهم.

وضع مانيتو السمنودى الكتابين باللغة اليونانية التى كان يجيدها ويبدو أنه أطلع على كتاب هيرودوت عن مصر ، ولما كان هو كاهنا مصريا عالى المكانة، فقد قام بزيارة معابد مصر وعلمائها من أدناها إلى أقصاها وأخذ يجمع التاريخ المصرى ووثائقه، ووضع كتابيه بدافع الغيرة على وطنه وفيهما قدر عمر حضارتنا بـ11300عاما.

تناول الكتاب الأول المفقود قصة مصر منذ أن ظهرت الآلهة على الأرض ثم أبناء الآلهة والملوك والإنسان المصرى ويحتوى على أسطورة الخلق المصرية، وتدرج تكوين المجتمع المصرى، وبدايات كل المخترعات من

الأبراج المصرية القديمة

معبد تنبؤات أو وحى امون بسيوة

زراعة وصناعة وفن ودين، والكتاب الثانى يتناول قائمة بحكام مصر ومدد حكمهم وأعمالهم ، وقسم فيه تاريخ مصر إلى 31 أسرة حاكمة وقوائم الملوك وهو التقسيم الذى لازال يسير عليه علماء المصريات فى عصرنا.

وينتقد بعض العلماء معلوماته «ومبالغاته»، ولكن لا شك أنه كان حريصا على أن يضمن كتابيه بأمانة التاريخ المصرى «كما كان يعرفه كهانها وعلماؤها» وبالطبع قد تكون شدة فخره بمصر أدت إلى مبالغات، ولكن البناء الرئيسى للكتاب الثانى واضح أن ترتيبه سليم وفقا للمعرفة القديمة «وأكد حجر باليرمو تقسيم مانيتو»، مما يعنى أن كتابه الأول قد يماثله فى الأمانة لأنه أراد من الكتابين تسجيل تاريخ مصر منذ مصر الآلهة على الأرض ثم صعودها إلى السماء ثم حكم الملوك أبناءها وعصور الأسر الحاكمة حتى زمانه.

وقد نشرت نسخة من الكتاب الأول «الجبتانا «فى التسعينيات من القرن الماضى فى مصر باللغة العربية تسجيلا من روايدا الراهب المصرى أبيب النقادى الذى كان يحفظ كتاب الجبتانا عن ظهر قلب باللغة القبطية التى هى فى معظمها اللغة المصرية القديمة مع اضافات من اللغة اليونانية القديمة، وكان الرهبان المصريون يتناوبون حفظ هذا الكتاب باعتباره جزءا هاما من التراث المصرى رغم أنه يروى الجزء الوثنى من هذا التاريخ، وهذا وفقا لما ذكره محقق الكتاب السيد/ على على الألفى «الجبتانا: اسفار التكوين المصرية»، وهو كتاب يتفق ما ورد فيه مع ما ورد فى كتابات علماء المصريات، ويؤكد تأثير أفكار الحضارة المصرية فى حضارات وأديان الشرق الأوسط.

وهذا الكتاب يستحق عظيم الاهتمام من علماء المصريات والنقاد وجمهور القرار المصريين والأجانب أيضا. ألم يكن كتابا مفقودا ووجدناه؟! ومن يقرأ الكتاب سوف يستمتع كثيرا بقراءته.

وقد أكد هيكاتا الملطى عندما زار مصر أن الكهنة أبلغوه أن مينا هو أول ملوك مصر، وأن ما بين أول ملك وآخر ملك لديهم 341 جيلا من الناس ، وأن ثلاثة أجيال تعادل مائة عام وأن تاريخ البشر عندهم حوالى 11340 عاما.

الأبراج المصرية

ذكرنا أن المصريين القدماء درسوا النجوم ومجموعاتها، وكونوا ما يسمى الأبراج المصرية «أنظر الأبراج» وهى 12 برجا يمثل كل برج فيها بصورة أحد الآلهة كانت تستخدم فى علم الفلك وأيضا فى التنبوء وقراءة الطالع من حيث الأيام أو الأعمال الطيبة أو المشئومة.

ولأن الإنسان فى كل مكان وزمان يود لو يستطلع ويعرف سبب أحداث الماضى وما يخبئه له المستقبل فقد حكى لنا التاريخ المصرى بعض الروايات عن النبوءات.

من أشهر النبؤات أن كهنة «معبد وحى آمون» فى سيوة بالصحراء الغربية قد تنبأوا بمقتل قمبيز ونهاية الاحتلال الفارسى لمصر، فأرسل قمبيز جيشا من 50 ألف جندى لهدم المعبد واخضاع الواحة لسلطته ، ولكن الجيش فقد فى الصحراء.

ومن النبؤات الشهيرة أيضا، ربما أشهرها ـ أن الاسكندر الأكبر قام بزيارة إلى معبد وحى آمون فى عام 331 ق. م حيث توج هناك ابنا للآله آمون. ويعتقد أن السؤال الذى وجهه الاسكندر إلى كهنة المعبد كان: هل سأحكم العالم؟ وكانت الاجابة «نعم ولكن ليس لفترة طويلة «وهكذا كانت الاجابات على النبؤات غامضة وتحتمل التأويل كالعادة .وورد بالقرآن الكريم أن «كذب المنجمون ولو صدقوا» أى ولو «صدقوا» أى حتى لو صحت نبوءتهم بالصدفة.

ورغم أننا ندعو إلى الأخذ بالتفكير العلمى إلا أن هناك كثير من البشر الذين يعتقدون فى التفاؤل والتشاؤم ويرغبون فى معرفة المستقبل حتى فى أكثر الدول المتقدمة علميا وتكنولوجيا. ففى اليابان يقرأون الطالع بالكمبيوتر ـ مقالى بمجلة الدبلوماسى ابريل 2020» بل وتقوم على الترويج لها مؤسسات كبيرة ، بل ومن الغريب أن هناك مواقع أجنبية على الانترنت لقراءة الحظ والطالع عن طريق الأبراج المصرية القديمة، هذا بجانب ما يحدث فى البلاد المتخلفة وخاصة فى المناطق الريفية من الإيمان بالخزعبلات ومحاولة العلم بالغيب او المستقبل، ويمكن الترويج لمنتجات مصرية عن الأبراج المصرية من باب التسلية للسياح الأجانب.

خاتمة

تتشابه مفاهيم الزمن عند المصرى القديم مع المصرى الحديث فقد أعتقد المصرى القديم أن العالم كان كله ماء فى حالة عماء «أى كون «موجود» فى حالة ظلام وهدوء» ول«لمرة الأولى» ظهر التل المقدس «بن بن» (أحد أصول فكرة الهرم)من تحت الماء وولدت عليه الآلهة بطرق مختلفة ،وتوالت «الأجيال» من انصاف آلهة فملوك وبشر ، وكل إنسان له «مراحل عمرية» تبدأ بالميلاد وتنتهى بالموت. وأثناء ذلك ظنوا أن عمر العالم بلغ أكثر من 11 ألف عام وتتولى حكم مصر «أسر الملوك» الذين يعبدون أو هم أبناء الآلهة فى السماء «مثل الشمس»، وأن أعوام الإنسان تمر فصولا وشهورا وعشرات «أسابيع» وأيام وساعات ودقائق وثوانى ، والموت هو الخروج إلى النهار أو إلى العالم الآخر وعودة الروح إلى الجسد حيث المحاكمة التى يذهب بمقتضى أحكامها «الطالح» إلى الهلاك والفناء حيث تلتهمه الوحوش و«الصالح» إلى «الحقول الخالدة» «الجنة» حيث الخلود أو الحياة الأبدية. ولا تتضح فكرة الموت أو البعث للبشر جميعا معا أو أنه يوجد يوم للحساب للبشر جميعا معا، كما لا تتضح فكرة هل سيظل البشر يتوالدون على الأرض إلى الأبد.

لقد عرف المصريون من الناحية العملية كل ما يتعلق بالزمن وقياسه وتاريخه، وجاء حفيدهم د.أحمد زويل ليحسب التفاعلات الكيميائية فى الفمتوثانية!.

واختتم بقول الأديب الكبير عباس محمود العقاد عن واجب المصرى اليوم: أجدادكم إن عظموا وأنتم لم تعظموا/ فإن فخركم بهم عار عليكم مبرم.

وقول عالم المصريات الفرنسى شامبليون «مصر هى مصر، دائما وفى كل مراحل تاريخها دائما عظيمة، ودائما جبارة، فى فنونها وقدرتها على التنوير، وفى كل العصور تتلألأ مصر ....، وبنفس العبقرية».

مرحبا بالفيضان وبالخير وبعام 6262 المصرى الجديد!

عظمة مصر بالمهجر (2)
دبلوماسية الثقافة

عظمة مصر حَـــاضِرةٌ ومتواجدةٌ بقوة فى كافة بقاع العالم وتاريخها الثرى أكبر دليل على قوة الشـــخصية المصرية عبر القرون، وجســـدت جامعة شيكاغو (ثالث أكبر جامعة فى الولايات المتحدة الأمريكية) وهى مقر لأكبر معهد للدراســـات الشرقية قيمة هذة الآثار الذى ضمها أكبر متحف لتاريخ مصر الفرعونى بوســـط وغرب الولايات المتحدة.

سفير د. سامح أبو العينين

samehenein@yahoo.com

– تناولـــت الدراســـة التى صدرت فى مطلـــع عـــام 2020 للمجلة العلمية المتخصصة بمعهد الدراســـات الشرقية بجامعة شـــيكاغو المـــشروع العلمى الإلكترونـــى The website Digital Epigraphy الذى بدأه المعهد بواسطة مجموعـــة من خبراء علـــوم المصريات منذ عـــام 2018 ومن خلال مركزهم فى الأقصر المعروف بالـــChicago house لرصد وتسجيل وتطوير عمليات الحفظ الإلكترونى والأرشـــيفى لمعبـــد إدفو وللحفريـــات المصرية وللتاريخ المصرى القديم.

– اســـتعرضت الدراســـة برنامج عـــام 2020 للمعهد والـــذى يتضمن عدة فعاليات أهمهـــا تطورات مشروع تـــل إدفو والأبحـــاث الدائرة بشـــأنه والاكتشافات الأخيرة التى يتخصص بها بروفيســـور المصريات الأول فى الجامعة وذلك بالتعاون مع رئيس الـــChicago house والمعنى بتطوير دور هذا المركز التابع لجامعة شـــيكاغو الذى يوجد فى صعيد مصر ونشاطه فى أسوان والأقصر. ويضم عدداً من أساتذة علوم المصريات والباحثـــين المتخصصين مـــن جامعة شيكاغو، وأن الشهور القادمة قبل نهاية العام الجارى ستشـــهد زيارة وفد من المعهد إلى الأقصر برئاســـة مدير معهد جامعة شيكاغو.

– وقد قمنا أنا وزوجتى بزيارة معهد الدراســـات الشرقية والالتقاء برئيسه وبأعضاء هيئـــة التدريـــس، ورئيس قســـم علوم المصريات، ومدير العلاقات الدولية، حيث استعرضا النشاط الكبير للمعهد بمصر على مـــدار عقود طويلة فى الأقصر وأسوان وفى مجال الحفريات والاكتشافات الأثرية فى «إدفو، ودندرة». كمـــا قمنا بجولة فى متحـــف الحضارة المصرية الـــذى يضم خمـــس قاعات للآثار المصرية المعروضة بشكل حديث، بالإضافة إلى ما يتضمنه المعهد من قطع أخرى غير معروضة ولا تتسع القاعات لعرضها.

– وقد سجل رئيس المعهد وأعضاء هيئة التدريـــس تقديرهم لدور مصر فى إثراء تاريخ البشرية من خلال آثارها الفرعونيـــة المتواجدة فى عـــدة بقاع فى العالم سواء فى أوروبا أو الولايات المتحدة مؤكداً على أن شيكاغو بها أكبر مجموعة ســـواء بمعهد الدراســـات الشرقية أو بمتحـــف Field Museumبعد متحف The Metropolitan Museum فى نيويورك؛ وأشار إلى ما يلى:

*حرصهم على التواصل مع المتحف المـــصرى الكبير الجديـــد لبحث أوجه التعاون ولإقامة معارض مشـــتركة مع الجهات المصرية المعنية.

*ترحيبهـــم بعلمـــاء مصريـــين ومتحدثين متخصصـــين بزيارة المعهد وإلقاء محاضرة بمناســـبة مرور مائة عام على تأسيس المعهد.

* رغبتهـــم فى تشـــجيع الباحثين والدارسين من جمهورية مصر العربية للحضور للمعهـــد الذى يعتبر جزءًا من جامعة شيكاغو العريقة.

* حرصهم عـــلى التعاون مع وزارة الآثار والهيئة المصرية للآثار وأســـاتذة علـــوم المصريات فى مصر فى هذا التطور التكنولوجى الذى سيغير فى تقدير المعهد بجامعة شـــيكاغو من تأريخ وتسجيل ودقة التفاصيـــل المرتبطة بأية حفرية فرعونية.

– كما يُعد متحف Field Museum أكبر متحف فى شـــيكاغو والمصنف رقم ثلاثة على العالـــم فى مقتنيات التاريخ الطبيعى. كما يضم عددًا من الأســـاتذة والمتخصصـــين والمهندســـين فى علوم المصريـــات فى ضـــوء النشـــاط الكبير للمتحـــف وما يحتويه مـــن مومياوات فرعونية بالـــدور الرئيـــسى إلى الدور الأرضى فى عـــدة أسر مالكـــة بالإضافة إلى آلاف القطـــع الفرعونية الموجودة فى المخازن.

– ارتبط المتحـــف تاريخياً بمصر منذ أكثر من عشر ســـنوات باستضافته لمعرض «توت عنخ آمون» وحرصهم على التعاون مع الـــوزارات والجهات المعنية فى مصر مثل وزارات الســـياحة والآثار

والتعليم العالى وهيئة الآثار المصرية بالإضافة إلى الأقسام المعنية فى الجامعات المصرية.

– هذا، ونظراً لتميز التاريخ العلمى لمعهد الدراسات الشرقية وارتباطه بنجاحات فى الاكتشافات فى إدفو بالإضافة إلى ما تحتويه قاعات المعهد بجامعة شيكاغو من أثريات تشكل تواجداً حضاريًا كبيرًا ومشرفًا لمصر فى منطقة وسط الغرب الأمريكى، تبرز أهمية التواصل مع المعهد والمتحف من قبل وزارات الآثار والثقافة والسياحة فضلاً عن وضع المعهد على خارطة الزيارات العلمية والتبادلية للجامعات والمعاهد المصرية المرتبطة بهذا التخصص، فضلاً عن أهمية استثمار هذا التواجد المصرى الثرى فى شيكاغو من قبل وزارة السياحة المصرية وفى الزيارات التى يقوم بها المسئولون بما يحقق مصالح الوطن فى هذا الصدد.

دبلوماسية الثقافة

معارض الآثار التابعة لحضارة مصر القديمة لها أهميتها الثقافية والسياحية،وهى من أهم مصادر قوتنا الناعمة.

وعندما تجوب العالم ليتعرف إليها أبناء ثقافات وحضارات أخرى، بشكل مباشر، بمن فيهم من لايقدر على السفر، للبلد موطن هذه الحضارة القديمة، لمشاهدة كافة آثارها، تقدم آثارنا العظيمة بذلك خدمة ثقافية لها قيمتها وأهميتها فى عالم اليوم الذى أصبح قرية واحدة. ومصر تحتضن أهم وأقدم وأعرق الحضارات الإنسانية، التى يطلق عليها حضارات العالم القديم وهى الحضارة الفرعونية بالإضافة أنها موطن الحضارة البطلمية، التى سعت للجمع بين الحضارة الفرعونية القديمة والحضارة الإغريقية، ثم كان لها إسهام فى سباق الحضارة الرومانية ثم الدور المميز فى نشأة وتطور الحضارة العربية والإسلامية، ورغم تلك الحضارات المتعددة، فقد امتزج شعبها فى نسيج واحد متين.

ومن هنا تكون آثارنا العظيمة من أهم مصادر قوتنا الناعمة ودبلوماسيتنا الثقافية المتعددة الجوانب، تلك الآثار التى تخلد حضارة مصر وتروى بشموخ قيمة وعظمة المصريين. فمصر العظيمة التى فى خاطرى هى روح لجسد الأمة العربية والإسلامية، هى مهبط الأديان، وكنانة الله فى أرضه.

مصر هى هبة المصريين كما وصفها مؤرخنا الكبير د.محمد شفيق غربال:

«مصر تعايشت مع كل تلك الحضارات وظلت دائماً تسمو فوق هامات الحقب والعصور. والمتأمل فى عظمتها وجمال آثارها يحتار من أين يبدأ الوصف! فهى أولاً وأخيراً حاملة مشاعل الفنون والآداب والعلوم فى كل زمان ومكان ووصفها المؤرخون والمستشرقون بأنها أم الدنيا ومحكى الحضارات والأديان».

الدبلوماسية والقانون

علاقة الدبلوماسية بالقانون علاقة قديمة، بل ضاربة فى القدم، لم تقتصر فقط على عمل خريجى كليات الحقوق بالسلك الدبلوماسى، واندماجهم فى الدبلوماسية المصرية، وإنما هى تتجلى كل يوم، وتزداد وضوحًا وتطلبًا، فى كل ما تواجهه الدبلوماسية من قضايا عالمية وإقليمية ووطنية، مثلما تتجلى فى أداء السفارات والقنصليات المصرية بخارج البلاد.

رجائى عطية

rattia2@hotmail.com

لا تستغنى الدبلوماسية، عن القانون الدولى العام، فى السلم، وفى الحرب، فهو قوام التعامل مع المنظمات الدولية، وفى العلاقات مع الدول فى السلم وفى الحرب، فهذا وذاك محكومان بمبادئ وقواعد القانون الدولى، وترى ذلك يتجلى بوضوح فيما ينشأ من نزاعات إقليمية بين الدول، على الأنهار الدولية، وعلى الحدود الوطنية، وعلى نطاق امتداد المياه الإقليمية بما يتعلق بذلك من ثروات يجرى التنافس عليها بين الدول.

كل الحقوق المصرية/ السودانية فى النيل، وفى مواجهة السد الإثيوبى وهذا هو المسمى الذى أفضله، وما دار ويدور حوله من اتفاقات بات واضحًا أنها تستهدف مصر التى تستهدفها قوى معادية من جميع الاتجاهات، وما تزمعه إثيوبيا من التعدى على الحصة التاريخية المصرية فى مياه النيل ـ كل هذا إنما تحكمه مبادئ وقواعد القانون الدولى، والتى تفرق بين الأنهار المحلية، فهى خارج نطاق القانون الدولى، وبين الأنهار الدولية المارة بطبيعتها فى أكثر من دولة، فهذه يحكمها القانون الدولى، هذا القانون هو حجة مصر الأساسية والرئيسية ـ فضلاً عن الحق فى الحياة ـ فى مواجهة تحديات السد الإثيوبى، التى تجاوز مصلحة إثيوبيا ـ حسب منظورها مع أنها مليئة بمحطات توليد الكهرباء ـ إلى الإضرار الشديد بمصالح مصر والسودان، بل وإلى حد تعطيش مصر وتعريض حياة المصريين، وحياة النبت والزرع والضرع للعطش.

ليس مرامى هنا أن أتحدث عن السد الإثيوبى، وإنما الإشارة فقط إلى مثل من الأمثلة على علاقة الدبلوماسية بالقانون بعامة، وبالقانون الدولى ـ فى السلم والحرب ـ بخاصة.

على أن علاقة الدبلوماسية بالقانون بعامة، علاقة أوسع وأعرض، وحسبك أن تطالع مهام السفارات والقنصليات فى الدول الأجنبية المضيفة، لترى أن السفير ومعاونيه، والقنصل ومعاونيه، يمارسون العمل بالقانون ليل نهار، سواء مع الدولة المضيفة، أم مع المواطنين المصريين المقيمين فيها أو المترددين عليها أو المارين بها.

الدبلوماسى فى الخارج يمارس التعامل مع كل فروع القانون، ومن كل زواياه، ويمارس تفعيله وتطبيقه.

الدبلوماسى فى الخارج، ممثل لكل فروع السلطة التنفيذية، بدءًا من الرئيس، ومرورًا بكافة الوزارات، ووصولاً إلى كل المرافق والهيئات.. وهو كشأن كل هذه الكيانات يتعامل مع المصرى فى الخارج تعاملاً واسعًا بدءًا من واقعة الميلاد وتسجيلها وإثباتها، ومرورًا بمراحل التعليم وما تستلزمه فى الخارج، وبالتجنيد وقضاياه ومشاكله، وبالتراخيص، والتوكيلات، والشهادات الموثقة، حتى الوفاة.

فالإنسان المصرى فى الخارج، يمر بكل ما يمر به فى الداخل، فإذا كانت مصلحة الهجرة والجوازات وفروعها، تنهض على جوازات السفر وتراخيص السفر، فإن الدبلوماسية تنهض فى الخارج بكل هذه المهام وما يتفرع عنها مما ينظمه القانون، بما فى ذلك منح أو منع الفيزات، والتعامل مع الإنتربول الدولى بكافة مسائله وقضاياه، وما قد ينجم من قراراته ويتماس مع مواطنى الدولة المصرية، وكل ذلك محكوم بقوانين دولية ووطنية، ويتصل بالقانون الجنائى وما يثيره أو يتفرع عنه.

وأضيفت إلى مهام الدبلوماسية المصرية إجراءات العملية الانتخابية بالخارج، والتصويت وفرز الأصوات وحصرها، وهى عملية محكومة برمتها بالقانون بعامة، وبقوانين الانتخابات بخاصة.

والسياحة المتقابلة، أحد الأنهار المهمة التى تتولاها الدبلوماسية فى الخارج، دعوةً وترويجًا للسياحة إلى مصر، ورعاية للمواطنين المصريين السائحين بالخارج، إلى الهجرة وقضاياها، ومتابعة المهاجرين بالرعاية وضمان حقوقهم القانونية فى شتى المجالات.

والدبلوماسية فى الخارج هى التى ترعى المصرى وتكفل حقوقه فى الخارج إذا ما سُئل عن مخالفة القانون، أو اتهم بخطأ جنائى، ولا يمارس الدبلوماسى هذه المهام إلاّ بعلمه بالقانون ودروبه وتطبيقاته، وفنون التواصل القانونى مع السلطات الأجنبية القائمة بتطبيق القوانين فى دولتها.

ومجمل القول، حتى لا أطيل، أن القانون حاضر فى كل أعمال الدبلوماسى، وأن آصرة الدبلوماسية بالقانون، وشيجة قوية، وأن سجل الدبلوماسية المصرية حافل بأعلام من أساتذة وعلماء القانون، لا أتغيّا حصرهم، ولكنى أذكر على سبيل المثال عبد الخالق ثروت باشا، وواصف بطرس غالى باشا، وعلى ماهر باشا، وعبد الفتاح يحيى باشا، ومصطفى النحاس باشا إلى جانب رئاسته للوزارة، وأستاذ الجيل أحمد لطفى السيد باشا، وعبد الحميد بدوى باشا، وإبراهيم الدسوقى أباظة باشا، وأحمد خشبة باشا، والدكتور محمد صلاح الدين باشا، والدكتور محمود فوزى، والدكتور أحمد عصمت عبد المجيد، والوزير ثم سكرتير عام الأمم المتحدة الدكتور بطرس غالى، ومن المعاصرين الأستاذ عمرو موسى والأستاذ أحمد ماهر والأستاذ نبيل العربى، والأستاذ سامح شكرى الوزير الحالى. ولا أنسى بين هؤلاء العمالقة الكاتب الأديب الفذ يحيى حقى الذى التحق بشكل ما بالدبلوماسية المصرية.

هذا الحضور الظاهر للقانون فى الدبلوماسية المصرية، لم يقتصر على خريجى كليات الحقوق، فمن المعلوم أن كليات التجارة تعنى بدراسة القانون، وأن كلية الاقتصاد والعلوم السياسية تُعنى به، فضلاً عن عناية الدبلوماسى من لحظة التحاقه بالسلك، بإنعاش معلوماته فى شتى ضروب القانون واللوائح والقرارات التى لا غناء للدبلوماسى عن الإلمام بها فى أدائه لمهامه التى تشمل كافة أعمال السلطات التنفيذية والإدارية، فضلاً عن مبادئ القانون الدولى، وتعبّر من ثم عن العلاقة الوثيقة بين الدبلوماسية والقانون.

تحية من القلب للدبلوماسية المصرية، لما أدته وتؤديه من مهام جسيمة فى الوفاء بحق مصر، والمصريين.

العقيدة النووية الصينية والحرب الباردة

فى البداية أود الإشـــارة إلى أن متابعة وتحليل العقيدة النووية الصينية قد أضحت تكتسب أهميتها خاصة فى إطار أزمة «كورونا» العدو الخفى الذى يهدد البشرية والجدل بشـــأن الردع الجرثومى والحرب الباردة.

إن معالجة هذا الموضوع تأتى فى إطار التأكيد على رفض فـــرض قيود على الحق الأصيل للدول فى الاستخدام السلمى للطاقة النووية باعتباره أحد الأركان الثلاثة لمعاهدة منع الانتشار النووى وفقاً لقواعد القانون الدولى والاتفاقيات الدولية.

- يظل هدف تحقيق الأمن النووى هدفاً تعاونياً وليس تقييديـــاً وهو هدف عالمى وواسع النطاق.

- ويجب على المجتمع الدولى الاضطلاع بمسئولياته فى إخضاع كافة المواد والمنشآت النووية للرقابـــة الدولية بدون تمييز وفقاً لقواعـــد القانـــون الـــدولى ومعاهدة منع الانتشار النووى. وفى ضوء استمرار وجود مواد ومنشآت غير خاضعة لنظام الضمانات الشاملة للوكالة الدولية للطاقة الذرية.

- إن تخليـــص العالم مـــن مخاطر التهديدات النووية فى كافـــة صورها يعد هدفاً مشتركاً.

- إن ذلك يأتـــى فى إطار جهود مصر المضنية والمتواصلة الرامية إلى إنشاء منطقة خاليـــة من الأســـلحة النوويـــة فى الشرق الأوسط.

وقبل تحليـــل العقيدة النووية الصينية لابد أن أشـــير إلى أن النظام الدولى المعاصر الذى تتعاظـــم فيه قوة الصين يمر بمرحلة ســـيولة خاصة على مدى العشر ســـنوات الأخيرة فى إطار تحديد طبيعته وأستطيع أن أشير إلى أنه مع مطلع عام 2019 واحتدام الحـــرب فى المجال التجارى بـــين الولايات المتحدة والصين بشكل متصاعد فإن العالم المعاصر أضحى يرتكـــز تقريباً على قطبية ثنائية تجارية بينما يشـــهد العالم قطبية سياســـية وأمنية متعددة الأطراف لازالت الولايات المتحدة تتمتع فيه بوضعية كبيرة على رأس ذلك الهرم الدولى بقيادة الولايات المتحـــدة الأمريكية خاصة مـــن خلال آلية منظمة حلف شـــمال الأطلنطى الناتو إلى جانب قدرات واشنطن النووية والعسكرية والاقتصادية والتكنولوجية والثقافية الكبيرة التى لا ينازعها أحد على وجه المعمورة حتى اليوم.

يلاحظ أن الصين تبذل جهوداً مضنية

سفير د. يوسف الشرقاوى

yelsharkawy@yahoo.com

للاقتراب مـــن ذلك القطـــب الأعظم وهى الولايات المتحـــدة الأمريكية وفقاً لما تمتلكه مـــن مؤهلات وقـــدرات متعـــددة داخلياً وإقليمياً ودوليـــاً ووفقاً لمقاييس اقتصادية وعلمية وعســـكرية وتنموية وتكنولوجية وجودة عالية فى البحـــث العلمى والفضاء وتكنولوجيـــا المعلومات والفضاء وشـــتى مناحى الحياة والعالـــم المعاصر بعد أزمة «كورونا».

إنه مما ساعد الصين فى هذا الشأن على هـــذا النجاح هو نهج التصدير وسياســـة الانفتـــاح المنضبط داخليـــاً وخارجياً على مدى الأربعة عقود الأخيرة لتحقيق المصالح القومية العليا ومنها ما يلى:

ا - حماية الأمن القومى الصينى.

2 - بناء القوة الشاملة الصينية.

3 - تطويـــر البرامـــج والسياســـات العسكرية والسلوك النووى الصينى فى إطار سياســـاتها الرامية لتحقيق التنمية والأمن والسلام فى العالم.

فى الواقع إن أهمية الســـلوك الصينى الخارجى ترجع ليس فقط بصفتها ضمن الأعضاء الدائمين النشطين فى مجلس الأمن الـــدولى التابع للأمم المتحـــدة ولكن أيضاً لقدراتها الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية الديناميكية والمتصاعـــدة وقوتها الثقافية الناعمة وقدراتهـــا النووية المتنامية خاصة على صعيد الصراع الإستراتيجى مع الولايات المتحدة المتزامن مع منافسة تجارية محتدمة وتبادل فرض رســـوم وتعريفات تجارية انتقامية بين القطبين التجاريين العظميين.

وقد ذكر ميرشايمر فى كتابه «مستقبل القوة»، أن البروفيسور الشهير جوزيف ناى - أستاذ العلاقات الدولية بجامعة هارفارد - يـــرى أن النظام الدولى الذى نعيشـــه لا يمكن الجزم مطلقـــا بأنه أحادى أو ثنائى القطبية لكن ما يمكن الجزم به أنه متعدد الأبعاد حيث تحل الدول بقوتها العسكرية الخشنة كبعد أساسى فى هذا النظام، يتلوها القدرة الاقتصاديـــة والمالية ببعديها العام المملوك للدولة والخاص المملوك للمؤسسات الخاصـــة والأفراد، ثم مؤسســـات الخدمة الاجتماعية والخيرية والدينية إلخ.

4 - تهدف الصين من استخدام قوتها لتحقيق أهداف منها:

1 - الحفاظ على المنجـــزات التاريخية لمؤسسات الدولة الصينية وتقوية هياكلها الداخلية والحفاظ على الاســـتقرار والتنمية الداخلية.

2 - تحقيق الأمـــن الإقليمى من خلال تســـوية الأزمات الإقليمية التـــى لم تكن باستطاعتها تسويتها فى الماضى وعلى رأسها التالى:

- تســـوية موضوع تايوان وحل أزمة مضيق تايوان والسيطرة عليه فى ضوء:

- الحرب التجارية بين الصين والولايات المتحدة

التزام واشنطن رسمياً بتنمية العلاقات السياسية والعســـكرية مع تايوان فى إطار القانون الأمريكى الجديد المســـمى «قانون مبادرة ضمان تأمين آســـيا» وهو الأول من نوعـــه منذ عام 1978، الـــذى قطعت فيه الولايـــات المتحدة الأمريكيـــة علاقاتها مع تايوان وأغلقت سفارتها بها، بعد اعترافها بجمهورية الصـــين الشـــعبية، وإعلانها الالتزام بسياســـة «صين واحدة»، كإحدى نتائج اســـتئناف الحوار بين البلدين، بعد 6 ســـنوات من الزيارة التاريخية التى قام بها الرئيس الأمريكى الأســـبق نيكسون فى فبراير عام 1972 إلى الصين والتقى خلالها مع الزعيـــم الصينى الراحل ماو تسى تونج ورئيس الوزراء الصينى شو ان لاى. اعتبار الصين الشـــعبية أن مســـالة تايوان شأن داخلى صينى تماماً.

تجدر الإشـــارة إلى أن الصين كانت قد احتجت على قرار الرئيس الأمريكى ترامب وأكدت على مـــا ذكره الرئيـــس الصينى بمناسبة مرور ٤٠ عاماً على ذكرى إصدار وثيقة «رسالة» إلى أبناء الوطن فى تايوان أن تايوان شـــأن داخلى للصين ولا تسمح بأى تدخل خارجى وهو ما يعنى عدم التدخل فى الشئون الداخلية للصين، واستعداد الصين للتعامل فى هذا الشأن بما تراه ضد ما تصفه بقوى خارجية عن تايـــوان وكذا ما تصفه بالشرذمة القليلة من انفصالى اســـتقلال تايوان ونشاطاتهم.

يبقى الســـؤال وهو هل قرار انسحاب القوات الأمريكية من ســـوريا وانســـحاب بعض بطاريات الباتريـــوت الأمريكية من الســـعودية تعنى نقلهـــا إلى العراق أم إلى منطقـــة جنوب شرق آســـيا وخاصة بحر الصين الجنوبى الذى يشـــهد تنافساً بين بكين وواشنطن عملياتياً؟

5 - الحفاظ عـــلى الأمن فى بحر الصين الجنوبى والشرقى والاتفاق مع روسيا على أمن البحر الأصفر.

6 - التفاوض مع اليابان لحل مشـــكلة أرخبيل سنكاكو ووضع نظام تحديد سبل للدفاع الجوى على جزيرة سنكاكو فى بحر الصين الشرقى نزولاً حتى جزر سبارتلى فى قلب بحر الصين الجنوبى ونظم إذن العبور الجوى.

7 - اعتبـــار هـــذه المنطقـــة منطقة اقتصادية للصين.

8 - دراســـة التعـــاون الأمريكى مع الآســـيان ودور بكين والذى يضم أستراليا وفيتنام والفلبين وكوريا الجنوبية وتايلاند واليابان وسنغافورة.

9 - المســـاهمة بقوة فى تحديد مستقبل دول وسط وغرب آسيا لاسيما أفغانستان.

10 - وضع إستراتيجية فعالة للتعامل مع ذلك بالشـــكل اللازم ودراســـة سبل تحقيقه مـــن خلال احتواء الهند عن طريق تقوية التحالف مع باكستان وإيران؟

إن صعود الصـــين المتعاظم ودورها فى آسيا بشكل خاص وســـط تعدد الفاعلين النوويـــين وغيرهم يرتبط بمـــدى قدرتها على القيادة والتعامـــل مع بحارها القريبة وبصفة خاصـــة بحر الصـــين الجنوبى والشرقى والبحر الأصفر.

أيضـــاً إن دور الصين النـــووى قد بدأ يتصاعد على المستوى الدولى بشكل مستقل خاصة منذ عام 1964، منذ التجربة النووية الأولى لها وأضحـــت الصين بالفعل خامس دولة نوويـــة فى العالم بعد الولايات المتحدة والاتحاد الســـوفيتى حينـــذاك وبريطانيا

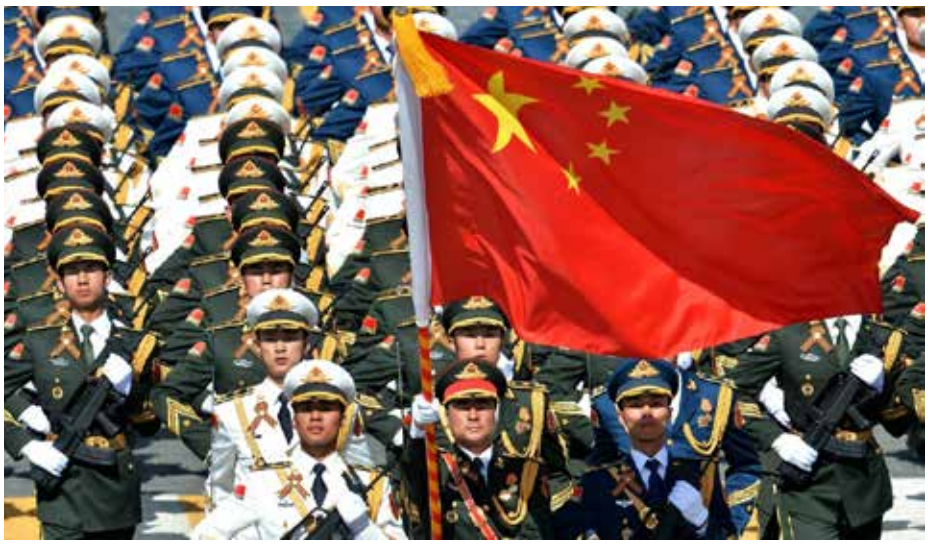

وفرنسا واســـتطاعت الصين إنتاج أسلحة هيدروجينية بعد ذلك.

تمكنت الصـــين من تعزيـــز قدراتها النوويـــة من خلال تحديـــث التكنولوجيا العسكرية الخاصة بها فى المجالات النووية، مثلما هو الحـــال لدى الولايـــات المتحدة وروســـيا الاتحادية من خلال ثلاث وسائل رئيسية وهى:

أولاً: الصواريـــخ الباليســـتية العابرة للقارات المنصوبة براً حيث طورت المؤسسة العسكرية الصينية أشكالاً مختلفة من حيث الإطلاق والوزن والحمولة والرأس الحربية والمدى والدفـــع والتوجيه وطول الصاروخ وهذا النوع من الصواريخ الباليســـتية قد يشـــكل مصادر تهديد متنوعـــة فى إطار الإستراتيجية النووية على مستوى المعمورة وهذا موضوع دراســـات لاحقة خاصة فى ضوء عدم توفر بيانات علمية محايدة، ولا توجـــد تقارير تتحدث عـــن العدد الدقيق بشكل موثق لتلك الصواريخ بسبب طبيعتها السرية وغير ذلك.

ثانياً: الغواصات النووية الإستراتيجية الحاملـــة للصواريخ الباليســـتية قاذفات القنابل الإستراتيجية بعيدة المدى:

يكتســـب هذا النوع أهميته لقدرته على الإخفاء والوصول إلى شواطئ الدول الأخرى فى الخفاء وفى هذا الشأن تمتلك الصين أجيالاً متنوعة من تلك الغواصات القادرة على حمل صواريخ باليستية وتخضع لأشكال مختلفة من عمليات التطوير سواء من ناحية السرعة والطول والدفع ونوع التسليح ومواصفات الصواريخ المحمولة عليها ووزن الصواريخ وعدد رؤوسها والأنظمة الإلكترونية وذلك فى إطار سياسات الردع البحرى الصينى.

ثالثاً: قاذفات القنابل الإستراتيجية:

فى الواقع إن هذا القطاع يشـــهد تطوراً بشكل مستمر فى إطار سلاح القوات الجوية الصينية الذى تم تأسيسه فى عام 1949س، وتحمل تلك القاذفات أسلحة نووية وأخرى تقليدية ويوجد لـــدى الصين أنواع متعددة من تلك القاذفات ســـواء مـــن حيث وزن الإقلاع وســـقف الخدمة والمدى والتســـلح اللازم والأنظمة الإلكترونيـــة والصواريخ المضادة للسفن والجو أرض ووزن القنابل.

ولا شـــك أن ذلك يمثل للصين أهمية فى التوازن الإســـتراتيجى مع الولايات المتحدة خاصة فى منطقتى آسيا والمحيط الهادى.

يلاحظ أن منطقة آســـيا تشهد صراعاً متنامياً ومتنوعاً فى المرحلـــة الحالية بين الصين من جانب والولايات المتحدة واليابان من ناحية أخرى وهناك قوى أخرى منافسة لها مثل الهند وباكســـتان وكوريا الشمالية وإلى حد ما إيـــران فيما يتصـــل بقضية الصواريخ الباليســـتية وهنـــاك نطاقات للصراع النووى فى آســـيا خاصة فى شـــبه الجزيرة الكورية ومنطقة بحر شرق الصين وجنوب الصين وتوجد نزاعات إقليمية منها بين الصين واليابان.

وتشـــهد المنطقة ســـباقاً فى المناورات البحرية وتشـــهد اندلاع الأزمة الكورية من حين لآخر ومعارضة الصين نشر منظومات صواريخ فى كوريا الجنوبية كما تثير مشكلة البرنامج النووى لكوريا الشمالية أزمات مع الولايات المتحدة والـــدول المجاورة لبيونج يانج.

وســـوف يظل ملف كوريا الشـــمالية النووى ترمومتراً لقياس مدى نجاح الإدارة الأمريكية والصين لإدارة الصراع والتعايش الســـلمى بينهما فى شرق آســـيا فى الحدود الممكنة المعقولـــة للتعايش بينهما فى شرق آسيا وتحقيق الأمن والســـلام فيها وليس الانتقـــال إلى حرب باردة أو ســـباق نووى

العقيدة النووية الصينية والحرب البارده

محفوف بالمخاطر.

ومن ناحيـــة أخرى تواصل روســـيا الاتحاديـــة تطوير منظومتها العســـكرية والنووية الإســـتراتيجية بكافـــة أبعادها خاصة ما يتصل بالصواريخ الباليســـتية الجديدة ومنظومات الدفاع الجوى وأسلحة الليزر بمختلف أنواعها والصواريخ النووية متعددة الـــرؤوس توبـــول إم وصواريخ افايغارد وما تمتلكه من قدرات على تجاوز كل الأنظمة المضـــادة للصواريخ بما يملك من سرعات وقدرات تقنية تكفل له المســـار المتعرج صعوداً وهبوطاً وتصل إلى مسافات بعيدة.

ولا شـــك أن هذا التقـــدم الروسى على الصعيد النووى يؤثر على مســـألة السباق والردع النووى خاصة تجاه الولايات المتحدة الأمريكية والصين على الساحة الآسيوية.

- إنه فى إطار متابعة تطورات وتحليل العقيدة النووية الصينية والسلوك الصينى والأمريكى فيما بينهمـــا خاصة ما أصفه بالتنافس الإستراتيجى الصينى الأمريكى فى بعض المناطق الحيوية للجانبين فقد أبرزت تقارير إخبارية 8 يناير 2019 مؤشرات فى هذا الإطار منها:

- أن الولايات المتحدة أرســـلت المدمرة العسكرية «ماكامبيل» للإبحار بمياه بحر الصـــين الجنوبى المتنـــازع عليها بدعوى ممارســـة حقها الشرعى فى الإبحار بالمياه الدولية.

واتصالاً بذلك فقد ذكرت راشيل ماكمار المتحدثة باسم الأسطول البحرى الأمريكى بالمحيط الهادئ موخراً أن الهدف من إبحار المدمرة الأمريكية ببحـــر الصين الجنوبى هو «تحـــدى الادعاءات البحرية المبالغ فيها بالمنطقة».

وعـــلى الجانـــب الآخر فقـــد صرحت الخارجيـــة الصينية فى بيـــان لها 7 يناير 2019: «إن الولايـــات المتحدة تدخل مياه جزر البارسيل دون إذن»، داعية «واشنطن لإيقاف ذلك النوع من الاستفزاز فوراً».

وأكد المتحدث باسم الخارجية أن «بكين أرسلت ســـفناً حربية وطائرات إلى المنطقة للتعرف على هويـــة الســـفينة الأمريكية وتحذيرها من الاقتراب».

وتعد منطقة بحر الصين الجنوبى من أكثر المناطق التى تشـــهد نزاعات إقليمية بين الصـــين من جهة وعدد مـــن جيرانها أمثال فيتنام والفلبين وماليزيا وإندونيسيا وتايوان، حيـــث تعتبره بكين جزءاً لا يتجزأ من أراضيهـــا الوطنية. وتبحـــر المدمرة الأمريكيـــة التى تضـــم صواريخ موجهة على بعد 12 ميلاً فقط من جزر البارســـيل المتنازع عليها.

يلاحظ أن ذلك التحرك الأمريكى يأتى فى الوقت الذى يواصل فيه وفود من المفاوضين الأمريكيـــين من حين لآخـــر محادثات مع نظرائهم الصينيين فى بكين لإنهاء النزاعات التجاريّة المتصاعدة بين أكبر اقتصادين فى العالم، والتى انتهت هدنتها المعلنة فى مارس 2019 الماضى.

على صعيد متصل، أعلنت وزارة الدفاع الروسية دخول السفينة الحربية الأمريكية «فورت ماكهنرى» إلى مياه البحر الأســـود، مؤكدة أنها أرســـلت ســـفينة الحراســـة «بيتليفي» التابعة لأســـطول البحر الأسود الروسى للمتابعة عن كثب حركة الســـفينة الأمريكية.

إنه فى الوقت الذى تسير فيه الصين فى خطى التطوير فى المجالات السلمية للطاقة النووية والأســـلحة النووية لحماية الأمن القومـــى الصينى فقد نـــشرت الصين 29 ديســـمبر 2018 كتاباً أبيض حول الدفاع الوطنى الصينى يكتســـب أهمية من حيث أنه يوضح العقيدة العســـكرية والنووية الصينية حيث يؤكـــد تعهد الصين بانتهاج طريق التنمية الســـلمية والعمل مع الدول الأخرى لبناء عالم ســـلمى ومزدهر ومتنام وهذا الكتاب الأبيض هو الخامس من نوعه تصدره الحكومة الصينية منذ العام 1998. وهو يقدم صورة شـــاملة للدفاع الوطنى الصينى، تتراوح من بيئة الأمن وسياســـة الدفاع الوطنى لجيش التحرير الشـــعبى وقوات الشرطة المسلحة الشعبية.

ويوضح ذلـــك الكتـــاب الأبيض: «أن الصين تنتهج سياســـة دفـــاع وطنى هى محض دفاعيـــة فى طبيعتهـــا. إن الدفاع الوطنى الصينى يوفـــر ضمانة للمحافظة على الأمن والوحدة بالصين وتحقيق هدف بناء مجتمع مزدهر بشكل معتدل على نحو شامل».

كما يتحدث الكتاب الأبيض عن تحديث الدفاع الوطنى وقـــوات الاحتياطى ودفاع الحدود والســـواحل والعلوم والتكنولوجيا والصناعة للدفـــاع الوطنى ونفقات الدفاع والتعاون الأمنى الدولى.

ومن المهم الإشـــارة إلى أن ذلك الكتاب الأبيـــض قد أوضـــح «أن الصـــين تنتهج إســـتراتيجية نووية للدفاع عـــن النفس. وســـتبقى ملتزمة بحزم بسياسة ألا تكون البادئة باســـتخدام الأسلحة النووية فى أى وقت وتحت أى ظرف».

وأضاف الكتاب الأبيـــض: «إن الصين لن تشـــترك فى أى سباق للتسلح أو تشكيل تهديد عسكرى لأى بلد آخر».

وقـــال الكتـــاب الأبيـــض إن تنامى الاتصـــالات المتبادلة بـــين العوامل المحلية والدولية والعوامـــل التقليدية فى التبادلات البينية وغـــير التقليدية، قد جعل المحافظة على الأمن الوطنى مهمـــة أكثر تحدياً. وأن النضال لمعارضة واحتواء القوى الانفصالية الداعية إلى «اســـتقلال تايوان» ونشاطاتها يظل نضالاً شاقاً.

كما أشـــار إلى أن الصين تبذل الجهود لجعل دفاعها الحدودى والســـاحلى موحداً وفعالاً ومتينـــاً وذا معرفة كما قال الكتاب الأبيض. ومن خلال التشبث بمبادئها جراء تخطيط شـــامل، لابد من التركيز المتساوى على الـــبر والبحر، ومنـــح الأولوية للدفاع وتكامل الدفاع والإدارة.

إن الصين - حســـب الكتـــاب الأبيض - تعمل على دفع حســـن الجـــوار والمنفعة المتبادلة والمصلحة المشتركة، وتحث الجهود للتقـــدم بالتعاون الأمنى الـــدولى وتوطيد

العلاقات العسكرية مع الدول الأخرى.

يشير ذلك الكتاب إلى أنه منذ عام 2002، أجرت الصين 16 مناورة عسكرية مشتركة مع 11 دولة وأنشأت علاقات عسكرية مع أكثر من 150 دولة.

لقد نشطت الصين فى المشاركة بعمليات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة وعمليات إغاثة الكوارث الدولية.

منذ العام 2000، أرسلت الصين 893 ضابط شرطة لحفظ السلام إلى سبع مناطق فى مهمات. وفى الوقت الراهن، للصين 1487 من العسكريين لحفظ السلام يخدمون فى تسع مناطق لمهمات الأمم المتحدة ودائرة عمليات حفظ السلام للأمم المتحدة.

منذ أوائل التسعينيات، زادت الصين تدريجياً نفقاتها الدفاعية على أساس تنميتها الاقتصادية لحماية سيادتها وأمنها ووحدتها وتماشياً مع خطى النهوض العالمى فى الشئون العسكرية.

إنه مع نهاية العام 2005، خفضت الصين عدد قوات جيش التحرير الشعبى بمقدار 200 ألف فرد كما أعلنت بالعام 2003، وأن تعداد جيش التحرير الشعبى حالياً 2.3 مليون فرد.

إن تحديث الدفاع الوطنى والجيش، على أساس التنمية الاقتصادية المطردة، هو المطلب للتماشى مع الاتجاهات الجديدة فى النهوض العالمى والتطور فى الشئون العسكرية، والمحافظة على الأمن الوطنى الصينى والتطور فى الشئون العسكرية، والمحافظة على الأمن الوطنى والتنمية فى الصين.

ويقدم الكتاب الأبيض أيضاً تعريفاً بسياسة تحديث الدفاع الوطنى الصينى وقوات الاحتياط ودفاع الحدود والسواحل والعلوم والتكنولوجيا وصناعة الدفاع الوطنى ونفقات الدفاع والتعاون الأمنى الدولى. ويبرز ذلك الكتاب الأبيض «أنه فى المرحلة الجديدة من القرن الجديد، ستتخذ الصين التنمية العلمية كدليل لمبدأ مرشد مهم لبناء الدفاع الوطنى والشئون العسكرية، والتقدم بنشاط وحيوية بالنهوض فى الشئون العسكرية ذات الخصائص الصينية والسعى الحثيث لتحقيق تنمية شاملة ومتناسقة ومستدامة فى الدفاع الوطنى لبلادنا وقدراتها العسكرية».

وقد عرضت شبكة «سى. سى. تى. فى» الصينية شريط فيديو تظهر فيه الصواريخ النووية وهى محملة على ظهر شاحنات عملاقة، أثناء عرض عسكرى. كما بث التليفزيون لقطات أخرى للشاحنات وهى تنقل الصواريخ فى مناطق جبلية، قبل أن يتم إطلاقها فى عرض تجريبى يؤكد القدرات العسكرية للصين. ولم يوضح التليفزيون الصينى تفاصيل أو نوعية الصواريخ الجديدة، لكن «الديلى ميل البريطانية» نقلت عن تقارير إعلامية محلية ترجيحها أنها من طراز DF -26 المتوسطة والبعيدة المدى، التى تفوق سرعتها سرعة الصوت وأشارت إلى أن هذه الصواريخ قادرة على حمل رؤوس نووية، ومهاجمة أهداف فى البر والبحر.

وتقول تقارير غير رسمية إن هذه الصواريخ قادرة على ضرب قاعدة جوام الأمريكية فى المحيط الهادى، أى على بعد 3200 كيلومتر من الشواطئ الصينية، وبوسعها تدمير حاملات طائرات وقواعد تحت الأرض وذكر التليفزيون الصينى الحكومى أن مهندسين صينيين طوروا هذه الصواريخ، مشيراً إلى أنها دخلت الخدمة وسلمت للقوة الصاروخية فى الجيش وكان أول ظهور لهذه الصواريخ، فى نسختها السابقة، عام 2015، خلال عرض عسكرى فى العاصمة الصينية بكين بمناسبة الذكرى السبعين لنهاية الحرب العالمية الثانية.

يلاحظ أن رؤية الصين حول الردع النووى قد أثيرت كثيراً وأثارت جدلاً فى مناقشات أكاديمية وعسكرية متنوعة حول مفهوم الردع النووى الصينى ومفهوم الولايات المتحدة حيث يلاحظ فى هذا الشأن ما يلى:

- يعتقد فريق أن واشنطن تسلك سياسة الإكراه النووى.
- يرى فريق ثان أن الولايات المتحدة تُمارس الاحتواء النووى.
- يشير فريق ثالث إلى أن واشنطن تنتهج التهديد النووى.

وفى تقديرى أن مفهوم الصين لذلك هو فى إطار الدفاع عن النفس فى التعامل مع الولايات المتحدة وغيرها.

- تحتفظ الصين بقدرات نووية فقط لردع دول السلاح النووى من شن ضربات نووية ضد أرضها، ولم تزود الصين أى بلد آخر «بمواد نووية» أو تقبلها منه، إن معارضتها لسياسة الردع النووى الموسع وممارسة دول السلاح النووى لتزويد حلفائها غير النوويين بمواد نووية يشهد على صحة طبيعة الدفاع عن النفس لتلك السياسة، وقد بينت الصين بوضوح بأنها لن تنشر أسلحة نووية فى إقليم أجنبى ولن تسمح بأسلحة نووية أجنبية فى الصين، وبالمقارنة، فإن واشنطن قد جسدت سياسة الردع الموسعة كعامل أساسى فى الإستراتيجية النووية وسياسة التحالف، سواء أثناء الحرب الباردة وحتى فى الوقت الحاضر.

هذا ويرى البعض أن الردع الموسع يساعد على عدم انتشار الأسلحة النووية بتلبية حاجة الحلفاء لتطوير ترساناتهم النووية الوطنية، وبالتالى تخفيض عدد الدول النوية.

وقد استنتج بعض الباحثين فى الولايات المتحدة بأن الصين، معتمدة على جهدها التحديثى، حيث تتحرك من وضع الردع الأدنى إلى الردع المحدود، الذى به يمكن للصين استخدام الأسلحة النووية لردع حربين: تقليدية ونووية معاً وحتى لممارسة السيطرة على التصعيد عند حدوث مواجهة تقليدية.

إن المنطق الأساسى للتفكير النووى الصينى يعتبر الأسلحة النووية كأداة للردع وليس للفوز على أسلحة مماثلة أخرى.

وتشير بعض التقديرات إلى أن الصين تعتمد على الغموض فى ردعها أكثر من أية دولة أخرى ذات تسليح نووى، وبمقارنة الصين مع الولايات المتحدة، يرى البعض أن الأولى تضع تأكيداً أكثر على الاستفادة من الغموض فى تنفيذ الردع، بينما تحقق الأخيرة قيمة ردع أكثر بإظهار القوة.

بقيت السياسة النووية الصينية منذ بداية القرن الواحد والعشرين ثابتة، وقد كانت الستينات والسبعينات أكثر السنوات اجتيازاً للأزمات بالنسبة للصين، ومنذ ذلك الحين تحسنت بيئة الأمن الصينية بثبات. وعلى كل حال فإن من مكونات السياسة النووية الصينية الآتى:

أولها، أن لدى الصين جيرانا نوويين أكثر من السابق.

الثانى، أصبح مضيق تايوان محطة مهمة يمكن أن تجذب دولتين نوويتين فى صراع عسكرى.

والثالث، إن انتشار أنظمة الدفاع الصاروخية ضد الصواريخ الباليستية (BMD) يهدد مصداقية الردع الصينى والتوازن الإستراتيجى بين الولايات المتحدة والصين، وبالرغم من هذه التطورات الجديدة، فإنه لا يرى تغير أساسى فى السياسة النووية الصينية المعلنة، وعدم وجود انحراف عن منطق الردع الأساسى الذى تعتقد به. وقد تبرر أسباب عدة هذا الافتقار إلى التغيير فى الآتى:

الأول: إن العلاقة الردعية المتعددة التى تقيمها الصين مع دول السلاح النووى يمكن أن تستوعب بسهولة جيرانا نوويين جددا.

الثانى: إذا كان الردع المعمول به على

العقيدة النووية الصينية والحرب الباردة

المستوى الإستراتيجى موثوقاً، فإنه يمكن أن يمنع استخداماً نووياً ضد الصين فى السلم وحتى فى صراع تقليدى.

الثالث: قد يؤدى نظام الدفاع الصاروخى الباليستى إلى إعادة تقييم هيكل القوة وحجمها، ولكن ليس إلى التخلى عن سياسة خدمت جيداً المصلحة الوطنية الصينية لنحو نصف قرن.

يتنامى وضع الصين الإستراتيجى باستمرار، بعد أن عكست سياساتها السابقة تجاه جيرانها الآسيويين منذ الخمسينيات فى تحد ضمنى للتفوق الأمريكى فى آسيا والمحيط الهادى فى المستقبل ومنذ أواخر عام 2009، مع بعض الانقطاعات، تكررت حوادث الحدود بينها وبين اليابان والفلبين وفيتنام والهند، بينما ظلت قدرة الصين على إبراز قوتها فى ازدياد مستمر فى حين تحول حلفاء أمريكا فى المنطقة، على المستوى الثنائى وبشكل متزايد، إلى الولايات المتحدة بحثًا عن الأمان، ملقين برهاناتهم ضد بكين.

فى الظاهر، تلعب الصين لصالح الولايات المتحدة لأنها تضمن تقريبًا استمرار علاقات التحالف بين الولايات المتحدة وآسيا، ولكنها فى الوقت نفسه تحرج الولايات المتحدة، التى تنشر الآن 60٪ من قواتها البحرية فى آسيا بكلفة كبيرة، وفى مهمة دفاعية.

وبينما واشنطن وبكين مستمران فى التعاون بينهما بشأن مجموعة واسعة من القضايا؛ فالصين تضغط على كوريا الشمالية لاتخاذ مواقف أكثر اعتدالاً، وإن كانت لا ترفق نصائحها بعقوبات تفرضها من طرفها. وبالرغم من أن الولايات المتحدة تتحرك فى مسألة تايوان، إلا أن تحركاتها كلها خلت من دعم الاستقلال كخيار يتخذه الناخبون فى الجزيرة.

وتقبلت أمريكا مساعى الصين فى جميع أنحاء العالم لتؤمّن نفسها بالطاقة والمواد الخام، لا بل فتحت أبوابها للاستثمارات الصينية فى هذا المجال مؤخرًا.

وفى واقع الحال، وبعد سنوات من التدخل الأمريكى فى العراق، نجد أن الصين تملك أكثر من حصص الولايات المتحدة فى النفط العراقى، وهو الوضع الذى لم يكن من الممكن تصوره سابقًا.

وسمحت الصين بالتدخل فى ليبيا بدون معارضة، رغم أن هذا تسبب فى جدل داخلى بعد أن خسرت مكاسب اقتصادية فى هذا البلد. أما معارضتها للتدخل فى سوريا، فعلى الرغم من أنه يبرَّر كمسألة مبدأ، إلا أنه أكثر ارتباطًا بما بقى من تضامن مع روسيا فى الأمم المتحدة بشأن القضايا السيادية الكبيرة.

وفى الوقت الذى يستعد فيه الاقتصاد الصينى ليتجاوز اقتصاد الولايات المتحدة فى الحجم وليس فى مستوى التطور، يبدو وبوضوح أن العلاقة الصينية - الأمريكية تتجه نحو مستقبل قد يكتنفها للغموض والتوتر أحياناً بسبب تعارض المصالح، واشتدت الأزمات التجارية بين البلدين فى عهد الرئيس الأمريكى ترامب مع استمرار الرغبة المشتركة فى إيجاد حلول متفق عليها وكثيرًا ما قد يرى الطرفان فى «انعدام الثقة» أحد العوامل المؤثرة على العلاقة بينهما، ولكن ربما ميزان القوى ونماذج الحكم المختلفة بين البلدين هى من العوامل الأكثر تأثيرًا فى هذا الشأن. وكذلك من الواضح أن آخر ما يرغب به الطرفان هوالصراع، فى حالة تأهل القطبين الأمريكى والصينى لمرحلة توازن القوى النووى والركائز الأخرى اللازمة لذلك خاصة النووية والعسكرية والاقتصادية والإعلامية والتكنولوجية والثقافية وفِى الفضاء وحشد الحلفاء فى المستقبل القريب.

وفِى ضوء ما تقدم سوف تستمر الصين والولايات المتحدة فى عهد الرئيس ترامب فى مرحلة إدارة الخلافات العميقة واحتواء المنافسة الإستراتيجية فى مرحلة النظام الحالى المتجه إلى متعدد الأقطاب وتعتبر آسيا هى المجال الحيوى للسباق والتوازن النووى المحكم والمحسوب فى ظل تواجد قيادة وسيطرة لدى الجانبين الصينى والأمريكى لعدم حدوث صدام بينهما فى آسيا بوجه خاص أو أية منطقة أخرى حتى اليوم.

ومن ناحية أخرى فإن السباق النووى والعسكرى المتعدد الأقطاب خاصة بين الولايات المتحدة والصين والهند وباكستان وكوريا الشمالية وإيران وغيرها له انعكاسات متعددة على الصعيد النووى فى آسيا والشرق الأوسط وغيرهما وكذا فيما يتعلق ببرامج الصواريخ الباليستية ووسائل الإطلاق والأهم أيضاً السباق المحموم فى الفضاء الخارجى وتكنولوجيا الصواريخ المتعلقة به لتعزيز قدراتهم ومن ذلك إعادة قضية حرب النجوم التى كان قد أعلنها الرئيس الأسبق ريجان وأثرت على علاقات بلاده مع الاتحاد السوفيتى حينذاك بل وساهمت فى انهياره والدول النووية الأخرى حيث أعلن مسئولون أمريكيون أن ترامب توجه لمقر وزارة الدفاع «البنتاجون» ليعرض هذه الإستراتيجية التى كان قد طلبها فى 2017 وينتظرها المسئولون منذ أشهر.

وتوصى تلك الإستراتيجية بدراسة تقنيات تجريبية تشمل الاحتمالات الممكنة لنشر أسلحة فى الفضاء ربما تكون قادرة على إسقاط صواريخ العدو، فى إحياء لمبادرة الرئيس الأسبق رونالد ريجان فى الثمانينيات التى تعرف «بحرب النجوم».

وتوضح وزارة الدفاع الأمريكية، نقلاً عن مصادر غير رسمية، فى وثيقة، مؤلفة من أكثر من 80 صفحة، تفاصيل الإستراتيجية والمشاريع الجديدة التى تنوى تطويرها لحماية الولايات المتحدة، خصوصاً من صواريخ جديدة أسرع من الصوت طورتها روسيا والصين لا يمكن عملياً اعتراضها بعد إطلاقها ولتدافع عن نفسها تسعى الولايات المتحدة إلى أن تكون قادرة على متابعة تحركات تلك الصواريخ بفضل أجهزة رصد خاصة عبر تحديث معدات منتشرة أصلاً فى الفضاء، بحسب الوثيقة.

وقال مسئول كبير فى إدارة ترامب للصحفيين قبل إصدار الوثيقة، «أعتقد أن الفضاء هو المفتاح للخطوة المقبلة من الدفاع الصاروخي» وقد تستهدف الإستراتيجية الدفاعية الجديدة أيضاً الصواريخ الباليستية التى تطورها لدول تعدها الولايات المتحدة أعداء، مثل إيران وكوريا الشمالية. ويؤثر ذلك على تطورات العقيدة النووية الصينية بشكل عام وفى آسيا بشكل خاص.

حول السيناريوهات المستقبلية الآتى:

- إن مسألة الردع النووى خاصة بسبب أزمة «كورونا» والحرب التجارية والحملات الشديدة بين الولايات المتحدة والصين ستتعمق وتساهم ولكن بشكل منضبط وآمن رغم التراشق الإعلامى المتصاعد بين الجانبين، وتبادل إغلاق القنصليتين فى الولايات المتحدة والصين.

- كما أن مسألة الحرب الجرثومية ستمثل تهديداً للأمن الدولى فى كل المجالات يتطلب متابعته ودراسته وفقاً لقواعد القانون الدولى ومنظمة الأمم المتحدة والعمل المشترك لوقف انتشار الأسلحة النووية والجرثومية.

فى الذكرى الخمسين لرحيل جمال عبد الناصر:

قراءة فى كتاب مهم:

الاشتراكية العربية لجمال عبدالناصر

تأليف: البروفيسير/ جان زيجلر

تمر هذه الأيام الذكرى الخمسون لرحيل الرئيس المصرى الراحل جمال عبدالناصر، وتستدعى هذه المناسبة دائماً استحضار ما يُكتب فى العالم الخارجى، أى خارج حدود مصر والوطن العربى، وبواسطة كتّاب أجانب، عن الزعيم المصرى والعربى الراحل، مما يفيد بإضافة أبعاد دولية مهمة تساعد على استكمال بعض جوانب الرؤية من الداخل. وبهذه المناسبة، فسوف نقوم هنا بتناول كتاب صدر منذ أشهر قليلة فى فرنسا وباللغة الفرنسية للكاتب والسياسى والأكاديمى السويسرى البارز «جان زيجلر» بعنوان «الاشتراكية العربية لجمال عبدالناصر».

وقبل الولوج إلى موضوع الكتاب ذاته، فإن علينا أن نتوقف قليلاً عند الكاتب، وهو البروفيسير «جان زيجلر»، وذلك لكى نعرف القارئ المصرى والعربى به وبأهميته، فهو، ولعقود طويلة، أحد أقطاب المشهد السياسى والفكرى والأكاديمى السويسرى، وهو من رموز يسار الوسط السويسرى، وتحديداً الحزب الاشتراكى السويسرى، وتولى مناصب وزارية ربما كان من أهمها تولى مسئولية وزارة الداخلية فى مرحلة ما من التاريخ السويسرى المعاصر، كما أنه من أهم الأساتذة الزائرين فى عدد من الجامعات السويسرية المهمة، وفى مقدمتها جامعة جنيف، بالإضافة إلى أنه أحد الشخصيات السويسرية التى تم اختيارها من قبل مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة لتولى مسئولية المقرر الخاص لعدد من الموضوعات ذات الأهمية العالمية كان آخرها موضوع «الحق فى الغذاء». كما أن البروفيسير «جان زيجلر» له كم هائل من المؤلفات التى غطت مجموعة كبيرة ومتنوعة من الموضوعات المهمة، سواء على الصعيد الفكرى أو السياسى أو الاقتصادى، وسواء كانت هذه الموضوعات تتعلق بالشأن الداخلى السويسرى أو بالإطار الأوروبى أو بالسياق الكونى.

وبالعودة إلى موضوع الكتاب، نقول إن أهم ما فيه هو الأرضية التى ينطلق منها، وليس العنوان أو الموضوع فى حد ذاته. فالموضوع معروف سلفاً وتمت معالجته كثيراً من قبل، فـ«الاشتراكية العربية» هى أحد التعبيرات المنتشرة تقليدياً عند تناول الطرح الأيديولوجى الذى تبنته القيادة الناصرية خلال جزء كبير ومرحلة ممتدة زمنياً من فترة حكمها، كما علينا أن نتذكر أن هذه التسمية لم تكن محل

سفير د. وليد محمود عبد الناصر

walidabdelnasser@yahoo.com

إجماع أو توافق، حتى فى الحقبة الناصرية ذاتها، فيما بين مختلف رموز تلك الحقبة، بل وحتى فيما بين الوثائق الأساسية التى صدرت عن تلك الحقبة، وبالتالى كان من الطبيعى ألا تكون أيضاً محل اتفاق فيما بين مختلف الباحثين والمحللين، بل وحتى

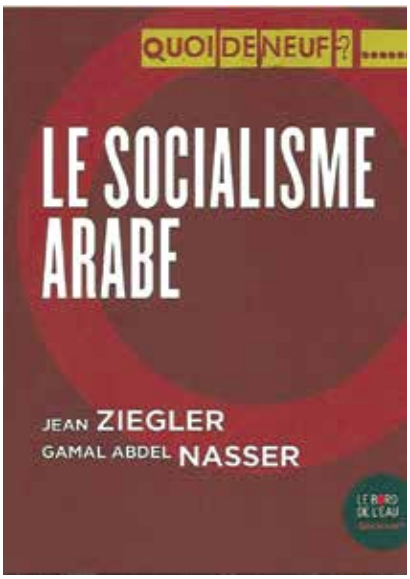

غلاف الكتاب

بين صفوف التابعين والأنصار عقب رحيل الرئيس المصرى الراحل عن عالمنا، حيث إن هناك نسبة لا بأس بها من هؤلاء، خاصة من أصحاب التوجه اليسارى، كانت تفضل تسمية «الاشتراكية العلمية بتطبيق عربي»، على اعتبار أن «الاشتراكية واحدة وهى العلمية»، كما ورد فى الميثاق الوطنى، أحد أهم وثائق المرحلة الناصرية والذى صدر عام 1962، ولكن التطبيق هو الذى يختلف من حالة إلى أخرى، حسب ما ورد أيضاً فى الميثاق.

ولكن الجديد فى الكتاب أن المؤلف دفع بأنه، من وجهة نظره، يعتبر أن توجه الرئيس المصرى الراحل جمال عبدالناصر نحو تبنى طرح «الاشتراكية العربية» لم يبدأ فى عام 1961، الذى شهد ما سمى بـ«القرارات الاشتراكية»، والتى اشتملت، ضمن أمور أخرى، على قرارات بالتأميم لقطاعات واسعة من الاقتصاد المصرى، خاصة الصناعى والخدمى فى ذلك الوقت، وإدماجها فى «القطاع العام» الخاضع مباشرة لسلطة الدولة، وكذلك فرض المزيد من القيود على الحدود القصوى للملكية فى الأراضى الزراعية، بل يرى البروفيسير/ جان زيجلر أن هذا التوجه بدأ لدى الزعيم المصرى الراحل فى مرحلة مبكرة عن ذلك التاريخ، وعلى وجه الخصوص فى عام 1956، وبشكل أكثر تحديداً فى خطابه فى 26 يوليو 1956 الذى كان بالتأكيد خطاباً تاريخياً لأنه تضمن إعلان قرار تأميم شركة قناة السويس شركة مساهمة مصرية. وكان للمؤلف الكثير من الأسباب التى ساقها والتى من شأنها أن تعزز من وجاهة دفعه باعتبار خطاب تأميم قناة السويس وتاريخ 26 يوليو 1956 هما نقطة البدء والانطلاق والتدشين لطرح «الاشتراكية العربية» لدى

الاشتراكية العربية لجمال عبد الناصر

الرئيس المصرى الراحل جمال عبدالناصر.

وأول الاعتبارات التى ساقها المؤلف لدعم وجهة نظره تلك هو ما أسماه بـ«التصدى للإمبريالية العالمية والاستعمار الجديد» من جانب القيادة الناصرية، والذى بدأ مبكراً من وجهة نظره، حيث يسوق حالات معارضة مبدئية ومستمرة من جانب تلك القيادة منذ بدايات توليها مقاليد الأمور فى مصر فى عام 1954 لتصورات أو اقتراحات داعية لقيام تحالفات موالية للغرب فى المنطقة العربية على وجه الخصوص وفى الشرق الأوسط بشكل عام، ناهيكم عن رفضها أصلاً لانضمام مصر لأى من هذه التحالفات المقترحة فى تلك السنوات فى عقد الخمسينيات من القرن العشرين، حيث يرى البروفيسير/ زيجلر أن قوى «الاستعمار الجديد» فى الغرب، ممثلة بصفة خاصة فى ذلك الوقت فى الولايات المتحدة الأمريكية، كانت تسعى آنذاك لوراثة الاستعمار الغربى التقليدى ممثلاً فى الاحتلال العسكرى والسياسى بعد حصول البلدان العربية على استقلالها السياسى فى سنوات ما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية فى عام 1945، وضمان عدم خروج المنطقة العربية من تحت السيطرة الغربية الفعلية على مقدرات الأمور بها، سواء من الناحية الجيوإستراتيجية أو الاقتصادية أو الثقافية أو غير ذلك من جوانب، كما هدفت تلك المحاولات الغربية إلى ضمان عدم دخول الاتحاد السوفيتى إلى منطقة الشرق الأوسط من خلال مد نفوذه للبلدان العربية أو الدخول فى علاقات تحالف أو صداقة وثيقة مع حكومات عدد من تلك البلدان المستقلة حديثاً فى ذلك الوقت. ولذلك السبب الأخير، عرفت تلك الأحلاف، وفى مقدمتها فى تلك الفترة «حلف بغداد»، فى إطارها العام بمسمى «ملء الفراغ»، أى الفراغ الناتج عن انتهاء الاحتلال العسكرى والسياسى من جانب البلدان الاستعمارية التقليدية فى الغرب، أو قوى الاستعمار القديم ممثلاً بصفة خاصة فى بريطانيا وفرنسا.

ويرتبط بما سبق اعتبار آخر كان له دوره فى صياغة المؤلف لموقفه والدفوع الداعمة له بشأن اعتبار خطاب تأميم قناة السويس وتاريخ 26 يوليو 1956 هو نقطة البدء لتبنى خيار طرح «الاشتراكية العربية» من قبل القيادة الناصرية، وهو اعتبار له صلة لا تنقطع بالاعتبار السابق، وأعنى هنا بروز شخصية الرئيس الراحل جمال عبدالناصر على الصعيد العالمى واكتسابه اهتماماً خاصاً فى بلدان العالم الثالث، خاصة فى قارتى إفريقيا وآسيا، فى أعقاب دوره المحورى فى مؤتمر قمة باندونج الأفرو آسيوى الذى استضافته إندونيسيا فى عام 1955، حيث أصبح جمال عبدالناصر من قادة المشهد الأفرو آسيوى فى ختام تلك القمة، بجانب الزعيم الهندى الراحل جواهر لال نهرو والزعيم الإندونيسى الراحل أحمد سوكارنو، وهم الداعون لإطلاق ما سمى آنذاك بـ«الحياد الإيجابي»، والذى تحول فيما بعد إلى حركة «عدم الانحياز» بعد انضمام بلدان من أمريكا اللاتينية ومن أوروبا إلى ذلك التكتل الجديد والصاعد على المشهد الدولى فى ذلك الوقت. ويرتبط هذا الاعتبار بما سبقه بسبب كون المعسكر الغربى نظر منذ البداية بريبة وشك، ثم بعداء وسعى إلى التشهير والتعريض، إلى هذه الكتلة الواعدة، حيث رأت فيها القوى الغربية منذ مرحلة مبكرة نذر تقارب محتمل، إن لم يكن تحالفاً ممكناً، فيما بين تلك الكتلة الجديدة وبين المعسكر السوفيتى، وهو تقارب كان من الطبيعى ومن المتوقع ومن المنطقى أن يكون، على الأقل فى جانب منه، موجهاً ضد التحالف الغربى باعتبار أن الكتلة الجديدة حددت أحد أهدافها فى إنهاء كافة أشكال الاستعمار، وهو أمر بالتأكيد يمس مصالح القوى الغربية.

أما الاعتبار الثالث الذى دفع البروفيسير/ جان زيجلر إلى اعتبار قرار تأميم قناة السويس هو بداية تحول الرئيس المصرى الراحل جمال عبدالناصر لخيار «الاشتراكية العربية» فهو أن قرار تأميم القناة كانت له أهداف متعددة، كان من أهمها تأكيد حق شعوب الجنوب فى بلدان العالم الثالث فى تأكيد سيادتها، وممارسة تلك السيادة، على الموارد الطبيعية أو الممرات المائية والإستراتيجية التى تقع فى نطاق حدودها الوطنية، وذلك فى مواجهة السيطرة التاريخية والمستمرة للبلدان الاستعمارية على تلك الموارد والممرات من جهة، وجعل تلك السيطرة مطية لمواصلة عملية النهب لثروات تلك البلدان بشكل منتظم وممنهج منذ زمن بعيد. كذلك كان من أهم أهداف قرار تأميم القناة، بحسب المؤلف، هو مواجهة «الأوليجاركيات المالية المنضوية تحت لواء الرأسمالية العالمية» والعمل من أجل إجهاض وإلحاق الهزيمة بعدوانها المستمر على سيادة بلدان الجنوب وسيطرة شعوبها على مقدراتها الوطنية. وهنا يبرز البروفيسير/ زيجلر رؤيته أن الأسهم المملوكة لبلدان غربية فى شركة قناة السويس لم تكن مملوكة لشعوب تلك البلدان الغربية، بل للاحتكارات والكارتلات الرأسمالية التى كانت تمسك بزمام الأمور فى تلك البلدان آنذاك، وكانت شعوب تلك البلدان، مثلها فى ذلك مثل شعوب بلدان الجنوب، محرومة من ثمرة الاستغلال القائم من قبل النخب الرأسمالية القائمة والمسيطرة بها لموارد بلدان وشعوب الجنوب، كما كانت أيضاً محرومة من نصيب عادل ومستحق لها من عائد عملية التنمية داخل بلدانها الغربية ذاتها.

أما الاعتبار الرابع الذى يبرر به المؤلف دفعه بأن خطاب الرئيس المصرى الراحل جمال عبدالناصر بتأميم قناة السويس فى 26 يوليو 1956 هو بداية توجه جمال عبدالناصر نحو «الاشتراكية العربية» فهو أنه يعتبر أن الرئيس الراحل كان قد قرأ منذ مرحلة مبكرة لمفكرين تقدميين من خارج حدود الوطن العربى، بما فى ذلك «كارل ماركس»، والذى يذكر البروفيسير/ زيجلر أن جمال عبدالناصر حصل على كتب له مترجمة إلى اللغة العربية من زميله وصديقه ورفيقه لاحقاً فى تنظيم الضباط الأحرار السيد «خالد محى الدين»، المنتمى منذ وقت مبكر إلى تنظيمات شيوعية مصرية سرية آنذاك، خلال خدمتهما معاً، ومعهما الرئيس الراحل أنور السادات، فى «منقباد» فى صعيد مصر عام 1938، وأعقب ذلك تطوير جمال عبدالناصر لعلاقات واتصالات مباشرة مع تنظيمات شيوعية سرية وشخصيات ماركسية ونقابية تقدمية كانت متواجدة فى مصر فى تلك الفترة وما بعدها، خاصة بدءًا من فترة نقله من «منقباد» إلى الإسكندرية. وبالتالى يرى «زيجلر» أن جمال عبدالناصر تأثر بالفكر الاشتراكى العالمى منذ ذلك التاريخ المبكر، وأن هذا التأثير تجلى فى مرحلة مبكرة فى قرار «تأميم» قناة السويس، حيث إن مفهوم «التأميم» فى حد ذاته هو ذو منبع اشتراكى، وذلك بخلاف مفهوم «الإصلاح الزراعي» مثلاً والذى قامت به حكومات غربية أو موالية للغرب فى فترات تاريخية تالية لانتهاء الحرب العالمية الثانية عام 1945، وبالتالى لا يعتبر لجوء مجلس قيادة الثورة فى مصر إليه فى سبتمبر 1952 دلالة على أى توجه اشتراكى للسلطة الجديدة التى أطاحت بحكم أسرة محمد على فى 23 يوليو من نفس العام.

أما الاعتبار الخامس الذى ساقه البروفيسير «جان زيجلر» لدعم وتعزيز وجهة نظره بأن توجه الرئيس الراحل جمال عبدالناصر نحو «الاشتراكية العربية» بدأ من خلال خطابه لتأميم قناة السويس فى 26 يوليو 1956، فهو أنه يعود إلى محطات سابقة منذ 23 يوليو 1952، بدأت بكون أحد الأهداف الستة للثورة التى قادها تنظيم الضباط الأحرار هو «تحقيق

العدالة الاجتماعية»، وتمثلت المحطة الثانية فى الصراع بين الرئيس الراحل محمد نجيب والرئيس الراحل جمال عبدالناصر، عندما كان الأخير رئيساً لمجلس الوزراء، وتحديداً تجسدت فى النقطة الأكثر تأججاً فى سياق ذلك الصراع، ألا وهى أزمة مارس 1954، ويعتبر «زيجلر» أن وقوف الساسة المنتمين إلى عهد ما قبل 23 يوليو 1952 واصطفافهم خلف الرئيس الراحل محمد نجيب فى تلك الأزمة عكس انتماء اللواء محمد نجيب فى جوهر انحيازاته الفكرية إلى قناعات ذات طابع محافظ توقفت عند حدود القضاء على النظام الملكى والاكتفاء على الصعيد الاجتماعى بقانون الإصلاح الزراعى فى سبتمبر 1952، وذلك مقابل دعم النقابات العمالية للرئيس الراحل جمال عبدالناصر والمظاهرات الداعمة له فى ذلك الوقت كانت دلالة على إدراك جمال عبدالناصر منذ ذلك الوقت المبكر أن أحد أهم دعائم قوته وسلطته تكمن فى الحركة النقابية العمالية المصرية، وبالتالى مثّل ذلك دافعاً آخر له لتبنى التحول تجاه «الاشتراكية العربية» فى أقرب فرصة وهى تأميم قناة السويس، خاصة وأنه تلى قرار التأميم، وبعد هزيمة العدوان الثلاثى البريطانى/ الفرنسي/ الإسرائيلى فى نفس العام، والذى جاء رداً على قرار تأميم القناة، قرارات تأميم أخرى، وإن أطلق عليها آنذاك «قرارات التمصير»، والتى أممت من الناحية الفعلية الممتلكات البريطانية والفرنسية على الأراضى المصرية.

وننتقل الآن إلى تناول الاعتبار السادس الذى ساقه البروفيسير «جان زيجلر» فى كتابه لدعم رؤيته بشأن تبنى الرئيس الراحل جمال عبدالناصر للاشتراكية العربية فى عام 1956، وهو كون هذا العام لم يشهد فقط إعلان قرار تأميم قناة السويس، بل شهد أيضاً انطلاق حملة وطنية واسعة للتصنيع برعاية الدولة ودعمها عبر آلية استثمارات مكثفة، وبدء فرض نظام ضريبى بناء على قوانين جديدة زادت من العبء الضريبى على فئات الدخل والثروة العليا فى المجتمع، كما شهد نفس ذلك العام إرهاصات بناء «قطاع عام» مصرى حدثت له توسعات ضخمة فى السنوات التالية، كذلك شهد العام ذاته تدخل الدولة بشكل كبير فى تقديم إطار إرشادى للأنشطة الاقتصادية بشكل عام، والصناعة والتجارة بشكل خاص، بما فى ذلك الموجودة تحت ملكية القطاع الخاص المصرى، بدون التطرق إلى تأميمها والسيطرة على ملكيتها وإدارتها وتوجيه سياساتها الاقتصادية فى تلك المرحلة. وقد يختلف كثيرون مع هذا الطرح من جانب البروفيسير «زيجلر»، حيث إن عدداً من المؤرخين وكذلك من الباحثين والمحللين والدارسين لتلك المرحلة من تاريخ مصر الاقتصادى المعاصر يفسرون هذه السياسات الداخلية التى شهدها عام 1956 بأنها لم تعكس أى توجه أيديولوجى تقدمى أو اشتراكى لدى القيادة الناصرية، بالقدر الذى عكس فيه رغبتين لدى تلك القيادة، الرغبة الأولى كمنت فى تعزيز قبضة مؤسسات الدولة فى السيطرة والتوجيه على مختلف جوانب النشاط الاقتصادى، باعتبار أن ذلك من مقومات تأكيد الاستقلال السياسى الذى اكتمل فى ذلك العام، وتحديداً فى 18 يونيو 1956، من خلال جلاء آخر جنود الاحتلال البريطانى تطبيقاً لمعاهدة الجلاء المصرية البريطانية فى أكتوبر 1954، أما الرغبة الثانية فتمثلت فى العمل من أجل الإسراع بمعدلات النمو الاقتصادى لمواكبة النمو فى تطلعات المواطنين فى مرحلة الاستقلال الوطنى وعدم إعطاء الانطباع بأن سنوات النظام السابق والاحتلال الأجنبى كانت أفضل حالاً من ناحية مؤشرات الأداء الاقتصادى الوطنى. ولا شك أن تأميم قناة السويس، ومن بعده حملة تمصير الممتلكات البريطانية والفرنسية، وفرا مصادر رأس مال تم توظيفه للدفع باتجاه توسيع دور القطاع العام الاقتصادى من جهة وللإسراع بمعدلات النمو الاقتصادى من جهة أخرى.

ومثل الاعتبار السابق، فإن الاعتبار السابع الذى يطرحه البروفيسير «جان زيجلر» للدفع بأن توجه الرئيس الراحل جمال عبدالناصر نحو تبنى طرح «الاشتراكية العربية» يعود إلى عام 1956 هو بطبيعته وبضرورته مثار جدل وخلاف أيضاً مع عدد كبير من المؤرخين والباحثين والمحللين المعنيين بالشأن المصرى المعاصر، فهو يعتبر أن إحدى الدلالات المبكرة لتوجه جمال عبدالناصر لخيار «الاشتراكية العربية» هو لجوؤه للحصول على السلاح فى العام السابق على قرار تأميم قناة السويس، أى فى عام 1955، من الكتلة السوفيتية، وهو الأمر الذى تجسد فى صفقة الأسلحة التشيكية. وهنا بالتأكيد، ومرة أخرى، يختلف كثيرون مع أطروحة «زيجلر»، حيث إن أغلب الأدبيات التاريخية والسياسية الموجودة عن ذلك الحدث تنحاز إلى اعتبار أن ما دفع الرئيس الراحل جمال عبدالناصر نحو الحصول على السلاح من المعسكر السوفيتى لم يكن أى دافع أو باعث أيديولوجى، بل يرجعون ذلك إلى عامل وحيد وهو أنه فى أعقاب تعرض قطاع غزة، الواقع آنذاك تحت الإدارة المصرية، لهجمات إسرائيلية فى عام 1955، مما أظهر حاجة الجيش المصرى لإمدادات عسكرية عاجلة، وفى ضوء حالة الاستقطاب الدولى فى زمن الحرب الباردة كان هناك مصدران لتوريد السلاح لا ثالث لهما: الكتلة الغربية بقيادة واشنطن والكتلة الشرقية بقيادة موسكو، وبما أن البلدان الرئيسية فى الكتلة الغربية، بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، تعهدت فى مطلع الخمسينيات من القرن العشرين بعدم تقديم سلاح للدول الأطراف فى الصراع العربى الإسرائيلى بما يخل بالتوازن العسكرى فى المنطقة، بدون توضيح ما يعنيه ذلك، فإن هذه الدول ماطلت فى طلب القيادة الناصرية تزويد مصر بالسلاح بعد اعتداءات غزة، وبالتالى لم تترك لتلك القيادة من خيار، حتى ولو لحفظ ماء الوجه داخلياً أمام الشعب المصرى، سوى اللجوء للحصول على السلاح من الكتلة السوفيتية.

جمال عبد الناصر

وهكذا عرضنا لأهم الدفوع التى سعى لتوظيفها البروفيسير «جان زيجلر» فى كتابه «الاشتراكية العربية لجمال عبدالناصر» لتعزيز وجهة نظره بأن توجه الرئيس المصرى الراحل للاشتراكية بدأ مع قراره بتأميم قناة السويس فى 26 يوليو 1956، كما عرضنا للحجج المعارضة لأطروحات «زيجلر»، على الأقل فى عدد من دفوعه. ويبقى أن نقول فى الختام إن هناك العديد من المحللين، سواء داخل مصر أو خارجها، وأياً كانت الخلفية الأيديولوجية لهؤلاء، الذين يدحضون أصلاً مقولة أن توجه القيادة الناصرية كان تجاه الاشتراكية، فهناك من يعتبره توجهاً نحو التأسيس لرأسمالية الدولة، وهناك من يرى فيه مسعىً لتعزيز قبضة الدولة على المجتمع، وذلك كهدف فى حد ذاته، وبغض النظر عن أى اعتبارات أيديولوجية.

جمال عبدالناصر...
الزعيم الذى لا تغرب عنه الشمس

نرى صدرك الآن متراس ثائر.. ولافتة للشوارع
نراك طويلاً.. كسنبلة فى الصعيد
جميلاً.. كمصنع صهر الحديد
وحراً.. كنافذة فى قطار بعيد
ولست نبياً.. ولكن ظلك أخضر

هكذا ودّع الشاعر الكبير محمود درويش الزعيم جمال عبدالناصر عند رحيله قبل خمسين عاماً فى قصيدته الشهيرة «الرجل ذو الظل الأخضر»، ورغم هذه الأعوام الطويلة تعود بنا الذاكرة الوطنية إلى واحدة من أهم صفحات تاريخنا الوطنى، صفحة عنوانها «جمال عبدالناصر» الذى رحل فى الثامن والعشرين من سبتمبر من عام 1970، ولكنه يظل رغم مرور هذه الأعوام الطويلة الزعيم الذى لا تغرب عنه الشمس.

يقول المؤرخ الدكتور أنيس صايغ فى كتابه (فى مفهوم الزعامة السياسية من فيصل الأول إلى جمال عبدالناصر) «لقد استطاع عبدالناصر أن يمثل أغلبية الشعب تمثيلاً صادقاً، وأن يدافع عن الأمانى القومية دفاعاً حقيقياً، واستطاع بواسطة ذلك أن يتحول إلى رمز للحركة الوطنية المعاصرة فتبايعه عبر هذه الحركة أغلبية الشعوب بزعامة لم يحصل عليها من قبل أى زعيم آخر، لا من حيث اتساع أفقها وشمولها من المحيط إلى الخليج، ولا من حيث نوعيتها، فزعامة عبدالناصر تختلف من حيث المادة التى تتركب منها، إنها تنبثق عن الشعب، عن مجموع طبقاته وفئاته وأفكاره، وهى تنبثق عن أمانى الشعب، وعن مطالبه التى نادى بها منذ قرن على الأقل، وعن شعاراته التى رفعها منذ أن عرف العمل السياسى الحديث، وعن أحلامه التى أخذت تتراءى له منذ أن أقلقت باله كوابيس التخلف والاستعمار والتفرقة والفاقة، وعن تراثه وكيانه القومى ومصالحه العامة، إنها باختصار، تمثل أغلبية العرب».

ونحن فى هذا المقال نحاول استدعاء إنجازات الزعيم جمال عبدالناصر، ونؤكد فى هذا السعى أن هذه المحاولات ما هى إلا غيض من فيض، هذه الإنجازات التى مازالت ذاكرة الأجيال العربية تستدعيها من حين لآخر، ولم لا، فقد كان الزعيم جمال عبدالناصر فى حياته ملهماً للجماهير، ولا يزال رغم رحيله

د.هشام عبدالملك

Hesham.Abdel.Malek@bbc.co.uk

الطويل حاضراً فى ذاكرتها، وكلما مضت السنون أمعنت سيرته فى الحضور، يستذكره ناسه فى كل وقت، وعند كل ضيق، وتثير الملمات أشواقهم إلى الزعيم.

لقد كان الاستقلال الوطنى الشغل الشاغل للزعيم جمال عبدالناصر ليحقق ثورة كبرى على صعيد الدولة المصرية، فهو الذى عقد اتفاقية الجلاء مع بريطانيا ليغادر الاحتلال البريطانى الأراضى المصرية مدحوراً مذموماً، ويردد الشعب مع الزعيم (يا مصر تم الهنا، بهمة الأحرار، من بعد سبعين سنة، الليل طلع له نهار)، وتستكمل مصر طريق الاستقلال على يد الزعيم عندما تأتى اللحظة التاريخية بتأميم قناة السويس.

لقد كانت قضية الديمقراطية واحدة من أهم القضايا التى استند إليها خصوم ثورة يوليو من عام 1952 للهجوم على الثورة وقائدها الزعيم جمال عبدالناصر، إلا أن الواقع العملى يؤكد عكس ما ذهبوا، فى إنجاز يحسب للزعيم، فعلى الصعيد السياسى الداخلى، وفى الثالث والعشرين من يناير من عام 1953 تم الإعلان عن قيام هيئة التحرير بديلة عن الأحزاب السياسية التى كانت قائمة قبل الثورة، وقد كان الدافع الأساسى من وراء تأسيسها هو خلق نوع من التعبئة السياسية الشاملة خلف أهداف الثورة، ثم يتم التحول إلى الاتحاد القومى عقب دستور عام 1956، وفى عام 1962، أصدر الزعيم جمال عبدالناصر قراراً بتشكيل اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى، وقد تحوّل هذا التنظيم فى السنوات التالية لتأسيسه إلى تجمع لتحالف قوى الشعب، ومنح امتيازات أكبر لمشاركة العمال والفلاحين فى تشكيلاته المختلفة.

ولم يتوقف الأمر عند ذلك، فعلى مدار نحو عشرة أعوام شارك الزعيم فى العديد من المؤتمرات السياسية التى نظمها الاتحاد القومى، ومن بعده الاتحاد الاشتراكى العربى، وناقش مع الأعضاء مختلف القضايا المتعلقة بالشأن الداخلى والخارجى للبلاد، ومنح التنظيم السياسى الحق فى مناقشة هذه القضايا على نحو فريد، وهو ما يشير بوضوح إلى المدى الذى وصل إليه الزعيم جمال عبدالناصر فى الممارسة الديمقراطية، وكان الزعيم يستمع لمحدثيه مهما اختلفت آراؤهم وتباينت انتماءاتهم الفكرية.

ومازلنا نبحر فى صفحات إنجازات الزعيم، ونتوقف عند عنوان النهضة الصناعية، فقد تطورت حركة التصنيع فى مصر فى عهد الزعيم تطوراً ملحوظاً، فقد كان حلم يوليو الصناعى هو تصنيع كل شيء من «الإبرة إلى الصاروخ» مع اهتمام خاص بالتصنيع العسكرى استجابة لروح التحدى العسكرية التى كانت تحيط بمصر فى ذلك الوقت، وأعطيت الأولوية للصناعات الكيماوية والغزل والنسيج والصناعات المعدنية، خاصة الحديد والصلب والإسمنت، وتم إنشاء المجلس القومى للإنتاج فى عام 1955 الذى قام بدور المروج للمشروعات الصناعية.

وبعد العدوان الثلاثى، شقت مصر الزعيم طريق التنمية الاقتصادية المستقلة لبناء اقتصاد وطنى حديث يقوم على

الصناعة، وتم إنشاء وزارة الصناعة فى يوليو من عام 1957، وتم وضع أول برنامج قومى للتصنيع فى عام 1957 بلغت تكاليفه الكلية حينئذ مائتين وخمسين مليون جنيه لينفذ على خمسة أعوام اختصرت إلى ثلاثة أعوام، وتضمن البرنامج الكثير من الصناعات الكيماوية، وصناعات مواد البناء وتبعته الصناعات المعدنية والهندسية.

وأنجزت مصر فى عهد الزعيم جمال عبدالناصر ثلاث خطوات حاسمة على طريق التنمية، أولاها وضع خطة مضاعفة الدخل الوطنى فى عشرة أعوام وهو معروف باسم الخطة الخمسية الأولى، وكان معنى ذلك التسليم بمبدأ التخطيط للتنمية، وتمثلت الخطوة الثانية فى الإقدام على التأميمات الكبرى ابتداء بتأميم البنك الأهلى وبنك مصر فى فبراير من عام 1960، ثم تأميمات يوليو من عام 1961 وما بعدها، وقوانين يوليو الاشتراكية، وكان معنى ذلك التسليم بأن القطاع العام هو القاعدة الأساسية للتنمية، أما الخطوة الثالثة فتمثلت فى وضع ميثاق العمل الوطنى وشق طريق التحولات الاقتصادية والاجتماعية بهدف الوصول إلى الاشتراكية، وتحقيق الاستقلال الاقتصادى، وكذلك لتغيير المجتمع وإعادة بنائه لصالح مجموع قواه العاملة.

وكان من نتائج النهضة الاقتصادية والصناعية فى عهد الزعيم جمال عبدالناصر:

* استطاع الاقتصاد المصرى على الرغم من نكسة عام 1967 أن يتحمل تكاليف إتمام بناء مشروع السد العالى الذى اختارته الأمم المتحدة عام 2000 كأعظم مشروع هندسى وتنموى فى القرن العشرين.

* بناء مجمع مصانع الألومنيوم فى نجع حمادى وهو مشروع عملاق بلغت تكلفته ما يقرب من ثلاثة مليارات جنيه.

* استطاعت مصر الحفاظ على نسبة النمو الاقتصادى فى عامى 1969 و1970، وبلغت (8٪) سنوياً.

* تمكن الاقتصاد عام 1969 من تحقيق زيادة فى فائض الميزان التجارى للمرة الأولى فى تاريخ مصر بفائض قدره 46.9 مليون جنيه بأسعار ذلك الزمان.

* كانت المحلات المصرية تعرض وتبيع منتجات مصرية من مأكولات وملابس وأثاث وأجهزة كهربائية.

* زيادة مساحة الرقعة الزراعية بنسبة (15٪)، وللمرة الأولى تسبق الزيادة فى رقعة الأرض الزراعية الزيادة فى عدد السكان.

* زادت مساحة الأراضى المملوكة لفئة صغار الفلاحين من 2.1 مليون فدان إلى حوالى 4 ملايين فدان.

* حتى عام 1970 كان اقتصاد مصر أقوى من اقتصاد كوريا الجنوبية، ولدى مصر فائض من العملة الصعبة تجاوز مائتين وخمسين مليون دولار بشهادة البنك الدولى.

* أنشأت مصر أكبر قاعدة صناعية فى العالم الثالث، حيث بلغ عدد المصانع التى أنشئت فى عهد الزعيم جمال عبدالناصر ألفاً ومائتى مصنع، منها مصانع صناعات ثقيلة وتحويلية وإستراتيجية.

* انعكست النهضة الاقتصادية فى عهد الزعيم جمال عبدالناصر على مستوى التعليم، حيث انخفضت نسبة الأمية من (80٪) قبل 1952 إلى (50٪) عام 1970 بفضل مجانية التعليم فى كل مراحل الدراسة.

ونبحر فى صفحة أخرى من صفحات إنجازات الزعيم، عنوانها النهضة الثقافية، وتبدأ القصة عام 1958 عندما قرر إنشاء وزارة تهتم بشئون الثقافة، كان على رأسها الدكتور ثروت عكاشة، أول وزير للثقافة والإرشاد القومى، والذى يقول فى كتابه (مذكراتى مع السياسة والثقافة) إن الزعيم كانت لديه الرغبة فى أن تصبح الثقافة والفنون الراقية فى متناول الجماهير العريضة، وأن تخرج من أسوار القاهرة والإسكندرية، لتبلغ القرى والنجوع، حتى يبزغ فنانون جدد من تلك القرى البعيدة، يعكسون فى إبداعاتهم أصالتهم الحضارية، ومن ضمن المؤسسات الثقافية التى تم تدشينها آنذاك المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والذى تحول إلى المجلس الأعلى للثقافة، والهيئة العامة للكتاب، ودار الكتب والوثائق القومية، والتى كانت تحوى فى ذلك الوقت نحو نصف مليون مجلد من الكتب والمخطوطات القيمة للمحافظة على التراث المصرى بداخله، فضلاً عن فرق دار الأوبرا المختلفة، وكان من ضمن أهم المشاريع الثقافية التى بدأت فى عهد الزعيم جمال عبدالناصر مشروع الألف كتاب الذى صدر فى عام 1955 بإشراف الإدارة العامة للثقافة.

وكانت هناك ثورة أخرى تخص السينما والمسرح وباقى الفنون، فتم إنشاء مصلحة السينما، وإنشاء المعهد العالى للسينما عام 1959، كما تم إنشاء إدارة الثقافة والنشر ومركز الفنون الشعبية والجماهيرية، الذى كان نواة فيما بعد لإنشاء الهيئة العامة لقصور الثقافة للعمل على خلق مساحة إبداعية ثقافية تجمع الأجيال المختلفة من المصريين والعرب من المثقفين والمبدعين، ولذلك ألهمت هذه الفترة رواجاً على مستوى الوجوه الأدبية التى أثرت الحياة الثقافية فى مصر.

كما شهد المسرح المصرى نهضة حقيقية فى عهد الزعيم جمال عبدالناصر، وتأسست العديد من الفرق المسرحية ولمعت عشرات الأسماء لكتّاب ومخرجين وممثلين أفذاذ تركوا بصماتهم الواضحة فى تاريخ فن المسرح فى مصر، فضلاً عن كبار النقاد.

كما كانت الأغنية الوطنية مكوناً أصيلاً وموروثاً ثقافياً حاضراً مع كل الأحداث التى مرت بها الثورة ليصل عدد الأغنيات الوطنية إلى نحو ألف ومائتى أغنية أرّخت بشدة لكافة الأحداث السياسية فى عهد الزعيم الذى كان يؤمن بأن الأغنية، وخاصة الوطنية والقومية، لها دورها فى رفد الأمة بطاقة كبيرة من الاندفاع والحماس عندما كان الموقف السياسى وحتى العسكرى يتطلب هذا التفاعل.

وامتدت الإنجازات الثقافية إلى الاهتمام بالآثار المصرية، ووضع حجر الأساس لمجموعة متاحف تعد من أعظم المتاحف المصرية إلى الآن، وتقديم عروض الصوت والضوء، وإقناع المؤسسات الدولية بالعمل على إنقاذ معبدى فيلة وأبى سمبل والآثار المصرية فى النوبة حفاظاً عليها من الضياع فى أثناء بناء السد العالى، وكذلك إنشاء التليفزيون المصرى عام 1959، وانطلاق معرض القاهرة الدولى للكتاب عام 1969.

لقد كان ذلك من أجل هدف واحد عاش من أجله الزعيم، وهو البحث عن مصلحة الشعب، ولذلك تحكى لنا صفحات التاريخ عن النهضة الاجتماعية فى عهد الزعيم الذى أدرك حجم التباين الطبقى والتمايز الاجتماعى الذى يرتبط بنظام الإقطاع وسيطرة الاحتكار على مؤسسات الدولة، ولذلك فى عام 1962، بدأ سلسلة من القرارات الاشتراكية والإصلاحات التحديثية فى مصر، حيث انحاز إلى طبقة الفقراء من خلال مجموعة من القرارات والقوانين أبرزها الإصلاح الزراعى، الذى جعل عدداً كبيراً من الفلاحين الأجراء ملاكاً للأراضى واستطاع إنهاء تبعية الفلاحين وعبوديتهم للإقطاعيين، للمرة الأولى، بالإضافة إلى تأميم الشركات الكبرى، ولم يكن ذلك عائداً لبعد اقتصادى فقط بل يعود ذلك أيضاً لأبعاد اجتماعية ضخمة أدت إلى التقريب بين طبقات المجتمع، وقد تطلبت النهضة الاجتماعية فى عهده برنامجاً ضخماً لتحقيق العدالة الاجتماعية، فتم وضع تشريعات كثيرة من أجل زيادة نصيب الفرد من الخدمات، وتم تطبيق مبدأ التجنيد الإجبارى، فضلاً عن دعم الفقراء ومحدودى الدخل، وتمثل ذلك فى وضع قوانين الضمان الاجتماعى، والتأمين الصحى، والعلاج المجانى، وإصلاح قوانين العمل لحماية الطبقة العاملة من استغلال أصحاب العمل وضمان مستوى معيشى أفضل.

ودشّن الزعيم جمال عبدالناصر العديد من المشروعات الزراعية العملاقة التى مازالت قائمة حتى اليوم، هى ميراثه للأجيال الحالية، منها مشروع بحيرة ناصر أكبر بحيرة صناعية فى العالم، والتى حملت اسم الزعيم لأنه كان العقل المدبر

جمال عبدالناصر... الزعيم الذى لا تغيب عنه الشمس

لهذا المشروع الضخم.

واستطاعت مصر فى عهده أن تحقق الاكتفاء الذاتى من مختلف محاصيلها الزراعية عدا القمح الذى حققت منه ثمانين فى المئة من احتياجاتها، وتضاعف حجم الأرض المزروعة بمحاصيل رئيسية إستراتيجية وتحديداً القطن طويل التيلة والقمح والأرز وقصب السكر والفول والعدس والبصل، كما أنشأ الزعيم هيئة السلع التموينية عام 1961 لتكون مسئولة عن توفير احتياجات الشعب المصرى، سواء من الأسواق الداخلية أو بالاستيراد.

وتمر الأيام والأعوام، ويشاهد أبناء هذا العصر الإنجازات تلو الإنجازات على أرض مصر الجديدة، وها هو الزعيم جمال عبدالناصر يضع اللبنة الأولى لأضخم مشروع قومى فى ذلك الوقت، وهو السد العالى، هذا السد الذى اهتم به الزعيم اهتماماً كبيراً لدرجة أن الكثيرين كانوا يصفون السد العالى بأنه «ابن عبدالناصر».

وقد حظيت المرأة بعناية الزعيم ورعايته لها، وجاءت الخطوة الأولى فى أول دستور مصرى بعد الثورة، وهو دستور عام 1956، الذى اهتم بإعطاء المرأة المصرية حقوقها السياسية وإبراز دورها الذى تقوم به فى المجتمع والأسرة ورأيناها تحقق ذاتها فى مختلف أوجه الحياة السياسية.

كما أدرك الزعيم جمال عبدالناصر دور الشباب فى بناء الوطن، فاهتمت الدولة برعاية الشباب، وكانت البداية بإنشاء اتحاد الشباب القومى عام 1960 بهدف تنمية الروح القومية، ودعم صلات الأخوة بين الشباب العربى، كما تم الإعلان عن قيام منظمة مستقلة للشباب فى الحادى والعشرين من يوليو من عام 1966 تحت اسم منظمة الشباب الاشتراكى بهدف إعداد قيادات شابة من أبناء الوطن، وتوعيتهم بأهم الخدمات.

وإذا تحدثنا عن النهضة التعليمية فى عهد الزعيم جمال عبدالناصر فنجد أنه اهتم بتطبيق أسس التعليم المجانى لإدراكه أن التقدم لابد أن يرتكز على تعليم متطور يواكب التغيرات العلمية والبحثية التى حدثت فى العالم بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وتفجير القنبلة الذرية، وقد جعل تطبيق المجانية فى التعليم مشروعاً وطنياً مكتمل الأركان.

وقد كانت مجانية التعليم فى جميع المراحل سبباً فى ارتقاء عدد من الأسر الفقيرة درجة فى السلم الاجتماعى ووصولها إلى الطبقة الوسطى، وقد توسعت مساحة هذه الطبقة حتى أصبحت لها الغلبة فى المجتمع المصرى.

وامتد اهتمام الزعيم جمال عبدالناصر بالاحتفال بعيد العلم الذى تم تغييره عام 1958 إلى الحادى والعشرين من ديسمبر، وهو تاريخ افتتاح جامعة القاهرة فى عام 1908، وكان أول المحتفى بهم فى عيد العلم الدكتور طه حسين عام 1958، ثم عباس العقاد عام 1959، ثم توفيق الحكيم عام 1960.

وها هو الدكتور طه حسين عميد الأدب العربى يودع الزعيم «أبداً لم تلهث الكلمة وتترنح فى مواجهة موقف ما مثلما حدث لها حينما صك أسماعها نبأ وفاة جمال عبدالناصر! فهو قد حاول موفقاً إلى أبعد الحدود إلغاء الطبقات والأخذ بيد الضعفاء والفقراء، والمساواة الكاملة بين المواطنين، وحاول شيئاً ما أظن أنه حوول من قبله، وهو الملاءمة بين الاشتراكية والديانات السماوية، فأدخل فى بلادنا اشتراكية لا تمس الإسلام ولا تمس المسيحية، ولا غيرهما من الأديان بأذى ولو من بعيد».

نعم لم تمس الاشتراكية الإسلام والمسيحية فى عهده، فقد اتسم عصر الزعيم بالملامح الدينية محققاً فى إطارها العديد من الإنجازات، حيث تم تطوير الأزهر الشريف وتحويله إلى جامعة عصرية تدرس فيها العلوم الطبيعية المدنية إلى جانب العلوم الدينية، وأنشأ مدينة البعوث الإسلامية، كما بُنيت آلاف المعاهد الأزهرية والدينية فى مصر، وتم افتتاح فروع لجامعة الأزهر فى العديد من الدول الإسلامية.

وقد تمّ فى عهد الزعيم ترجمة القرآن الكريم إلى كل لغات العالم، وتم إنشاء إذاعة القرآن الكريم التى تذيع القرآن على مدار اليوم، كما تم تسجيل القرآن كاملاً على أسطوانات وشرائط للمرة الأولى فى التاريخ، كما تمت طباعة كل كتب التراث الإسلامى فى مطابع الدولة طبعات شعبية لتكون فى متناول الجميع، وفى عهد الزعيم وصلت الفتاة للمرة الأولى إلى التعليم الدينى، كما تم افتتاح معاهد أزهرية للفتيات.

وأما عن علاقة الزعيم جمال عبدالناصر بالدين المسيحى فقد كانت علاقته ممتازة بالبابا كيرلس السادس، وكان الزعيم هو مَن أمر بأن يكون عدد الكنائس المبنية سنوياً خمساً وعشرين كنيسة بناء على اقتراح البابا، وعندما طلب البابا كيرلس السادس من الزعيم مساعدته فى بناء كاتدرائية جديدة تليق بمصر، واشتكى له من عدم وجود الأموال الكافية لبنائها كما يحلم بها، قرر الزعيم على الفور أن تساهم الدولة بمبلغ مائة وسبعة وستين ألف جنيه فى بناء الكاتدرائية الجديدة، وأن تقوم شركات المقاولات العامة التابعة للقطاع العام بعملية البناء للكاتدرائية الجديدة.

« حاكم.. يدادى الجميع.. ويبوسْ رقيق الحال، وده عِشْقِتُه: فلاحين، طلَبة، جنود، عُمّال، وخاض معارك جِسام، مين طلّع الاحتلال؟ مين اللى صحَّى الشعوب تكسَّر الأغلال؟ ويْبُخُّوا أكاذيب فى سيرتُه يسمِّموا الأجيال»، الشاعر عبدالرحمن الأبنودى.

وعلى الصعيد الخارجى، استطاع الزعيم جمال عبدالناصر أن يكون حجر زاوية بشكل مهم فى السياسة العربية والعالمية، وكان صاحب مشروع واضح المعالم فى مصر، وفى علاقاتها بالعالم العربى وإفريقيا وبقية دول العالم، ففى ضوء فهم كتابه (فلسفة الثورة) الذى قدمه فى الأعوام الأولى لثورة يوليو من عام 1952 رسم الزعيم جمال عبدالناصر رؤية ونهجاً فى الداخل والخارج، لتأتى السياسة الدولية المصرية واضحة من خلال ثلاث دوائر والتى ظلت تمثل المرجع الأول لسياسة مصر الخارجية، وهى الدوائر العربية والإفريقية والإسلامية.

ويقول الزعيم « إن دوائر الحركة الخارجية لمصر يجب أن تبدأ بالدائرة العربية التى يربطها بمصر تاريخ مشترك ومصالح عميقة، وإن أى تهديد يوجه لدولة عربية يكون موجهاً بنفس الدرجة إلى كل الدول العربية، فقد امتزجت معنا بالتاريخ، وعانينا

معها نفس المحن، وعشنا نفس الأزمات»، ولذلك كان عهده فاتحة لعصر جديد فى أفق هذا الشرق العربى، فقد كان الزعيم يفكر كمصرى وكعربى على نفس المستوى، ولذلك يقول الكاتب الهندى ديوان برندرانات فى كتابه (ناصر الرجل والمعجزة) «إن التاريخ المعاصر للعالم العربى وخاصة مصر وتاريخ حياة ناصر لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، فدراسة الواحدة لا تكتمل إلا إذا أبقينا الأخرى نصب أعيننا».

وقد توهج وجه مصر عربياً من خلال التصدى لعدوان الحلف الثلاثى البريطانى الفرنسى الإسرائيلى على مصر ودحره، وكذلك نجاح مصر فى إسقاط نظرية ملء الفراغ التى طرحها الرئيس الأمريكى دوايت إيزنهاور ومحاصرتها، والنجاح فى مقاومة الأحلاف التى راح يفرضها الاستعمار، واكتمل دور الزعيم عربياً من خلال دعم مصر لحركة التحرر الوطنى فى العالم العربى بعد الانتهاء من قضية التحرر الوطنى فى مصر، وامتدت الروح العربية الواحدة إلى إعلان الجمهورية العربية المتحدة بوحدة مصر وسوريا، وعاصمتها القاهرة فى الأول من يناير من عام 1958، فضلاً عن المحاولات الوحدوية الأخرى.

« عاش من أجل فلسطين ومات من أجلها»، هذا هو الشعار الذى رفعه شعب فلسطين عقب وفاة الزعيم، نعم لم تغب قضية فلسطين عن ذهن الزعيم جمال عبدالناصر، فقد كانت لها مكانة فى فكره، ولذلك هنا ظلت مصر تساند القضية الفلسطينية سلماً وحرباً بجميع مفرداتهما، فلا أحد يُنكر دور مصر التاريخى فى استنهاض المشروع الوطنى الفلسطينى الحديث للمرة الأولى من خلال منظمة التحرير الفلسطينية عام 1964 أو دعم العمل الفدائى فى بداياته عندما وصفه الزعيم بقوله «إنه أنبل ظواهر العصر»، كما ساندت مصر فى القمة العربية الثانية التى عقدت فى الإسكندرية فى سبتمبر من عام 1964 قرار المنظمة بإنشاء جيش للتحرير الفلسطينى، وفى عام 1969 أشرف الزعيم على توقيع اتفاقية القاهرة تدعيماً للثورة الفلسطينية، واستمر دفاعه عن القضية إلى أن توفى عام 1970.

ولا ننسى فى هذا الإطار الدور التاريخى لإذاعة صوت العرب التى انطلقت فى الرابع من يوليو من عام 1953 التى سرعان ما أصبحت بعد انطلاقها بفترة قصيرة هى صوت الشعب العربى فعلاً من المحيط إلى الخليج، وبلغ تأثيرها حدوداً مذهلة فى خدمة القضايا العربية.

أما الدائرة الثانية من دوائر السياسة الخارجية المصرية فتمثلت فى الدائرة الإفريقية، ولذلك كانت القارة الإفريقية تعيش فى وجدان الزعيم، فها هو يتم إنشاء إدارة مختصة بالشئون الإفريقية ضمن الإدارات السياسية فى وزارة الخارجية المصرية، فضلاً عن إنشاء عدد آخر من الأجهزة المصرية المعنية بالشئون الإفريقية، منها مكتب رئيس الجمهورية للشئون الإفريقية، وإدارة الشئون الإفريقية فى مصلحة الاستعلامات، والبرامج الموجهة إلى إفريقيا فى الإذاعة المصرية، فضلاً عن تأسيس الرابطة الإفريقية فى عام 1957 التى أصبح تاريخها جزءاً من تاريخ العلاقات المصرية الإفريقية.

وفى سياق آخر، تمسك الزعيم جمال عبدالناصر بقضايا التحرير ضد الاستعمار، ولذلك بادر إلى تشجيع الحركات التحررية بوسائل مختلفة، دبلوماسياً وعسكرياً ومادياً، وأثمرت الجهود المصرية عن إنشاء منظمة الوحدة الإفريقية التى كانت بمثابة الصخرة التى فوجئت بها سفينة الاستعمار، فطار لبُّه وفقد صوابه.

ولم تكن الحكومات الإفريقية وحدها فى طليعة اهتمام الزعيم، بل حمل على عاتقه أيضاً مساعدة الشعوب الإفريقية، واللافت أيضاً أن الزعيم جمال عبدالناصر لم يؤسس فقط لسياسة دولية مصرية، بل حذّر أيضاً من مخاطر المتربصين بالأمن القومى المصرى، فقد كان حريصاً على تأمين منابع النيل، حيث أدرك أن الأمن القومى لمصر يبدأ من عند منابع النيل.

ولم تغب الدائرة الإسلامية عن فكر الزعيم باعتبارها الدائرة الثالثة للدبلوماسية المصرية، فقد نالت اهتماماً كبيراً منه، حيث ذكر أنه لا يمكن تجاهل عالم إسلامى تجمعنا معه روابط لا تقر بها العقيدة الدينية فحسب، وإنما تشهد بها حقائق التاريخ حيث إن تلك الدوائر تمتد عبر قارات ومحيطات، وهى دائرة الأخوة فى العقيدة، ومن هنا يبرز دوره فى إنشاء منظمة المؤتمر الإسلامى التى جمعت كل الشعوب الإسلامية.

يقول مدير المخابرات المركزية الأمريكية الأسبق يوجين جوستين فى كتابه (التقدم نحو القوة) «مشكلتنا مع ناصر أنه بلا رذيلة، وهو ما يجعله من الناحية العملية غير قابل للتجريح، فلا نساء، ولا خمر، ولا مخدرات، ولا يمكن شراؤه أو رشوته أو حتى تهويشه، نحن نكرهه ككل، لكننا لا نستطيع أن نفعل تجاهه شيئاً، لأنه بلا رذيلة وغير قابل للفساد»، وهذا هو سر خلود الزعيم جمال عبدالناصر فى قلوب الملايين، فجمال عبدالناصر عاش ومات بسيطاً كالحقيقة، كان يأكل مثل أى مواطن مصرى عادى، ويفتخر بأن ملابسه تصنع فى مصر، ويكفيه فخراً أنه حينما تولى منصب الرئاسة خلفاً للواء نجيب عام 1954 رفض السكن مع عائلته فى قصر الرئاسة الرسمى، وأصرّ على البقاء فى منزله المتواضع الذى اشتراه قبل الثورة فى حى منشية البكرى الشعبى لكى يبقى إلى جانب أبناء شعبه، ويكفى أن نشير للدلالة على زهده وطهارته إلى أنه قبل زواج كريمته الكبرى هدى أخذ قرضاً من البنك لتجهيزها بضمانة راتبه، وسدده كاملاً مع أنه كان بمقدوره أن يأخذ المبلغ بسهولة من ميزانية الدولة على سبيل المثال، وإلى جانب ذلك كان يعطى كل الهدايا التى يحصل عليها من رؤساء الدول إلى الدولة المصرية.

نعم إنه عصر الزعيم جمال عبدالناصر، الذى عبّر عنه الشاعر الكبير نزار قبانى بمشاعره وأحاسيسه:

وعندما يسألنا أولادنا... من أنتمُ؟ فى أى عصر عشتُم؟

فى عصر أى ملهمٍ... فى عصرِ أى ساحرِ؟

نجيبهم فى عصرِ عبدالناصرِ..

الله ما أروعَها شهادةً..

أنْ يوجدَ الإنسانُ فى زمانِ عبدالناصرِ..

وها هى لحظة رحيل الزعيم جمال عبدالناصر، الملايين تودعه وتبكيه، ليكون هذا أعظم استفتاء على هذا الرجل وحكمه وإنجازاته، استفتاء عفوى صادق نابع من قلوب البسطاء المكلومة والمؤمنة تكررت مشاهده فى جميع المدن والبلدات والقرى المصرية، وكأنها تسعى فى تدفقها المتلاطم للاتصال بالزعيم جمال عبدالناصر الذى كانت صورته هى التجسيد المطلق لكينونتها ذاتها، ومرددة مع الشاعر فؤاد حداد:

يا حضن مصرى يا طلعة فجر يا ريّس..

مع السلامة يا والد يا أحنّ شهيد..

آدى الرقابى ودى الأعلام بتتنكّس..

فين طلّتك فى الدقايق تسبق المواعيد..

والابتسامة اللى أحلى من السلام بالإيد..

ورغم مرور هذه السنوات الطويلة من يمكنه القول إن الهرم الرابع قد مات؟ لا، فهو الزعيم الذى لا تغرب عنه الشمس «يا من تبكون على ناصرْ/ السيد كان صديق الشمسِ، فكفّوا عن سكب العبراتْ/ السيد ما زال هنا/ يتمشى فوق جسور النيل، ويجلس فى ظل النخلاتْ/ ويزور الجيزة عند الفجر/ ليلثم حجر الأهراماتْ/ يسأل عن مصرَ.. ومَن فى مصرَ../ ويسقى أزهار الشرفاتْ/ ويصلّى الجمعةَ.. والعيدينِ/ ويقضى للناس الحاجاتْ/ ما زال هنا عبدالناصرْ/ فى طمى النيلِ، وزهر القطن، وفى أطواق الفلاحاتْ.. فى فرح الشعب.. وحزنِ الشعب/ وفى الأمثال وفى الكلماتْ/ ما زالَ هنا عبد الناصرْ/ من قال الهرم الرابع مات؟».

فى الذكرى الـ75 لاعتماد ميثاق الأمم المتحدة:

إطلاق حوار عالمى لبناء مستقبل أفضل للبشرية

مع عـــام 2020 تحل الذكرى الـ75 لاعتماد ميثاق الأمم المتحـــدة والذى جاء تفعيله خلال عام 1945 ليلة حلول عهد جديد وانقضاء حقبة من الزمان شهد خلالها العالم حربين عالميتين حيث خرجت منظمة الأمم المتحدة إلى النور مســـتندة إلى أرض صلبـــة وترتكز على القواعد والدروس المستفادة من أشد الصعاب.

هادية الشربيني

sherfayez@yahoo.com

ويعتقد «أنطونيو جوتيرتش» الأمين العام للأمم المتحدة بأن المنظمة الدولية على مـــدار عمرها اســـتطاعت تحقيق سجل حافل من الخدمات للبشرية حيث أنقذت ملايين الأرواح ونهضت بالأوضاع الإنســـانية ووفت بمهمتها الأساســـية المتمثلة فى منع نشوب حرب عالمية ثالثة.

ولكن هـــذا لا يعنى أن الأرض ظلت ممهدة على الدوام دون وجود أى صعاب أو تحديات، بل بين الحين والآخر كانت هناك انعكاســـات مؤلمـــة فى الطريق وأبرزها على الإطلاق ما يشـــهده عالم اليوم مع حلول عام 2020 من تحديات جســـام مثل جائحة كورونا وانتشـــار العنصرية التى أطلت بوجهها القبيح من جديد فى العديد من المجتمعات وبصفة خاصة على الساحة الأدبية وهى مظالم يعتقد العديد من المفكرين بأنها أمراض مزمنة بحاجة إلى عـــلاج وذلك بخلاف أزمات التغير المناخى والانتشار النووى وانتشـــار الإرهاب وتراجع ملف حقوق الإنســـان وغير ذلك من القضايا الملحة التى تقتضى تعاوناً دوليـــاً وثيقاً لكى تســـتقيم الأمور وينعم الجميع بمزايا التقدم التكنولوجى المتسارع بما يخدم البشرية جمعاء ويحقق المبادئ السامية التى قامت عليهـــا منظمة الأمم المتحدة وتسعى إلى إنجازها على أكمل وجه.

حوار عالمى

وفى حقيقة الأمر فإنه بعد انقضاء 75 عاماً على تأســـيس منظمة الأمم المتحدة تثار العديد من التساؤلات حول الحاجة الماسة لإعادة هيكلة المنظمة الدولية بما يتناسب مع التغيرات التى يشهدها عالمنا اليوم وما حدث من تحولات عدة فى نظام القوى العالمـــى والإقليمى حتى يمكنها من القيام بدورها الرامـــى إلى حماية الســـلم والأمن الدوليين وتحقيق أهداف التنمية المســـتدامة لكى تنعم كافة دول العالم بالرفاهية والرخاء.

ومن هذا المنطلق وفى ذكرى احتفال المنظمة بالعيد المـــاسى لاعتماد ميثاقها التأســـيسى أطلق أنطونيـــو جوتيرتش الدعوة لإجراء أكبر حوار عالمى حول بناء مستقبل أفضل للجميع.

وقد خلص العديد من علماء السياسة الدولية فى العالم بأن هناك صعوبة بالغة على أية قوة فى العالـــم حتى وإن كانت الولايات المتحـــدة فى أن تحقق فى القرن الحادى والعشرين أى انتصار بمفردها وذلك مع صعود قوى وســـيطة دولية وإقليمية على مستوى العالم مما تسبب بالفعل فى تراجـــع الدور الأمريكى، هذا التراجع الذى وصل إلى ذروته مع إدارة الرئيس دونالـــد ترامب والتى تفتقد إلى الحكمة وتتسم بالانفعال فى التعامل مع القضايا الدولية الملحة وعدم التنســـيق مـــع ملفاتها بل كثيرا مـــا كان الصدام هو أسلوب التعامل معهم فى الكثير من الأحيان.

ومن ثمّ فإن الحـــوار الذى دعا إليه الأمين العام للأمـــم المتحدة أصبح أمراً ملحاً لحاجة الإنســـانية لتبنى وسائل جديدة فى تدبر أحوال العالم.

ومن ثمّ فإن الأمر يستدعى بالفعل إعادة النظر فى العديد من القواعد التى تأسس عليها النظام العالمى عقب نهاية الحرب العالمية الثانية وهناك حاجة لأن تقوم الأمم المتحـــدة بمراجعة تاريخية للسياق العالمى الراهن على مستوى كل من الـــدول والمجتمعات بما يعنى إعادة النظر على جميع الأصعدة السياســـية والاقتصاديـــة والاجتماعيـــة والثقافية والبيئية والصحية بما يتناسب مع الواقع الدولى الجديد.

صراع بين القديم والجديد

من أهم الإشكاليات التى تقف عائقاً أمام المحـــاولات العديدة التى بذلت على مدى السنوات الماضية لإعادة هيكلة الأمم المتحدة حتى يمكنهـــا أن تكون صوتاً معبراً عن العالـــم فى ثوبه الجديد، ذلك العالم الذى تغـــيرت موازينه وصعدت فيه العديـــد من الدول لكى تصبح قوى اقتصادية ولابـــد وأن يكون لها صوت ســـياسى معبر عنها فى المحافل الدولية، على ســـبيل المثال دول كالهند واليابان وماليزيا وإندونيســـيا وهى الدول التى لا تمتلك عضوية دائمة فى مجلس الأمن الدولى الجهـــاز الرئيس المنوط به حفظ السلام والأمن الدولى.

من منظور آخر فإن ما يعرف بحق الفيتو أو حق الاعـــتراض والذى تتمتع به خمس دول وهـــى الولايات المتحدة وروسيا وفرنســـا وإنجلترا والصين هو حق يتعارض مع ما يعرف بديمقراطية العلاقات الدولية، فكيف يمكن لخمس دول فى العالـــم التحكـــم فى مصير ما يزيد على 190 دولة بمجرد اســـتخدام

مرور 75 عامًا على ميثاق الأمم المتحدة

أنطونيو جوتيرتش

حق الاعـــتراض، فهـــذا أولاً وقبل كل شيء يكرس لمبدأ الاســـتبداد والتحكم فى مصائر البشر، وهذا ما أدى إلى نشـــوب العديد من النزاعات والتوترات فى أقاليم عدة فى الكثير مناطق العالم وذلك بسبب تنافس هذه القوى فيما بينها باستخدام هذا الحق، بما يؤدى إلى فشـــل التسوية السياسية للكثير من القضايا المثارة عبر العالم.

وهنا لابد وأن نشير على سبيل المثال بأن مصر كانت مـــن أوائل الدول التى وقعت على ميثاق الأمـــم المتحدة، وهذا يعد بمثابة شهادة على الدور المهم الذى لعبته مـــصر فى الترويج لمبـــادئ وقيم وعمليات وبرامـــج المنظمة الدولية منذ إنشائها وحتى وقتنا هذا.

ومصر تستضيف اليوم على أرضها 32 وكالـــة وصناديـــق وبرامج تابعة للمنظمة الدولية، وهى من أحرص الدول فى العمل على الترويـــج لأهداف التنمية المستدامة ولديها أجندة شاملة لتحقيق هذه الأهداف لعام 2030.

وشـــاركت مصر ومازالت فى العديد مـــن برامج وعمليات حفظ الســـلام فى شتى بقاع العالم، ومن ثمّ فإن مصر من الدول المؤهلة لكى تحتل مقعداً يليق بها فى مجلس الأمن إذا ما تمت الاســـتجابة لدعـــوات الكثيرين بإعـــادة هيكلة هذا الجهاز المهم لتكون قدراته أكثر فعالية فى مواجهة التحديات العالمية.

ولا ننسى أن عالـــم اليوم ظهر على مسرحه العديد مـــن القوى الفاعلة مثل منظمات المجتمـــع المدنى والتى أصبح لها صوت مسموع فى العديد من القضايا مثـــل التغير المناخـــى والاتجار بالبشر ومكافحة الفســـاد وغيرها من القضايا التى تم اســـتحداثها فى عالـــم اليوم، وبالتـــالى فلابد وأن يكـــون لهؤلاء دور مؤثر فى الأمم المتحدة بشكل ما.

ولكن مـــازال هنـــاك إصرار بعدم الاعتراف بأن هناك عالماً جديداً يصارع من أجل الاعتراف بـــه وبثقله، ذلك لأن العالم القديم ينازع من أجل البقاء وذلك بخلاف تشويشـــه على أية محاولة لفهم طبيعة وسمات العالم الجديد. ومن هنا تصـــاب المنظمة الدوليـــة فى الكثير من الأحيان بالشلل عند تعرضها لقضية ما لا يتفق عليها الجميع.

ومن هنا فإن هنـــاك حاجة بالفعل لحوار شـــامل وعميق بـــين كافة دول العالم المتقدمة والنامية على حد ســـواء لرســـم ملامـــح العالم الجديـــد وبناء مستقبل أفضل للبشرية يسوده التعاون. وقد جاءت جائحة كورونا لتذكر الجميع بـــأن تكدس الأســـلحة فى مخازن كافة الدول والتســـابق حول التسلح النووى وامتلاك غيرها من أسلحة الدمار الشامل أصبح ليس له أية قيمة فى مواجهة هذا الفـــيروس الخبيث الذى انتشر فى أرجاء العالم فى لمح البـــصر، وما زالت مراكز الأبحـــاث العالمية فى ســـباق مع الزمن من أجـــل التوصل إلى لقـــاح أو مصل يقى الإنســـان من شر هـــذه الجائحة. والدرس المســـتفاد الأول والأخير هو أن التعاون بين بنى البشر وتســـخير العلم والتكنولوجيا الحديثة فى ســـبيل خدمة الإنســـانية له الأولوية الأولى، ولابد وأن يستعد الكل للدخول فى حوار بنّاء يهدف إلى دعم صرح الأمم المتحدة ويمكنها من أداء دورها على أكمل وجه وإرساء دعائم مستقبل أفضل للبشرية. فلم يعد هناك أى مكان لهيمنة قـــوة واحدة بمفردها على مقدرات العالـــم فعالم اليوم ملىء بالتحديات الجسام وبحاجة إلى تكثيف للتعاون الدولى لإيجـــاد حلول ناجحة لكافة القضايا الدولية الملحة التى تقف عائقا أمـــام تحقيق وتلبيـــة تطلعات الشعوب والأمم المختلفة.

دور منظمات المجتمع المدنى فى التنمية المستدامة فى مصر

المقصود بالتنمية المستدامة هى التنمية التى تلبى احتياجات الجيل الحاضر دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها

وتجدر الإشارة إلى أنه فى سبتمبر 2015 تم إقرار أجندة التنمية المستدامة 2030 بواسطة الجمعية العامة للأمم المتحدة باعتبارها المسار الدولى للتنمية، وهى تؤكد على أهمية دور المجتمع المدنى فى تحقيق أهداف التنمية المستدامة كما تؤكد على التزامها بالشراكة مع منظمات المجتمع المدنى فى تحقيق هذه الأهداف، ويؤكد الهدف 17 من أهداف التنمية المستدامة على أهمية الشراكة العالمية من أجل التنمية المستدامة كما دعا إلى بناء الشراكات مع أصحاب المصلحة المعنيين حيث إن الشراكة بين أطراف العملية التنموية تساعد فى جمع المعارف والخبرات والموارد المالية بهدف تحقيق التنمية المستدامة بأبعادها الثلاثة، وتتجسد أهمية المجتمع المدنى فى منظماته التى تستطيع أن تسهم فى التنمية المستدامة إسهاماً حقيقياً إذا نجحت فى بناء الوعى التنموى واستقراره وتوظيفه من خلال مشاركة حقيقية وفاعلة فى العملية التنموية وقد تعاظمت هذه الأهمية فى السنوات الأخيرة نتيجة المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية حيث إن تراجع دور الدولة وتمدد قوى السوق أظهر أهمية وجود طرف يدافع عن الحقوق ممثلاً فى المجتمع المدنى.

وقد أطلقت الحكومة المصرية فى فبراير 2016 رؤيتها للتنمية المستدامة 2030 التى ترسم إجراءات الحكومة على مدى الخمسة عشر عاماً القادمة وتعمل كإستراتيجية إنمائية طويلة الأجل تغطى الأبعاد الثلاثة الاقتصادية والاجتماعية والبيئية.

لقد مضى حوالى خمسة أعوام على

سفير عزت البحيرى
رئيس مجلس إدارة
الجمعية المصرية للأمم المتحدة

اعتماد الأمم المتحدة خطة التنمية المستدامة لعام 2030 وذلك لتحقيق التوازن بين التنمية الاقتصادية ومعالجة التحديات البيئية وتحسين الخدمات الصحية والتعليمية وخلق فرص عمل والحد من الفقر ولكن – هل تستطيع الحكومات وحدها تحقيق هذه الأهداف الطموحة؟

فى الحقيقة لا حيث إنه من الضرورى بذل جهود جماعية وفردية ومشاركة جميع الأطراف كشركاء أساسيين فى التنمية بما فى ذلك القطاع الخاص من خلال مشاريع المسئولية الاجتماعية للشركات فضلاً عن منظمات المجتمع باعتبارها الركائز الأساسية لتحقيق التنمية المستدامة.

فقد أدركت الأمانة العامة للأمم المتحدة أن التنمية تتحقق بقدر كبير عندما يسمح للمجتمع المدنى بالازدهار دون قيود حيث يوجد حالياً فى الأمانة العامة للأمم المتحدة أكثر من أربعة آلاف منظمة غير حكومية، ليس لتقديم المشورة فى إعداد أهداف التنمية المستدامة فحسب بل كشريك فعلى فى تنفيذ هذه الأهداف.

لقد اعتزمت الحكومة العمل على مشاريع تلبى احتياجات المواطنين والحد من الفقر مثل برنامج الإسكان الاجتماعى المقرر أن يستفيد منه 3.6 مليون شخص من خلال توفير مساكن ميسورة التكلفة وبرنامج تكافل وكرامة لتعزيز إجراءات الحماية الاجتماعية إلى جانب تنفيذ قانون التأمين الصحى الشامل.

ولكن رغم كل هذه المحاولات الجادة فى تنفيذ أهداف التنمية المستدامة فى مصر فقد تم توجيه اهتمام أقل لمناقشة الأدوار التى ينبغى أن يتخذها شركاء التنمية مثل القطاع الخاص ومنظمات المجتمع المدنى والمنظمات العمالية ووسائل الإعلام لتحقيق هذه الأهداف الطموحة جنباً إلى جنب مع الحكومة.

وفى هذا الصدد قدمت مصر أول استعراض طوعى لها فى منتدى الأمم المتحدة السياسى المعنى بالتنمية المستدامة ضمن 22 دولة تطوعت للإبلاغ عن الجهود المبذولة لتحقيق هذا البرنامج الطموح.

وقد أكدت وزيرة التضامن

الاجتماعى عـــلى الدور المحورى الذى تلعبـــه منظمات المجتمـــع المدنى فى التنميـــة الاجتماعيـــة والاقتصادية لمصر وذلك خلال الدورة السادســـة والخمســـين للجنـــة الاجتماعيـــة CSOCD56 بمقـــر الأمـــم المتحدة بنيويورك. وأضافت الوزيرة أن الأمل فى القضاء على الفقر يعتبر هدفاً يمكن تحقيقه فى مصر إذا ما تضافرت جهود الحكومة مع القطاع الخاص والمجتمع المدنـــى لتحقيق الأمن والاســـتقرار وتمهيد الطريق أمـــام جهود التنمية لتحقيق ثمارها.

وتجدر الإشارة إلى أن عدد منظمات المجتمـــع المدنى قد يزيد على 48300 منظمة منها فقـــط 29043 منظمة ناشطة.

وبناء عـــلى ذلك ينبغى تســـليط الضوء على دور مبـــادرات منظمات المجتمع المدنـــى كمنظمات أعمال لها القدرة والكفاءة عـــلى الدعم الفاعل للشراكة المجتمعيـــة وتحقيق التنمية المستدامة فعلى ســـبيل المثال مبادرة (مؤسســـة حلم) فى بناء قدرات ذوى الاحتياجات الخاصـــة بالتعاون مع محافظة الجيزة، ومبادرة مؤسســـة ساويرس للتنمية فى مكافحة البطالة ومستشفى 57357 لتطوير خدمات الرعاية الصحيـــة فى مصر، ومع ذلك مازالـــت الحاجة ملحـــة إلى تضافر

مستشفى 57357

الجهود للتصدى للخدمات الأساسية التى تواجهها مـــصر لتحقيق التنمية المستدامة، فيعتبر ارتفاع معدل النمو السكانى وتدنى مســـتوى الخدمات الصحية والتلـــوث البيئى وانخفاض مستوى خدمات التعليم من التحديات الرئيسية التى تعرقل تحقيق أهداف التنمية المستدامة فى مصر.

ونتيجة لذلك وبغية التصدى لهذه التحديات قـــررت الحكومة مضاعفة ميزانية وزارة الصحة واعتمدت عدة شراكات ناجحة من أجل زيادة الموارد وبناء القدرات مع عدد من المنظمات غير الحكوميـــة الدوليـــة والجهات المانحة العاملة فى مصر علماً بأن عدد المنظمات غير الحكوميـــة العاملة فى مصر 96 منظمة.

ومن أمثلة الـــشراكات الحكومية الناجحـــة التعـــاون مع مؤسســـة فريدريـــش ايبرت ســـتيفتنج وهى منظمة تنموية ألمانية تعمل فى أكثر من 104 دول حول العالم، ومنظمة العمل الدولية لدعم مظلة الحماية الاجتماعية ووضـــع منظومة تقييـــم لضمانات الحماية الاجتماعية.

أو مبـــادرة منظمة كير الدولية فى محاربة الأميـــة فى المدارس الحكومية مـــن خلال العمل مـــع وزارة التربية والتعليم لوضـــع مناهج بديلة تعالج مشاكل الأمية بين طلبة المدارس.

أو مبادرة شـــبكة مصر للتنمية المتكاملة (أنيد) وهى تعاون مشـــترك بين برنامج الأمم المتحـــدة الإنمائى ووزارة التعـــاون الدولى لتحســـين الظروف المعيشية لأهالى صعيد مصر.

وبالرغم مـــن أن إشراك منظمات المجتمع المدنى سواء المحلية أو الدولية قد يؤدى إلى تحقيق المبادرات الناجحة لكن يجب على الدولة توفير البيئة التى يمكن أن تعمل فيها كشريك أســـاسى فى التنمية وتكمن هذه البيئة فى توفير المزيد من الدعم وتبادل الخبرات كما أن هناك ضرورة لإعادة الاعتبار لدور المجتمع المدنى من خلال إبراز أهمية العمل التطوعى والمدنى فى تنمية مصر.

ومن أجل تحقيـــق ذلك يجب أن تتضافـــر جهـــود كل شركاء التنمية وبالأخص منظمـــات المجتمع المدنى بحيث تتماشى أنشطتها مع رؤية مصر 2030 من خلال التركيز على تحقيق هدف أو اثنين على الأكثر ويتم تغيير الأهداف كل ثلاثة أعوام فمما لاشـــك فيه أن التـــآزر بين الجهود الحكومية ومســـاهمة المنظمات غير الحكومية يمكـــن أن يجعل الأهـــداف الإنمائية أقرب إلى الإنجاز ويدفع بعجلة التنمية فى مصر .

أزمة الصواريخ الكوبية ونشأة النظام الدولى للحد من انتشار الأسلحة الإستراتيجية

خلال شـــهر أكتوبر عام 1962، ولمدة 13 يوماً، حبس العالم أنفاســـه إثر اقتراب القطبين الأعظمين فى النظام الدولى آنذاك، الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى، من المواجهة النووية وذلك على خلفية قيام الاتحاد الســـوفيتى، وحليفه الرئيس كاسترو، بنشر صواريخ باليستية متوسطة المدى Medium Range Ballistic Missile MRBM على جزيرة كوبا، الأمر الذى ولد إمكانية اســـتهداف أراضى الولايات المتحدة الأمريكية بالأسلحة النووية مباشرة، وكذلك حقق للاتحاد السوفيتى اليد الطولى فى أية مواجهة نووية قد تنشب مع غريمته الولايات المتحدة من تمتعه بإمكانية «الضربة الأولى» First strike.

تباعاً لما ســـبق، عرفـــت تلك الأزمة «بأزمة الصواريـــخ الكوبية» Cuban Missile Crisis، ويصنفهـــا بعـــض مؤرخـــى القـــرن العشرين عـــلى أنها المواجهة الأخطـــر والأشرس فى تاريخ الســـجالات والمواجهات بـــين الولايات المتحـــدة والاتحاد الســـوفيتى فى إطار «الحرب الباردة»، حيث أنه وعلى الرغم من تمكن مفـــاوضى الدولتين العظميين من التوصل إلى «حل سلمي» للأزمة، من خلال الاتفاق على قيام الاتحاد السوفيتى بســـحب صواريخه من جزيـــرة كوبا فى مقابل تعهد الولايـــات المتحدة دولياً بعدم القيام مستقبلاً بغزو جزيرة كوبا (مجدداً بعد فشل محاولة غزو كوبا عام 1961 - غـــزو خليج الخنازير Bay of Pigs Invasion)، بالإضافة إلى قيامها (أى الولايات المتحدة) بسحب مجموعة من الصواريخ الباليســـتية ســـبق وأن نشرتها بشـــكل سرى فى كل من تركيا وإيطاليـــا ولها القدرة على اســـتهداف الاتحاد السوفيتى مباشرة (صواريخ من طـــرازJupiter وThor)، إلا أنها (أى أزمة الصواريخ الكوبية) ألقت بتداعيات وتحولات بعيدة المدى فى طبيعة النظام الـــدولى، خاصـــة فيما يخـــص الأطر الحاكمة للمواجهات النووية «المحتملة» بين القوى الكبرى، من حيث أنها مثلت اختباراً حقيقياً لعقيدتى «الردع النووي» Nuclear Deterrence و«التدمـــير التأكيدى المتبادل» Mutually Assured Destruction MAD.

تعريف الأسلحة الإستراتيجية

تعـــرف الأســـلحة الإســـتراتيجية Strategic Weapons System على أنها أنظمة التســـليح القادرة على استهداف العدو إســـتراتيجياً من حيث

سكرتير ثان شريف فايد

sherifgamil2000@hotmail.com

استهداف مدن العدو بأكملها وإمكانية تدمير ما تحويه من منشـــآت عسكرية ومنشـــآت بنية تحتية، ومن ثم إضعاف قدرة العـــدو عـــلى رد الهجمة بهجمة مضادة وشل حركته.

تشـــتمل نظم الأسلحة الإستراتيجية على كل من الرؤوس المتفجرة والتدميرية Warheads (مـــن ضمنهـــا الرؤوس النوويـــة Nuclear Warheads) وأنظمة توصيـــل Delivery system تلـــك الرؤوس الحربيـــة أو النووية إلى أهدافها، وبحيث تشتمل أنظمة التوصيل على ما يعرف باســـم «الثالوث النووي» Nuclear Triad وذلك كما يلى:

1. الصواريخ الباليســـتية (قصيرة ومتوســـطة وبعيدة المدى) Ballistic Missiles.

2. الغواصـــات النووية Nuclear Submarines والقـــادرة على إطلاق صواريـــخ باليســـتية محملة برؤوس حربيـــة أو نووية من أعمـــاق البحار والمحيطـــات Submarine Based Ballistic Missile SSBM، وتعـــد «محورية» فى قـــدرة الدولة للتصدى للهجمـــات النوويـــة عـــلى أراضيها Second –Strike Capability.

3. القاذفات الإســـتراتيجية: وهى القادرة على التحليق لمســـافات طويلة لاســـتهداف أراضى العدو بشكل مباشر من خلال قاذفات جـــو – أرض (تعد قاذفـــة B - 52 الأمريكيـــة من إنتاج شركة Boing من أشـــهر وأقوى أنواع القاذفات الإستراتيجية فى العالم).

نشأة النظام الدولى للحد من انتشار الأسلحة الإستراتيجية

ولدت أزمة الصواريخ الكوبية، حالة الذعر العالمى التى صاحبتها، رغبة لدى صناع القرار بالقـــوى الدولية الكبرى آنذاك للســـعى لمحاولـــة تجنب اندلاع الحـــرب النووية فيمـــا بينهم، وإعطاء الأولوية للمساعى الدبلوماسية لحل أية أزمات سياسية قد تنشب مستقبلاً، وهى الرغبة التى تكللت بالبدء فى سلسلة من المحادثات بين سياسيى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى سميت «بمحادثات الحـــد من الأســـلحة الإســـتراتيجية» Strategic Arms Limitation Talks SALT وأجريـــت على جولتين بداية من نوفمبر 1969 (فى هلســـنكي)، وأفضت إلى الطريق إلى التوقيع على معاهدة «الحد من الأسلحة الإستراتيجية» SALT والتى عدت تدشيناً لإطار تعاهدى بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فيما يخص الحد من انتشار الأسلحة الإستراتيجية، وما يترتب عليه من تقليص احتماليات نشوب الحرب النووية بين الدولتين.

مهدت معاهدة SALT الطريق لقيام الولايـــات المتحدة الأمريكيـــة والاتحاد الســـوفيتى بالمضى قدماً فى بلورة عدد مـــن المعاهدات الثنائيـــة خلال العقود التى تلت سبعينيات القرن الماضى تحت مســـمى معاهدة الصواريخ متوسطة

المـــدى Intermediate Range Nuclear Forces Treaty INF ومعاهدات «ستارت» Strategic Arms Reduction Treaty، وذلك على النحو التالى:

1. معاهـــدة الصواريخ متوســـطة المدى: وقعت عام 1987 وألزمت طرفيها بإزالة كافة الصواريخ الباليستية الأرضية ومنصـــات إطلاقهـــا Land Based Ballistic Missiles الواقعة ما بين مدى 500 حتى 5500 كم (المدى المتوســـط حيث تصنف الصواريخ الباليستية القادرة على اجتياز مســـافات أكثر من 5500 كم بـ«العابرة للقارات»).

2. ســـتارت 1: وقعـــت فى يوليـــو 1991 (ودخلت حيز التنفيذ فى ديسمبر 1994) وعدت من قبل بعض المؤرخين أكبر معاهدة «نوع تســـلح» فى العصر الحديث، حيث ألزمـــت أطرافها بوضع «قيود» على عـــدد الـــرؤوس النووية الموظفـــة Deployed Nuclear War Heads بعـــدد لا يزيد عن 6000 رأس نووى، بالإضافة إلى وضع قيود على عدد الصواريخ الباليســـتية عابرة القارات Inter – continental Ballistic Missile ICBM لدى الطرفين بعدد لا يزيد عن 1600 صاروخ.

فى الســـياق عاليه، وطبقاً لعدد من المؤرخين، فإن معاهدة ســـتارت الأولى نجحت فى إزالة حـــوالى 80٪ من حجم الأسلحة الإســـتراتيجية الموجودة لدى ترســـانات كل من الولايـــات المتحدة والاتحاد السوفيتى آنذاك.

3. ستارت 2 (New Start): وقعت فى براج عام 2010 (ودخلت حيز التنفيذ فى فبراير 2011) وتعد استكمالاً لمعاهدة ســـتارت الأولى والتى انتهى العمل بها فى ديســـمبر 2009، من حيث ما أقرته من نظم أكثـــر صرامة فيما يخص عدد الرؤوس النوويـــة الموظفةDeployed Nuclear War Heads والتى حددتها عند 1550 رأســـاً نووياً، وكذلك فيما يخص عدد الصواريـــخ عابرة القارات الموظفةDeployed لدى الطرفين، بعدد 700 صاروخ.

انسحاب الولايات المتحدة الأمريكية من معاهدة الصواريخ قصيرة ومتوسطة المدى

أوقفت الولايـــات المتحدة الأمريكية العمل رســـمياً بمعاهـــدة الصواريخ متوسطة المدى INF فى الأول من فبراير عام 2019، (عـــلى خلفية مزاعم بقيام روسيا بخرق المعاهدة من خلال قيامها سراً بنشر نظـــم صواريـــخ تحظرها المعاهدة عـــلى أراضيهـــا)، الأمر الذى يعد بمثابة «هزة» لنظام منع انتشـــار الأسلحة الإستراتيجية المتوارث عن حقبة الحرب الباردة (على النحو المبين بعاليه) والـــذى نجح فى تجنيـــب العالم ويلات الحرب النووية طـــوال العقود الماضية (منذ ثمانينيات القرن الماضي)، من حيث إمكانية تتابع تخـــلى الولايات المتحدة الأمريكية وروســـيا عن التزاماتهما فى إطار باقى المعاهدات المؤسســـة لنظام منع انتشار الأسلحة الإستراتيجية.

ومن ثـــمّ، قد تقدر تبعـــات انتهاء العمل بمعاهدة الصواريخ متوســـطة المدى (جيوبوليتيكياً) على النحو التالى:

1. اتجـــاه دول القـــارة الأوروبية إلى تصنيع وتطوير ونـــشر الصواريخ الباليستية متوسطة المدى على أراضيها بغية موازنة قيام روسيا بإعادة نشر هذا النوع من الصواريخ على أراضيها (بعد انســـحابها من المعاهدة عـــلى أثر قيام الولايات المتحدة الأمريكية بوقف العمل بها)، وما ســـيترتب عليه مـــن إمكانية اســـتهداف العواصم والمدن الأوروبية والتى تقع ضمن «مدى الاســـتهداف» Target Range للصواريخ تلك (500 – 5500 كم).

2. على واقع ما ســـبق، من المحتمل بزوغ مرحلة جديدة من سباق التسلح الأوروبـــى – الـــروسى، خاصة فى ظل التوترات القائمة بين الجانبين على خلفية أزمة القـــرم عام 2014 والغزو الروسى لجورجيا عام 2008.

3. قيام الولايـــات المتحدة الأمريكية بنشر منظومات للصواريخ متوســـطة المدى فى الباسيفيك تمكنها من استهداف الأراضى الصينيـــة وأراضى كوريـــا الشمالية، الأمر الذى قد يقابل بإجراءات مماثلة من القوتين الآسيويتين، ومؤداه تفاقـــم حـــدة التوتـــر فى مناطق بحر الصين الجنوبى وتايوان وشبه الجزيرة الكورية.

قـناة السويس .. نبض مـصر

لنا أن نطمئن رغم كل التحديات والعقبات أن مســتقبل قناة الســويس وثيق، كما هو مضمون، بــل ومشرق أكثر مما كان، فى أى وقت مضى، فقط بــشرط أن نقبل التحدى، وأن نتصدى للخطر باليقظة وبالإصرار، وبالتخطيط الدؤوب ثم بالعمل الحازم الحاسم.

عادل عبدالصمـد

adelabdelsamed@yahoo.com

رســالة لهــا أهميتها يســجلها الفيلسوف والمفكر الكبير الدكتور جمال حمدان فى كتابه المتفرد (قناة السويس .. نبض مصر) والذى صدر عام (1975)، وهو أحد الكتّــاب الذين أثروا فى الحياة المصرية فى المــاضى، والــذى عبّر عن تطلعاته للمستقبل، من خلال أطروحاته وكتبه، وكان أحدها (قناة الســويس .. نبض مصر) وعبّر من خلاله عن تطلعه لأن تصبح القنــاة منارة العالم، وكانت دعوته صريحة لتوسيع القناة، وبعد أكثر من 45 عاماً، يحقق الرئيس عبدالفتاح الســيسى نبوءة حمدان، وتصبح واقعاً ملموســاً، يجرى الآن شريــان المياه فى القناة الجديدة، وســط فرحة المصريين وإعجاب العالم.

وفى الاحتفــال المهيب بافتتاح القناة الجديدة فى (6 أغسطس 2015) سجّل الرئيــس عبدالفتاح الســيسى بفخر واعتزاز الإنجاز الذى حققه المصريون، وأشاد به العالم، فقناة السويس جزء من نبض مصر، شــغلت مفكريها وأدباءها واستشــهد الرئيــس بنبــوءة الكاتب الموســوعى حمدان والتى سجلناها فى بداية المقال.

وأكــد الرئيس فى كلمتــه على قدرة المصريين على صناعــة التاريخ باقتدار والعبور إلى المستقبل، وأن افتتاح القناة الجديدة ما هــو إلا انطلاق لمشروعات وطنية عديــدة، كما كان يحلم د. جمال حمــدان، ويأمــل فى ذلــك، وأهم تلك المشروعات، مشروع التنمية بمنطقة قناة السويس، حيث تم اعتماد المخطط العام للمشروع، وتنمية وتطوير منطقة شرق بورسعيد، والتى ستشهد توسعة ميناء شرق بورســعيد وتطويره، والاهتمام بالظهــير الصناعى للمينــاء، وتطوير البنية الأساســية للمنطقة وربطها مع المشروعات الأخرى الجــارى تنفيذها، والعمل على تنمية مناطق الإســماعيلية والقنطرة والعين الســخنة، وتستهدف تنمية منطقــة القناة إنشــاء منطقة اقتصادية عالمية، تشمل عدداً من الموانئ والمدن الجديدة والمراكز اللوجيســتية والتجارية والتــى تحقق زيادة لمعدلات التبــادل التجارى بين مــصر والعالم، وتنطلق حزمة من المشروعات تستهدف إنشــاء شــبكة قومية للطرق العملاقة وتنمية زراعية.

وقد كتب حمدان فى الجزء الأول من شــخصية مصر (ص 56) عن أهمية توسعة القناة وتعمير الضفتين:

لم يعد معنى ولا مبرر لأن تظل قناة

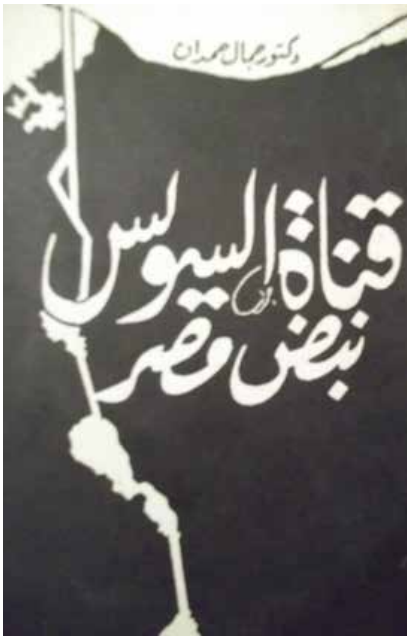

الســويس أحادية الضفة، بل ينبغى أن تزدوج تماماً بالعمــران الكثيف لكلتا الضفتين. وهو ما تبنته الدولة المصرية بإنشــاء القنــاة الجديــدة بصورتها العصريــة لتكــون هدية للإنســانية تستهدف الرخاء والتنمية.

ويحضرنى هنا ما كتبه د. حســين مؤنس فى كتابه (رسالة مصر): إن قدر مصر منذ صنعت التاريخ، عاشــت فيه كل عمرها، وكان تاريخها دائماً مرتبطاً أشــد الارتباط بالتاريــخ العالمى، ولم يغادرها التاريخ قط.

وكتــاب (قناة الســويس .. نبض مصر) من أهم الكتب التى قدمت تاريخ وجغرافية واقتصاد أهم شرايين الملاحة العالمية، على مدى ثلاثــة قرون، مؤكداً على أهمية قناة السويس للعالم ولموقع مصر الجغرافى، ومــا تتعرض له القناة من تحديات ومخاطر وتهديدات، سواء على المستوى الســياسى والإستراتيجى والعســكرى والاقتصادى، مستعرضاً كل ذلــك، بطريقة جغرافية سلســة وبأســلوب أدبى جذّاب، لينبّه القارئ لحقيقة وأهمية دور القناة فى السياسة والإســتراتيجية والاقتصــاد، فى ظــل التحديات التى تواجهها مصر من إرهاب وأطماع أعداء الوطن.

ويتنــاول الكتاب قســمين فى غاية الأهمية لكل مصرى وعربــى أيضاً بل للعالم أجمع وهما:

قنــاة الســويس فى السياســة والإســتراتيجية، والثانــى فى الاقتصاد والتكنولوجيا، وهما جوهر قناة السويس عبر تاريخها.

ويركز المؤلف فى كتابه على أن عصور مصر الذهبية هى التى اجتمع فيها الحد الأقصى من موارد الموقع، وموارد الموضع، وأن الأول للخــروج من الدور التقليدى للعبــور، إلى دور جديــد يتخطى الماء واليابســة، إلى موقع لوجيستى، إقليمى عالمى، يتميز بعلاقاته المكانية، على كافة

المستويات، والانحراف الصفرى عن الطريق الملاحى. ويضيف أن هناك قدرة تنافسية للموانئ مع موانئ حوض البحر المتوسط، المتمثلة فى الموانئ الإسرائيلية، (حيفا وأشدود)، وموانئ الجيسيراين فى إسبانيا، وجيوتاور فى إيطاليا وغيرها من الموانئ وكذلك ميزة تنافسية أخرى متمثلة فى موانئ الخليج العربى، وتنمية إقليم قناة السويس الإقليم الوحيد الآفرو آسيوى فى المنطقة، وتفعيل النقل متعدد الوسائط عن طريق شبه جزيرة سيناء، وخاصة بعد الأنفاق العابرة أسفل القناة، وكذلك شبكة الطرق فى الاتجاه الإفريقى.

أصبحت القناة هدية الموقع إلى مصر وهبة مصر إلى العالم، وصحائف التاريخ تسجل أهمية موقع القناة فى الأمن المصرى وعلاقتها الدفاعية بسيناء والوادى، وموقعها فى الإستراتيجية العالمية، وقوتها ووزنها السياسى لدورها العربى، وأصالتها الحضارية، ومدى التداخل بين قناة السويس وتاريخ مصر السياسى الحديث.

ويصبح المبدأ الإستراتيجى الأول فى نظرية الأمن القومى المصرى، أن الدفاع عن سيناء، دفاع عن القناة، بل هو دفاع عن مصر، موقعاً وموضعاً، حدوداً وعمقاً، صحراء ووادياً، ولا موقع لمصر بغير القناة، ولا قناة لمصر بغير سيناء، فمن يهدد سيناء يهدد القناة تلقائياً.

ويضيف المؤلف: أصبحت سيناء من الناحية الإستراتيجية جزءاً لا يتجزأ من القناة، وبالتالى جزءاً لا يتجزأ من موقع مصر، ومن ذلك لابد أن يدرك كل مصرى أن لا أمن ولا أمان لمصر بغير القناة ولا أمان للقناة بغير سيناء.

وأكد الكاتب الموسوعى على العلاقة الوثيقة بين قناة السويس وما تعرضت له مصر من احتلال وحروب، ورغم أنها جددت موقعها إلا أنها كانت بوابة دموية، من الناحية الإستراتيجية، وكانت مصر تتبع القناة، ومثلما كانت بوابة الاستعمار، إلا أنها صارت مقبرته وجبانته، فى معركة السويس 1956م، والقناة بالنسبة للخليج العربى عاصمة المنطقة كلها إستراتيجياً، وأهم موقع على خريطة العالم.

ولحمدان مقولة مشهورة ولها

أهميتها وهو يكتب عن حرب أكتوبر فى كتابه (6 أكتوبر فى الإستراتيجية العالمية)، وقف متأملاً التحدى الخطير للقناة والعوائق التى كانت تمثلها أمام خطط الحرب، وكيف استطاع المصرى بوعيه وإرادته وتصميمه أن يهزم كل ما يحد من إرادته فكتب (إن القناة كانت تحارب معنا العدو الصهيونى، ولم تكن ضدنا كما توهم البعض، وبذلك نقول إن القناة تخوض معنا أيضاً معركة التنمية الحقيقية، بكل قوة، وتقود أهم وأصعب المحاور فى الحركة الاقتصادية المعاصرة، سواء من خلال الممر الملاحى العالمى أو من خلال المشروعات العملاقة على جنباتها والقدرة الفائقة على جذب المزيد من الاستثمارات المصرية والعالمية فى مختلف أفرع الاقتصاد الدولى وأيضاً المساهمة فى عملية التنمية المحلية الشاملة، من خلال الترابط الوثيق مع محاور التنمية الأخرى سواء فى الدلتا والوجه البحرى أو فى الصعيد ومنطقة البحر الأحمر وسيناء ضمن إستراتيجية 2030.

أما القسم الثانى من الكتاب وهو الاقتصاد والتكنولوجيا، تناول فيه البترول والعصر النووى، وركز المؤلف على دور القناة فى ضخ البترول العربى وبترول الشرق الأوسط، ويرى أن البترول توأم القناة وعميلها الأساسى الذى نشأ وشبّ تحت وصايتها حتى يقول: لقد نشأ زواج اقتصادى وثيق بين بترول العرب وقناة العرب.

ومن أهم نتائج القناة الاقتصادية أن أوروبا الغربية تدين للقناة بالجزء الأكبر من طفرتها الصناعية والحضارية الحديثة، حتى وصلت إلى درجة التشبع وما فوق التشبع، فهى التى قرّبت ثروات المستعمر والمداريات ووضعتها عند أطراف أصابعها، بأرخص التكاليف والأسعار، وهى التى قدمت لها الخامات والأسواق فى عصر الفحم فى القرن التاسع عشر، وهى الآن التى تقدم الوقود مع الخامات مع الأسواق جميعاً فى عصر البترول فى القرن العشرين والحادى والعشرين، والقناة بلا جدال أهم ممر عالمى إستراتيجى لأهم سلعة إستراتيجية فى العالم وهو البترول.

ويركز الكتاب على التحديات التى تواجه القناة فى ثلاثة متغيرات، البترول والأنابيب والناقلات العملاقة.

ويضيف الكتاب رؤى لها أهميتها فى العصر الحديث، ولا يمكن اختزالها فى تلك الصفحات ولكن قد تكون مفيدة ودليلاً يرشد شبابنا للتعرف على أهمية موقع مصر الوطن وما يواجهها من تحديات عبر تاريخها النضالى وأهمية ثروات الوطن وقيمة حضارته وأهمية قناة السويس لمصر وللعرب وللعالم وهذا سرّ عظمة مصر وقيمة القوى الناعمة التى تمتلكها مصر من موقع وموروث حضارى ورواد الفكر والأدب والثقافة والسياسة الذين كانوا ومازالوا منارات للمعرفة.

المستشرقون ومعاداة الإسلام (2)

نتناول فى هذا الجزء من الدراسة الخاصة بالإسلام والغرب حيث يستعرض صاحب الفضيلة الدكتور عبدالحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق موقف المستشرقين والذى يتراوح بين التأييد والنقد السلبى وغير العلمى، واهتمام وإعطاء مصداقية لكتاباتهم عن الإسلام ونبى الإسلام محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بموضوعية. وما يمكن أن يوصف بأنه نوع من الحياد العلمى من ناحية، ومن ناحية أخرى أن مستشرقين آخرين تحت تأثير العقيدة المسيحية والصراع بين أوروبا والدول الإسلامية خاصة فى بلاد الشام وبخاصة فى فلسطين حيث القدس الشريف التى تحظى بتقديس من الأديان الإبراهيمية الثلاثة.

سفير د. محمد نعمان جلال
galal_m@hotmail.com

ومن ثم انطلقت الحروب الصليبية ذات الطابع الاستعمارى وإن اتخذت من الدين المسيحى ستاراً للاستيلاء على بعض الأراضى العربية خاصة فى بلاد الشام ومن ثمّ نظروا للإسلام بأنه أدى لتوقف انتشار المسيحية فى شبه الجزيرة العربية عندما ظهر فى المنطقة ومنها انتشر فى دول آسيوية وإفريقية وبعض الدول الأوروبية خاصة شبه جزيرة أيبيريا (الأندلس).

* دعا الدكتور عبدالحليم محمود المسلمين إلى قراءة السيرة النبوية فى الكتب الصحيحة مثل ابن هشام، وطبقات ابن سعد، وأيضًا الاعتماد على البخارى، ومسلم، وتاريخ الطبرى، وعلى القرآن الكريم ذاته. كما أبرز ضرورة أن يدرس المسلمون والمستشرقون أيضًا البيئة العربية فى مهدها الأصلى مكة والمدينة والطائف لتتضح لهم الصورة الصحيحة وما يرونه مبهمًا.

* ومن ناحية أخرى فإن «رينان» فى كتابه «حياة» المسيح «ذكر» أن لسير محمد العربية مثل سيرة ابن هشام ميزة تاريخية أكبر من الأناجيل (المرجع حياة المسيح ط12 ص 209 نقلًا عن عبدالحليم محمود ص 133).

* أضاف الدكتور عبدالحليم محمود نقداً للقس «لامانس» بأنه كان يقطن لبنان حيث الهدوء والاطمئنان ولا يعبأ بمشاعر المسلمين، وإن القس» لامانس» ضاق ذرعًا بانتشار الإسلام فى إفريقيا وآسيا حيث قال «لماذا جاء القرآن فجأة ليقضى على التأثير الجيد الذى كان الإنجيل قد أخذ يحدثه فى أبناء البادية»! (انظر نهاية ص 135 فى د. عبدالحليم، «أوروبا والإسلام»، مطابع الأهرام التجارية عام 1973). واستطرد أن مثل «لامانس» فى الاستشراق كمثل بطرس الناسك فى الحروب الصليبية. وكلاهما يتخذ من الوسائل ما يحقق هدفه غير عابئ بالدقة فى الوسيلة. وكلاهما غير منصف علمياً أو تاريخياً فى كتاباته وبحوثه. بعبارة أخرى يمكننا القول أنهما تأثرا بما قاله المفكر الإيطالى المشهور نيقولا مكيافيللى صاحب كتاب الأمير «إن الغاية تبرر الوسيلة».

* ويقتبس د. عبدالحليم محمود من سورة المزمل قول الله تعالى «إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه، وثلثه وطائفة من الذين معك» (المزمل 20).

* وأضيف كباحث أن الاستشهاد بوجود طائفة من الصحابة مع النبى فى قيامه الليل هو تأكيد وإثبات للحقيقة، وهذا يدل على مصداقية الرسول والقرآن الكريم. ويدحض ادعاءات الكفار والمشركين.

* ويستطرد القس «لامانس» نقده لأصحاب النبى (صلى الله عليه وسلم) أمثال عمر بن الخطاب، ويصفه بأنه كان جندياً متوسط الكفاءة، رغم أن عمر بن الخطاب كان مشهورًا بشجاعته منذ أيام الجاهلية وبعدالته وسياسته الحكيمة وشجاعته التى تجلّت عندما أسلم وهاجر جهراً إلى المدينة متحدياً المشركين، وهذا يثبت جهلاً مطبقاً من القس لامانس فهو كان يكتب بدون الاستناد للمراجع العلمية الإسلامية المشهورة ولا بتاريخ عمر بن الخطاب فى الجاهلية والإسلام وتحديه للكفار حينما أسلم وصلى علانية فى الكعبة وعندما هاجر شهر سيفه وتحدى الكفار. وفى نقد القس لامانس للنبى صلى الله عليه وسلم فيقول «إن أبا بكر وعمر سيطرا على النبى محمد». كذلك انتقد القس كلاً من عثمان بن عفان، وعلى بن أبى طالب، وفاطمة، وعائشة، وحفصة، وغيرهم. وعلى خلاف موقفه هذا فإنه أشاد بأعداء الإسلام أمثال أبى جهل وأبى لهب، ويزيد بن معاوية قاتل الحسين، وسخر مما أسماه «سذاجة» على بن أبى طالب الذى خدعه بنو أمية وأشاد لامانس ببنى أمية وكأنه منهم.

* ويذكر لامانس أيضًا عن الردة «أنها «انفصال عن الإسلام». ويفسر آية «إن الله مع الصابرين» بقوله «إن الله مع الساكتين عن سياسة محمد المتناقضة، ويسمى أبا بكر وعمر بأنهما حكومة الثالوث كذلك يطلق على «عائشة وحفصة» بأنهما الثالوث ويصفهما بأنهما الدساستان المخوفتان للزوجات الأخريات. بعد هذا الوضوح من القس لامانس يتضح مدى جهله ومدى حقده على الإسلام والمسلمين.

* وبينما يحترم المسلمون السيد المسيح والسيدة مريم ويجلونهما وفقًا للقرآن الكريم فإن القس»لامانس» يصف مؤسس الإسلام بأبشع الصفات التى تعبر عن الحقد والكراهية، بل بلغت به حالة الإسفاف وأيضًا ببعض المستشرقين أن ذكروا أن اسم النبى ليس محمداً وإنما هو لقب أطلق عليه لاحقًا (انظر المرجع فى عبدالحليم محمود صفحة 146). ولا شك أن هذا دليل واضح على حقد القس لامانس وجهله وعدم مصداقيته وتأثره بالوجود الطائفى فى لبنان حيث كان يعيش. إنه

دليل على جهل وحقد بعض المستشرقين تجاه الإسلام لانتشاره ومبادئه العظيمة والتى أشار إليها وأبرزها مستشرقون آخرون بعضهم ذكرناهم فى هذه الدراسة فهم أتقنوا اللغة العربية ورجعوا للكتب الصحيحة فى التاريخ الإسلامى مثل سيرة ابن هشام وغيره.

* ومن خبرتى الشخصية عندما كنت مندوبًا مناوبًا فى وفد مصر بنيويورك وكان صديقًا لى المندوب المناوب الإيطالى وكنّا بحكم طبيعة العمل الدبلوماسى نتعاون فى العديد من القضايا. وكان المندوب المناوب الإيطالى مثقفًا ثقافة واسعة وكان يناقش معى بعضها وذات يوم سألنى «ماذا سأفعل الآن؟ قلت سوف أذهب لصلاة الجمعة فى المكان المخصص للصلاة بمبنى الأمم المتحدة. فقال سوف أذهب معك، وكانت هذه مفاجأة سارة لى، وبالفعل ذهب معى الوزير المفوض «شالويا» وهو نائب رئيس الوفد الإيطالى عام 1990. وبعد فترة وجيزة قررت الحكومة الإيطالية نقله من نيويورك ليكون سفيرًا فى المملكة العربية السعودية، وهناك أعلن على الملأ فى السعودية إسلامه عن علم واقتناع دون أن يطلب منه أحد أن يسلم. وفى مرحلة لاحقة التقى فى السعودية بدبلوماسى مصرى فتذاكر معه علاقتنا وأشار لذهابنا لصلاة الجمعة معًا، وقابلنى الدبلوماسى المصرى بعد ذلك فى القاهرة فذكر لى أنه كان يتحدث بكلام طيب عن علاقتنا فى نيويورك. ودارت الأيام وسافرت مع وفد المجلس المصرى لحقوق الإنسان آنذاك إلى روما لحضور ندوة بصفتى عضوًا فى المجلس من (عام 2003 حتى 2009) وسألت عن صديقى الدبلوماسى الإيطالى الذى أسلم فى السعودية فقال لى السفير المصرى فى إيطاليا آنذاك إنه أصبح ممثلًا للجمعية الإسلامية فى إيطاليا ويدافع عن المسلمين فى مختلف وسائل الإعلام الإيطالية فهو ابن البلد ويعرف كيف يخاطب العقلية الإيطالية، وفى تلك الفترة كان المسلمون يتعرضون للضغوط فى أوروبا وأمريكا للانتقاد القاسى بعد قيام جماعة القاعدة الإرهابية التى كانت فى أفغانستان بضرب برج التجارة فى نيويورك وهو ما أساء أبلغ إساءة للإسلام والمسلمين. وبالفعل تحدثت مع صديقى الإيطالى تليفونيًا من روما وتجاذبنا بعض الذكريات ولكن لم نتقابل لأنه كان فى مهمة خارج روما فى مدينة أخرى.

* ويزعم بعض المستشرقين المعادين للإسلام وللنبى محمد أن كلمة «الرحمن» اسم علم للإله، ولذلك يترجمون البسملة باللغة الإنجليزية وغيرها من اللغات الأوروبية بأنها «باسم الإله الرحمن الرحيم». وهذا يعكس عدم دقة الترجمة وعدم إتقان اللغة العربية. ومن الغرائب أن يطلق القس لامانس على أبى بكر بأنه سمى كذلك لأنه أبو البنت البكر. ويترجمون كلمة «الصعيد» بأنها السعيد وغير ذلك كثير من الأخطاء فى الترجمة الإلكترونية للغات الأخرى.

* وفى تقديرى كباحث أن الترجمات الإلكترونية تقع فى أخطاء جسيمة ولا يفهم الجهاز الإلكترونى أن الكلمة الواحدة فى اللغة العربية قد تحتمل أكثر من معنى، إن الباحث الجيد هو الذى يتقن اللغة التى يعتمد عليها فى دراسته أو يعتمد على مترجم متمكن وليس على الترجمة الإلكترونية.

* ثم ينتقل الدكتور عبدالحليم فى الفصل الخامس لما أسماه نصائح بعض المستشرقين حيث يقدم مجموعة مقترحات من ختام كتاب ناصر الدين «الشرق كما يراه الغرب». وفيما يلى بعض تلك الآراء:

1 - رأى الدكتور «سنوك هرغرنجه» «إن سير محمد الحديثة تدل على أن رسالة محمد أقرب إلى الاشتراكية لفقر كثيرين ممن اعتنقوا الإسلام. وهو ما ذهب إليه المستشرق «جريم» الذى يرى أن الآراء الاشتراكية وليس الآراء الدينية التى قادت محمداً للرسالة. وهذه آراء تتسم بالسذاجة وتنم عن جهل هؤلاء المستشرقين ففى رسالة محمد عليه الصلاة والسلام لم تكن الأفكار الاشتراكية قد عرفت ولا المصطلح أو ما شابه ذلك.

2 - أيّد د. عبدالحليم المستشرق المسلم ناصر الدين «أتيين دينيه» بأن البحث العلمى الصحيح ينبغى أن يعكس العالم فى القرن العشرين وحاجته إلى معرفة كثير من العوامل الجوهرية كالزمن، والبيئة، والإقليم، والعادات، والحاجات، والمطامح، والميول والأحقاد.. إلخ لا سيما إدراك القوى الباطنة التى يعمل بتأثيرها الأفراد والجماعات. وضرب مثلًا عكسيًا بالتساؤل التالى: ما رأى الأوروبيين فى عالم من أقصى الصين يتناول المتناقضات التى تكثر عند مؤرخى الفرنسيين ويمحصها بمنطقه الشرقى البعيد ويهدم قصة الكاردينال ريشيليو ليعيد رسم صورته بشخصية ريشيليو آخر له عقلية كاهن من كهنة بكين وسماته وطباعه.

3 - كما ذكر أن مستشرقى العصر الحاضر قد انتهوا إلى مثل هذه النتيجة حيث كل مستشرق يرسم صورة لمحمد عليه الصلاة والسلام وفقًا لمجتمعه الإنجليزى أو الألمانى أو الإيطالى أو الفرنسى.. إلخ، وهذا بخلاف الكتاب الممتاز الذى ألفه ناصر الدين عن سيدنا محمد والذى ترجم (للعربية وقد كتب فيه عن آماله وتطلعاته وتنبؤاته بالنسبة للإسلام. وأوضح آثار حالة القلق بعد موت القائد الملهم سيدنا محمد، وحدوث بعض الفتن والمعارضة ومع هذا فالإسلام فى خلال أقل من مائة عام حقق الكثير من الأمجاد خارج الجزيرة العربية التى كانت محرومة من المواهب والنعم وانتشر الإسلام فى أغلب بقاع العالم المتحضر القديم من الهند إلى الأندلس. وكان نابليون ينظر دائمًا باهتمام للإسلام وبالمودة حتى أنه قال عن نفسه فى إحدى خطبه المشهورة بمصر «إنه» مسلم موحد (المرجع عن ش . شرفيس بونابرت والإسلام نقلاً عن د. عبدالحليم، ص 154).

كما أشار أيضًا إلى أن الإسلام صهر العرب الذين كانوا يعيشون فى أعماق الصحارى وكانوا يعيشون فى حروب قبلية لا يشغلهم شاغل سوى الفتن المتوارثة، فتحولت أخلاقهم إلى أخلاق قوية ومواهب عبقرية وحماس لا يقهر (نقلًا عن د.عبدالحليم ص 154 نقلًا عن «لاس كازاس» مذكرات سانت هيلين ج 3 ص 183).

وإن الإسلام جاء فوضع حداً للحروب القبلية فى الجزيرة العربية وأكد «أن المؤمنين أخوة ودعا للإخاء وللمساواة والحرية والعدالة قبل الثورة الفرنسية حيث قال القرآن «إن أكرمكم عند الله أتقاكم»، وقال الرسول «لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى» وقال «كلكم لآدم وآدم من تراب» وقال الرسول «رب أشعث أغبر، لو أقسم على الله لأبره» وقال: «يا فاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئًا». وقد نشر الإسلام العمران كما يتجلى فى المبانى المتشابهة فى الهند وتركستان وفارس وتركيا ومصر وشمال إفريقيا وأسبانيا. والأسلوب المعمارى العربى تميز بالطابع العبقرى وكذلك فن الزخرفة الذى استخدم لتمجيد كلام الله، أى آيات القرآن «وقد أطلق على الفن الزخرفى بأنه أرابيسك» Arabesque.

أثـــر الحضارة الإســـلامية فى النهضة الأوروبية والتفاعل بين الحضارتين

يلاحظ الدكتـــور عبدالحليم محمود أن أوروبا تأثرت بالفنـــون العربية بأكثر مما تأثرت بالفنون الإغريقيـــة واللاتينية، وقد ذكر المؤرخ «دولور» مقولة مشـــهورة «إن مهنـــدسى العرب قد عملوا فى بناء كنيســـة نوتردام بباريس».

وفى ميـــدان العلـــوم ذكـــر الدكتور «جوســـتاف لوبون» ذلك فى كتابه القيم « حضارة العرب».

«ويعـــزى إلى «بيكون» أنه أول من قام بالتجربـــة والملاحظة، اللتين هما أســـاس المناهـــج العلمية الحديثـــة ولكن التجربة والملاحظة كانت فى الأصل من عمل العرب.

أما العالم الشهير همبولد فبعد توضيحه بأن التجربـــة والملاحظة هى أرفع درجة فى العلوم، أضاف بأن العرب ارتقوا فى علومهم إلى هذه الدرجة التـــى كان يجهلها القدماء تقريبًا.

أما القرآن كما ذكر الإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى أنـــه جعل العقل حكمًا والبرهان أساس العلم.

ويقول الإمام أبو حامد الغزالى فى كتابه «المنقـــذ من الضلال» إنه جرد نفســـه من جميع الآراء ثم فكر، وقدر، ورتب، ووازن، وقرب، وباعد، وعرض الأدلة وهذبها وحللها ثم اهتدى (عبدالحليم محمود، نفس الكتاب الذى نعرض لـــه ص161) حيث يقتبس من أقوال الإمام محمـــد مصطفى المراغى إذ يقـــول «إن القرآن جعـــل العقل حكمًا، والبرهان أســـاس العلم وعاب التقليد وذم المقلدين، وأنّب مـــن يتبع الظن»، وقال «إن الظن لا يغنى عن الحق شيئًا» (انظر مزيدًا من التفاصيل فى هامش صفحة 161).

وعلـــم الفلك كان يـــدرس بحماس فى مدارس بغداد ودمشق وسمرقند والقاهرة وفاس وطليطلـــة وقرطبـــة، وكان لتلك المدارس اكتشافات عديدة منها إدخال خط التماس فى الحسابات الفلكية ووضع جداول حركة الكواكب، وتحديد ســـمت الشمس تحديـــداً دقيقاً، وتقدير تقـــدم الاعتدالية تقديراً صحيحًـــا وأول تحديد صحيح لمدة السنة. وتجريد النفس عما ألفته فى مواضع كثيرة ثم البحث والنظـــر وطريق التجربة والاســـتقرار طريق قديم. وهـــذا القانون العلمى معروف قديمًـــا وحديثًا والمعرفة سهلة ولكن العمل عسير ولا يتفاوت الناس كثيرًا فى معرفة القانـــون، ولكنهم يتفاوتون فى تطبيـــق القانـــون. وفى مقدمـــة كتبها الشـــيخ محمد مصطفى المراغى «لكتاب الدكتور محمد حسين هيكل بعنوان «حياة محمد» أكد ما تضمنته المقولة الســـابقة. وقد عمل العرب بجـــرأة وإقدام لتصحيح الأخطاء الجســـام التى وقع فيها الإغريق. كما نشروا رسائل من شـــتى بقاع العالم المجهولة ومن ذلـــك خرائط الإدريسى التى ترجع لعام 1160م حيث رصد منابع النيل بين البحيرات الاســـتوائية الكبرى مرسومة رســـمًا دقيقًا وهى المنابع التى لم يكتشفها الأوروبيون إلا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر.

كذلك الأمـــر بالنســـبة لنظريات علم الطبيعة فيما يتعلق بالمســـائل الضوئية. والتقطير الذى هو أصـــل العمليات فى علم الكيميـــاء، وتطبيق الكيميـــاء فى ميدانى الصيدلة والصناعات خاصة فى اســـتخراج المعـــادن وصناعة الفـــولاذ والصباغة كما اكتشفوا الأسلحة النارية عام 1205 حيث اســـتخدم الأمير يعقوب المدفعية فى حصار مدينة المهدية. كذلك الجراحة فالعرب لهم الفضل فى تقدمها فكانـــت مؤلفاتهم هى المراجع الأساســـية التى تـــدرس بالمعاهد الطبية الأوروبيـــة وقد كان العرب يعرفون علاج الكاتاركت للعيـــون، وكيفية تفتيت الحصاة، وعلاج النزيف بصب الماء البارد. وكذلك التخدير قبل العمليات والذى يعتقد أنه اكتشاف حديث فإن العرب لم يجهلوه فقد كانوا يوصون باستعمال نبات الزوان لتنويم المريض قبـــل العمليات المؤلمة حتى يفقد الوعى والحساسية.

وكان للمســـلمين أثر فى ميدان الفكر حيث كان الفرنسيون عندما قاموا بثورتهم يجهلون ما قام به النبى محمد فى ســـبيل المســـاواة ثم نقل لهم ذلك الفكر ابن رشد الذى عاش فى أســـبانيا من 1120 - 1198 ميلادية ولـــه الفضل فى إدخال حرية الرأى وقد عارض ابن رشد «نظرية وحدة الوجود القديمة»، كما عارض التجســـيم المسيحى، وأكد عقيدة الإيمان بالله وحده فى الإسلام.

وبالنســـبة للأخلاق الإســـلامية فقد امتاز العـــرب بأخلاق الفروســـية القوية بالإضافة لروح التســـامح الدينى، وفى ذلك يقول الكاتب الأســـبانى الكبير «بلاســـكو ايبانيز» فى قصته «فى ظل الكنيســـة» وقد ذكر الكثير «واصف باشـــا بطرس غالى» فى كتابه «فروســـية العرب المتوارثة» وبما أنه قبطى مسيحى فإن أقواله لها أهمية عظيمة إذ قال «واصف بطرس غـــالي» إن محمداً كان يحب النســـاء، وقد عمل جهد طاقته لتحريرهن وربما كان ذلك بالقدوة الحسنة ويصفه «واصف باشـــا» بأنه أكبر أنصار المرأة وهذا هـــو الرد الصحيح على ما ذكره «بيرون» من الادعاءات بالتعصب الإسلامى ويعترف العالم «بارتليمى ســـانت هيلير» بأخلاق الفروســـية العربيـــة وأن الأخلاق الأوروبية تدين للعرب بتلك. وفى هذا الصدد أشـــار فى كتابه عن القرآن أنه عندما اتصل الأوروبيون بالعـــرب واقتدوا بهم أصبحت العادات الخشنة لدى النبلاء القساة القلوب فى القرون الوسطى أكثر رقة فى عواطفهم.

• أســـباب إنكار الغرب آثار الإسلام فى الحضارة الغربية:

1 - التعصب الموروث لدى المســـيحيين الأوروبيين ضد الإسلام وأتباعه وأصبح ذلك جزءا من كيانهم.

2 - التعصـــب الدينى عـــبر الأجيال المتتالية فى الغرب الأوروبى.

3 - اقتناعهـــم بأن العلـــوم والآداب الماضية يرجع الفضل فيها للإغريق واللاتين وحدهم.

أسباب تدهور المسلمين:

الأول: الخروج عن مبدأ المساواة التامة الشـــاملة التى دعا إليها النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) ومن ذلك مثال قصة الأمير جبلة عندما زاحمه رجل من البدو فى الكعبة فلطمه لطمة عنيفة وطلب الخليفة عمر بن الخطاب من البدوى الفقير أن يضرب الأمير جبلة ففعل ذلك.

الثانى: عدم تمســـك المسلمين بصورة كاملة بالمبادئ الأساســـية لدين محمد إلا لفترة قصيرة فعـــاد من جديـــد التفاخر بالأنساب والقبائل مما كان له آثار هدامة فى عهد عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين وأضاع النـــاس حكمة محمد التى تجلت فى وصيته لابنته المحببة فاطمة الزهراء بقوله لها «يا فاطمة بنت محمد، انقذى نفســـك من النار فإنى لا أغنى عنك من الله شـــيئاً» [د.عبدالحليم محمود «أوروبا والإســـلام»، ص 170] وعادت الفتن الأهلية بين المسلمين كما كانت فى عهد القبائل فى الجاهلية. نسى المســـلمون وصية النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) فى خطبته التى جاء فيها قوله

«أيها الناس إنما المؤمنون أخوة».

الثالث: التخلى عن إحدى الميزات الأساسية للإسلام إذ تجاهل المسلمون وصية النبى (صلى الله عليه وسلم) فى خطبة الوداع عندما قال «يا أيها الناس إنما المؤمنون أخوة».

الرابع: عدم التوافق التام بين العقيدة وبين ضرورات المنطق حيث لم يكن المسلمون الأوائل يعتقدون فى الأمور الخرافية ولذلك حققوا التقدم والفوز فى الغزوات. ولكن بعد ذلك وقع المسلمون والإسلام تحت النزعات الطائفية والعنصرية والجنسية والجغرافية والتاريخية.

الخامس: تشويه المفاهيم الإسلامية وبخاصة مفهوم الجهاد، بينما الجهاد الصحيح هو جهاد النفس ضد الانحرافات والتطلعات الجنسية، كما أن الجهاد الصحيح يجب أن يكون جهاداً مجتمعياً من أجل التقدم والرقى الحضارى، ناهيك عن تجاهل حقوق المرأة من أجل المناصب والتوسع على حساب الآخرين، كما تجاهلوا مفهوم المواطنة التى ذكرها النبى (صلى الله عليه وسلم) فى صحيفة المدينة فلم يفرق بين مسلم ويهودى ومسيحى بما فى ذلك المشركين فى المدينة ما لم تحدث منهم خيانة أو غدر للمسلمين. أضف لما سبق تحول المسلمين فى حكمهم للنظام الوراثى الملكى كما حدث فى الدولة الأموية والصراع ضد الهاشميين من آل بيت الرسول فضلًا عن وقوع سلالة السيدة فاطمة والإمام على بن أبى طالب فريسة لتأثير ذوى النزعات الفارسية وفقراء المسلمين بدعوى أنهم أحق بالسلطة بعد النبى، وهكذا تسببوا فى استشهاد آل البيت بالموت مسمومًا مثل الحسن بن على بن أبى طالب ، والموت بالقتل غدرًا فى كربلاء للحسين بن على بعد خديعة أهل العراق له.

السادس: الدخول والانغماس فى مفاهيم فلسفية أدخلوها للإسلام مثل عقيدة القضاء والقدر، وفكر المعتزلة فى خلق القرآن، وتبنى الخليفة المأمون العباسى لهذه الفلسفة واضطهاده لفقهاء المسلمين مثل أبى حنيفة، وأحمد بن حنبل وغيرهم.

السابع: انتهاك قادة المسلمين فى عهد بنى أمية حرمة الكعبة المشرفة وضربها بالمنجانيق فتحول بعض المسلمين أنفسهم للغدر والخيانة وعدم احترام مقدسات الإسلام والتخلى عن مبادئه بالدعوة للسلام بل والغدر ضد الحسن بن على بعد تصالحه مع معاوية فيما عرف بعام الجماعة، وجاء الغدر من معاوية عندما جنّد سيدة لتكون زوجة مخادعة للحسن بن على عندما لمس ضعفه تجاه النساء ووعدها بتزويجها لابنه يزيد فلما قامت بالمهمة التآمرية وذهبت لتطلب من معاوية تنفيذ وعده، فقال لها مقولته المشهورة «أنت لم تكونى أمينة على حفيد الرسول فكيف آمنك على ابنى» وقتلها.

الثامن: التعصب الإسلامى مقابل تعصب أهل الأديان الأخرى ونموذج ذلك قصة «سالم بن عوف» المشهور باسم «الحصين» الذى كان له ولدان مسيحيان، وهو مسلم فسأل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هل يجب عليه إكراه ولديه لاعتناق الإسلام؟ وهما يرفضان كل دين غير المسيحية فأنزل الله تعالى الآية «لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم» (البقرة 256) وعندما جاء رسل نجران المسيحيون للمدينة ليفاوضوا النبى طلبوا منه منحهم نصف مسجده ليؤدوا صلاتهم فيه فاستجاب لهم بلا تردد.

وقام محمد النبى لجنازة فقيل له إنها جنازة يهودى فقال «أليست هى نفس» وقال النبى محمد «من آذى ظلمًا يهوديًا أو نصرانيًا كنت خصمه يوم القيامة» كما قال «قد يدوم الملك مع الكفر ولكنه لا يدوم مع الظلم» ورغم كل ما قاله النبى محمد عن المسيح، وكذلك فى القرآن فإن الأوروبيين رسموا النبى محمدًا فى صورة صنم تارة، وفى صورة سكير مدمن تارة أخرى وغير ذلك مما يدل على الحقد والكراهية لنبى الإسلام ولم يحترموه بينما المسلمون احترموا السيد المسيح والسيدة مريم العذراء نتيجة احترام القرآن الكريم لهما وللأنبياء الآخرين.

وقد أبرز الدكتور عبدالحليم محمود فى صفحة 176 من كتابه قوله «إن مذابح الأرمن لم تكن قط لأسباب دينية بل لأسباب سياسية فقد خير أنصار تركويمادا المسيحيين بين ترك المسيحية واعتناق الإسلام أو الحرق أحياء، بينما الصحيح أن الإسلام يقوم على حرية اختيار الدين ولم يدع الإسلام لحرق أى شخص بل نهى عن ذلك تمامًا والإسلام يجل جميع الأنبياء بلا تفرقة كما فى القرآن «فموسى كليم الله، وعيسى روح الله، ومحمد حبيب الله، ويجب تبجيل الجميع واحترام أتباعهم». (صفحة177).

قضية تعدد الزوجات: والنبى قدوة حسنة للمسلمين ولا تقترن تلك القدوة الحسنة بمحاولة التبشير المتعصبة:

1 – وقد اعترف العالم «دوزى» المتعصب ضد الإسلام أن الكثير من المسيحيين الذين كانوا فى أسبانيا اعتنقوا الإسلام عن عقيدة لما فيه من تسامح تجاه أصحاب الديانات الأخرى «لكم دينكم ولى دين»، وتساءل الدكتور «عبدالحليم محمود» كيف لا يكون المسلم متسامحاً؟ وهو يجل الأنبياء الذين يجلهم اليهود والنصارى وينظرون إلى عيسى بأنه روح من الله ومحمد حبيب الله، والقرآن يقول «لا نفرق بين أحد من رسله».

2 – أبرز القضايا التى طعن فيها أعداء الإسلام خاصة الغرب هى قضية تعدد الزوجات وأشار المؤلف الدكتور عبدالحليم محمود والبروفيسور «أتيين دينيه» صاحب كتاب «أشعة خاصة بنور الإسلام» وقد دافع عن موقف الإسلام فى تعدد الزوجات مع الحد من التعدد، بخلاف ما كان سائدًا لدى العرب قبل الإسلام. كما أشار لتناقض المسيحية مع الطبيعة البشرية التى لا تغلب، وذلك بفرضه بقاء الرهبان بلا زواج. أما الإسلام فهو يساير قوانين الطبيعة. ففى الماضى وجد تعدد زوجات فى أوروبا كما كان موجودًا فى الجاهلية ولكن الإسلام حدد عدد الزوجات وذلك عند الضرورة واشتراط مبدأ العدالة من الزوج بينهن.

3 – أما الإسلام فهو يجعل مبدأ التوحيد للزوجة هو المثل الأعلى والقرآن يقول «فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة» (سورة النساء الآية 3). ويضيف «ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورًا رحيمًا» (النساء الآية 129) وذلك كله بخلاف ما تفعل الكنيسة من مناقضة الطبيعة البشرية، وقد أنقص الإسلام عدد الزوجات وهو ما فعله بعد ذلك المسيحيون المورمون Mormon ولكن باقى الطوائف المسيحية ترفضه والتعدد جعل المسيحيين يكرهون المسلمين. ولا شك أن التوحيد فى الزوجة هو المثل الأعلى خاصة فى الإسلام. وأكّد الدكتور عبدالحليم أن الحجاب ولزوم بقاء الزوجة فى البيت ليسا من الفروض الدينية بأى حال من الأحوال فنصوص القرآن فى سورة الأحزاب تخص نساء النبى ولا تتعلق بسائر نساء المسلمين (د.عبدالحليم محمود نفس المرجع

ص 186 – 187) لكن التقاليد بعد موت النبى فرضت أشياء لم تكن معروفة فى الإسلام أثناء وجود النبى ولذلك ذهب دعاة تحرير المرأة للقول بأن المرأة الصالحة لا يؤثر عليها عدم لبس الحجاب، والمرأة غير الصالحة لا يؤثر عليها لبس الحجاب.

4 – أبرز القضايا الخاصة بالزوجة الطلاق والزواج وحبسها ولزوم الزوجة بمنزل زوجها.

ولا شك أن التقاليد التى دخلت على الإسلام بعد موت النبى محمد لا تمت للإسلام بصلة ومن ذلك:

قضية الحجاب وحقوق المرأة:

البقاء فى المنزل للزوجة والحجاب يشبه الحبس فى البيت المفروضين على المرأة المسلمة وليس ذلك من الفروض الدينية بالنسبة للمسلمات، وآية الحجاب فى القرآن (الأحزاب 53 – 55) تنطبق فقط على نساء النبى (صلى الله عليه وسلم) ولا تتعلق بسائر نساء المسلمين (د.عبدالحليم محمود المرجع ص 186 – 187) (وقاسم أمين، وملك حفنى ناصف) فقد نشرت قصيدة تحتج فيها بأن رفع الحجاب إذا كانت المرأة فاضلة فليس بشئ ذى ضرر. أما إذا كان نبتها سيئاً فلن يجدى معها أى حجاب، والنقاب تقليد تركى، والشاعر العراقى الزهاوى نشر قصيدة يشيد فيها بفضل المرأة ويعتمد على الآية « ... ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف» ولهن الطاعة والتحرير الكامل للمرأة. والنظرية السائدة فى أوروبا بخصوص توحيد الزوجة ترتبت عليها مثالب ثلاثة هى: الدعارة والعنوسة والأبناء غير الشرعيين بنسبة عالية فى أوروبا والغرب عموما مقارنة بالحالة فى البلاد الإسلامية (نفس المرجع ص 183).

والتعدد فى المسيحية غير مسموح به ولكن ملوك فرنسا كانوا يمارسونه وباقى الشعب يعددون بطرق مختلفة منها الزواج غير الشرعى وأيضًا العوانس والدعارة وينتج عن ذلك الأبناء غير الشرعيين. (د.عبدالحليم محمود، ص 184).

كما أن الإسلام يقول إن أبغض الحلال عند الله الطلاق، والمعنى أن الطلاق حالة خاصة لعدم الانسجام بين الزوجين، ولذا يلجأ البعض من المسلمين والمسيحيين المورمون Mormon / Mormonism للتعدد فيكرههم المسيحيون الآخرون كما يكرهون المسلمين. والمورمون طائفة مسيحية أمريكية أنشأها جوزيف سميث عام 1830 وقد أباح تعدد الزوجات.

ولقد حرص الرسول الكريم على إعطاء المرأة حقوقها وأوصى بها فى خطبة الوداع ثم إن المرأة ذكرت فى القرآن «مثل امرأة فرعون، ومريم بنت عمران أم السيد المسيح» وهناك سورة كاملة تتناول وضع المرأة وكافة شئونها. والنبى محمد عليه الصلاة والسلام أطلق سراح أسرى الطائف عندما تم فتحها بعد فتح مكة إكرامًا لمكانة السيدة شيماء أخت النبى فى الرضاعة. كما خصص القرآن الكريم سورة مستقلة للحديث عن السيدة مريم بنت عمران وأمها حنة وزكريا ويحيى والسيد المسيح عليه السلام، وسورة أخرى عن المرأة التى جادلت مع النبى بخصوص زوجها (سورة المجادلة) وسورة ثالثة للمرأة التى أسلمت وهاجرت دون زوجها (سورة الممتحنة).

وهكذا نجد أن مسألة الحجاب وحقوق المرأة هما من أبرز قضايا العهد الحاضر وهاتان القضيتان حظيتا باهتمام كبير فى الإسلام من رسوله الكريم ومن القرآن العظيم كما سبقت الإشارة، كما أن الإسلام من أهم ميزاته التى تنال الإعجاب الكبير انتفاء مفهوم الواسطة بين العبد وربه وخلوه من الأسرار وعبادة القديسين. ولا حاجة له بالهياكل والمعابد لأن الأرض كلها مسجد وملائمة للعبادة. والإسلام لكافة البشر وهو يعتمد على ثلاثة مبادئ أساسية وهى المساواة والأخوة والعدالة ولذلك كان من بين المسلمين الأوائل سلمان الفارسى وبلال الحبشى وصهيب الرومى والعرب والعجم وبعضهم من النصارى مثل ورقة وبعضهم من اليهود مثل مخيريق وعبدالله بن سلام. وأكد القرآن أن رسوله جاء للعالمين كافة بقوله «وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرًا ونذيرًا» (سورة سبأ آية 28) وإنه دين عام للبشر جميعًا وهو صالح لكل زمان ومكان ومن هنا تقدم المسلمون بحضارتهم الإسلامية التى ضمت مختلف الأعراق والأجناس على قدم المساواة، ويمكن أن تعود الحضارة الإسلامية من جديد إذا أفاق المسلمون من سباتهم العميق، ورجعوا لسلوك السلف الصالح، ولتاريخهم المجيد، وصاروا أمة لا تعرف الجور أو الظلم فى تعاملها مع جميع رعاياها لا فرق بين مسلم ومسيحى ويهودى ولا بين أبيض أو أسود أو بين عربى وأعجمى. فالإسلام يؤكد على المساواة التامة بقوله تعالى «إنما المؤمنون أخوة» والإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل. (د.عبدالحليم محمود أوروبا والإسلام (ص 195 – 196).

وفى الخاتمة:

أبرز الدكتور عبدالحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق أن التخطيط الغربى والشيوعى والصهيونى لم يكتف بإضعاف المسلمين من الداخل بل أيضًا عن طريق التبشير والتشكيك فى إيمانهم وهذا أدى لخروج بعض المسلمين من الدين والانسياق للفكر الإلحادى. كما أن الاستعمار عندما انتشر فى إفريقيا دأب على جمع الآلاف من الأطفال وأنشأهم على الفكر الدينى المتعصب سواء إسلامى أو مسيحى وتدفقت أموال من أوروبا ومن الحركات الصهيونية على إفريقيا لتربية أطفالهم وتعليمهم وتقديم الرعاية الصحية لهم وأحيانًا إيجاد فرص للعمل، وبذلك نشأ البعض على التعصب ضد الإسلام. بينما كثير من أصحاب الملايين أو المليارات من الدول العربية والإسلامية يتاجرون بأموالهم وينفقونها فى اللهو والمجون وأحيانًا ينتهج بعض المسلمين الجدد التعصب لمذاهبهم المتشددة وضد الآخرين وهو ما يتعارض مع مبادئ الإسلام السمحة.

والسؤال الذى نطرحه فى نهاية هذا العرض لماذا فى العالم أكثر من مليار ونصف من المسلمين، ومع ذلك فهم كما قال الرسول الكريم «يوشك أن تتداعى الأمم عليكم كما تتداعى الأكلة على قصعتها» ولما سأله أحد أصحابه قائلًا «أمن قلة يومئذ يا رسول الله؟ فأجابه: بل أنتم تكونون كثرة ولكنكم غثاء كغثاء السيل».

والخلاصة إن الإسلام ينتصر أحيانًا بغير المسلمين، وأن الله ينصر الدولة العادلة ولو كانت كافرة ولا ينصر الدولة المسلمة إذا كانت ظالمة. فالإسلام هو دين الله القويم والرسول أرسل للبشرية كافة باعتباره يدعو لدين الفطرة السليمة: وهو دين العقل والعمل والعلم والتسامح والعدل وحقوق الإنسان واحترامه أيا كانت عقيدته أو ديانته.

جريمة ضد الإنسانية

عدد من الصور الفوتوغرافية دخلت التاريخ لأنها تصور أبلغ تصوير قسوة الإنسان وظلمه أذكر منها صورة ضابط من فيتنام الجنوبية يطلق رصاص مسدسه على رأس أسير أعزل أثناء حرب فيتنام، وصورة الطفلة التى تجرى عارية ونيران النابالم مشتعلة فى جسدها، وصورة الحارسة الأمريكية فى سجن أبوغريب وهى تطلق الكلاب الشرسة على الأسرى العراقيين العزل.

سفير محمد عبدالمنعم الشاذلى

ولابد أن تضاف صورة الشرطى الأمريكى Derek Chauven واضعاً ركبته على عنق الأمريكى الأسود George Floyd الملقى على الأرض بلا حول ولا قوة صارخاً لا أستطيع التنفس حتى فاضت روح المسكين إلى قائمة صور ألبوم الخزى والعار.

لم تكن جريمة الشرطى ديريك الأولى التى قتل فيها شرطى أبيض رجلاً أسود غير مسلح، وسبقها العديد من الحوادث التى أطلقت فيها الشرطة النار على رجال غير مسلحين سود، إلا أن مقتل جورج فلويد له خصوصية تميزه عن غيره من الحوادث وأبعاد سيكولوجية وسوسيولوجية مميزة فلم يكن القتل وليد اللحظة بإطلاق الرصاص أو أثناء مقاومة يائسة بائسة مثل حادثة ضرب Rodney King الأسود فى مدينة لوس أنجلوس حين انهال أربعة ضباط عليه بالضرب بعصيهم وركلاتهم وهو ملقى على الأرض لا حول ولا قوة له حتى أصيب بتلف دائم فى المخ.

جريمة قتل جورج فلويد هى جريمة قتل عمد بارد استمرت لمدة تسع دقائق والمسكين يسترحم المجرم أن يدعه يتنفس والمارة يرجونه أن يرفع ركبته عن رقبته وهو مستمر فى جريمته وحوله ثلاثة ضباط تحت إمرته لا ينهونه عن إجرامه. هذه الجريمة ليست فقط جريمة قتل لكنها أيضاً جريمة إذلال وتحقير وإهانة للإنسان. الشرطى الأبيض وهو يضع رأس ضحيته الأسود فى مستوى حذائه وينظر بكبر وقد وضع يده فى جيبه ولسان حاله يقول أيها الأسود ستظل العبد وأنا السيد مهما صدرت قوانين الحقوق المدنية وتعديلات فى الدستور.

لقد أظهر هذا الحادث مدى تغلغل وتجذر العنصرية فى الشعب الأمريكى فبعد انتصار الشمال على الجنوب منذ أكثر من مئة وخمسين عامًا، وهى الحرب التى نشبت من أجل تحريم العبودية وتحرير العبيد إلا أن هذا الانتصار زكى المشاعر العنصرية الكامنة، فبعد الحرب تشكلت جماعة كوكلوس كلان العنصرية التى نكلت وقتلت الأمريكيين السود على مدى سنوات، فضلاً عن القوانين العنصرية المهينة للفصل العنصرى مثل منع دخول السود إلى مدارس البيض، ووسائل المواصلات العامة الخاصة بالبيض، واستمر العنف ضد السود الذى وصل إلى ذروة عالية باغتيال ناشط الحقوق السياسية مارتن لوثر كينج. ومع صدور قوانين الحقوق المدنية وتعديلات الدستور والعديد من أحكام المحكمة العليا ظلت العنصرية متجذرة فى الشعب الأمريكى خاصة ضد غير الأوروبيين. ومن النماذج البارزة لذلك أنه عند اندلاع الحرب العالمية الثانية قامت الولايات المتحدة باعتقال جميع الأمريكيين من أصول يابانية ووضعهم فى معسكر اعتقال طوال مدة الحرب، لكنها لم تجد غضاضة فى تعيين الجنرال إيزنهاور ذو الأصول الألمانية قائداً لجيوشها التى تحارب الألمان فى أوروبا.

ولم يسع المؤمنون بتفوق الجنس الأبيض إخفاء مشاعرهم بل حرصوا على إشهارها بشكل استفزازى مثل حرص عدد من ولايات الجنوب على رفع علم الكونفدرالية على مبانيها العامة وإقامة

النصب والتماثيل لرموز الكونفدرالية مثل رئيسها Davis Jefferson وقائد جيوشها الجنرال Robert E. Lee وغيرهم.

ولعل ما يزيد الوضع تعقيداً فى الولايات المتحدة تاريخها الدموى وثقافة تمجيد القوة وإعلام وفن ودراما جعل من العنف سلعة تباع لإمتاع الجماهير، وقد قدمت السينما والتليفزيون فى أمريكا مجموعة من الأفلام التى تمجد الشرطى القوى الذى لا يختلف عنفه وبطشه عن عنف وبطش المجرمين بشكل يكاد يختفى معه الفارق بين الشرطى والمجرم، ويبقى الفارق المحير بينهما حمل الشرطى شارة أو ارتداؤه زياً رسمياً. ومن أبرز هذه الأفلام سلسلة أفلام Dirty harry لكلينت ايستوود و Bullit لستيف ماكوين و Starsky and Hutch كما وضع الإعلام الأمريكى المقولة الشهيرة If it bleads it leads أى أن الخبر الذى به دماء يستحق الصدارة.

بشاعة جريمة مقتل جورج فلويد جعلت ردود أفعالها تتجاوز حدود الولايات المتحدة إلى أوروبا وأمريكا اللاتينية وكندا واستراليا ودفعت المتظاهرين فى بريطانيا إلى تحطيم تمثال تاجر العبيد Edward Colston الذى عاش فى القرن 17 والمقام فى مدينة بريستول كما قام المتظاهرون بتلطيخ تمثال عراب الاستعمار البريطانى فى إفريقيا Cecil Rhodes وحتى تمثال الملكة فيكتوريا أيقونة الإمبريالية البريطانية فى القرن 19.

لعل هذه الجريمة البشعة تدفع الشعب الأمريكى إلى تطهير نفسه من آفة العنصرية واجتثاث تجذرها فى ضميره، ولقد بدت فى الأفق بوادر لصحوة ضمير تمثلت فى الغضبة الشعبية التى استمرت قرابة الشهر والشعارات المرفوعة وأبرزها black lives matter وإعادة تقييم الضوابط التى تحكم تصرفات الشرطة، وإعادة النظر فى ميزانيات أجهزة الشرطة التى تتجاوز فى عدد من الولايات الإنفاق على الصحة والتعليم، وإعادة النظر فى مواد الدراما التى تحقر من الأمريكى الأسود وكان أبرزها التحفظ على الفيلم الشهير «ذهب مع الريح» عسى أن تكون جريمة قتل جورج فلويد رغم بشاعتها نقطة تحول فى التاريخ والضمير الأمريكى.

ذكريات دامية.. قائمة فى صداها

امتداداً لمقالى السابق تحت عنوان «التقاء القوى» بمجلة «الدبلوماسى» لعدد إبريل 2020 الذى يعبر عن محتوى ومضمون معرضى الشخصى الأخير فى 14 يناير الماضى، واستمراراً لرؤيتى التى أثمرت إصدار رسالتى المتواضعة التى احتوتها لوحات المعرض والتى تمنيت حسن استقبالها واستيعاب محتواها وهو أن السلام والاستقرار من حق البشرية..

وأن أهم حق من حقوق الإنسان، التى رفعت لافتتها المنظمة الدولية والتى تم انتهاك محتواها مراراً منذ بداية القرن الماضى وحتى الآن من قبل مَن صاغ كلمات لافتتها هو الإنسان الذى خلقه الله وكرّمه، هو الحياة تحت مظلة السلام والاستقرار الذى يليق به، وهو حق مقدس، وهو الهدف الذى استهدفته من إقامة المعرض وموضوعه ورسالتى بصفة عامة. وحيث أتابع حالياً - شأن الرأى العام الدولى - تطورات النزاع الثنائى بين الولايات المتحدة والصين القوتين الأقوى والأكبر والأعظم فى العالم، وحيث كان الأفضل والأنسب واللائق أن تكون لغة الصراع على مائدة التفاوض الحضارى وسعى الجانبين للالتقاء حول نقطة فى منتصف الطريق كبديل عن شرور أية تطورات تصل إلى رسالة الدماء وقتل الإنسان للإنسان تطويراً لتعزيز العقوبات بالإضافة إلى تفجير الموقف فى هونج كونج.

أضيف اليوم ومع تغيير زاوية الرؤية نرى المسؤل الذى يعيش فى أحضان كتب التاريخ الصفراء يقاتل لمولد دولة الخلافة الإسلامية، وتمتد شروره فى كافة الاتجاهات لقتل الإنسان تحت عباءة الإسلام، وهناك آية الله الذى يلتزم بتطبيق الرسالة الخومينية وهى تصدير الثورة الخومينية إلى الدول الإسلامية فى المنطقة بداية بإشعال مدخل باب المندب باستخدام الحوثيين لتحطيم اليمن الذى كان سعيداً، وتلويث مياه البحر الأحمر لتهديد الأمن القومى المصرى والسعودى، وتفريس الخليج العربى بأكمله بدوله البترولية. وكذلك عدم إغفال قيادة البيت الأبيض التى تقود وتترأس منظمة الدول الأمريكية التى تمتد عضويتها إلى جميع دول أمريكا الوسطى «الكاريبى» وأمريكا

سفير فخرى عثمان

الجنوبية اللاتينية التى تقع مواقعها بداية من الحدود الأمريكية الجنوبية وحتى القطب الجنوبى من القارة اللاتينية «أرض النار» لاتيرا دى فويجو la terra de fuego وكان لقيادية دوره فى إشعال شعوب المكسيك وبوليفيا وفنزويلا وشيلى والبرازيل وغيرها بواسطة النشاط المخابراتى باستخدام المال والعملاء لإسقاط حكومات تلك الدول واستبدالهم بالبديل الخاضع لسيطرة أمريكا والذى يلتحف بدفء أحضان حركة الصهيونية العالمية، التى تستهدف الهيمنة على مقدرات البشرية مدعومة بأدواتها.. الولاية الأمريكية الأهم التى تقع خارج حدودها التى تحمل اسم إسرائيل وكذلك «الإيباك» بالقرب من مقر الأمريكان والماسونية ونوادى الروتارى والليونز المتواجدة تحت غطاء العمل الاجتماعى والخيرى والإنسانى فى عواصم الدنيا لإثراء المنظومة المعلوماتية عن البشرية بالقارات الخمسة.

ومع تغيير زاوية الرؤية إلى الشرق الأوسط والوطن العربى عامة وإلى العراق العربى الشقيق خاصة الذى كان بداية رحلتى الدبلوماسية عقب انفجار ثورة الرابع عشر من تموز «يوليو» عام 58 والذى عشت وعملت بداية كملحق دبلوماسى على أرضه سبع سنوات عضواً بأكبر سفارة مصرية فى العالم «52 عضواً» وهى سفارة الجمهورية العربية المتحدة، وبعد سقوط الملكية وحلف بغداد الاستعمارى البريطانى وحيث كان نورى السعيد رئيس الوزراء له دوره الرئيس فى نشاط الحلف فى المنطقة العربية وقد أثمرت تلك الفترة الزمنية الاستثنائية وفى البداية تحت رئاسة المرحوم السفير سيد فهمى وكيل الوزارة ونهاية تحت رئاسة المرحوم السفير أمين حامد هويدى، وقد أثمرت من خلال أحداثها الدامية حصيلة ثرية من الخبرة والعلم والمعرفة أعتز بها كثيراً كالمدرسة الأولى فى عالم العلاقات الدولية أقمت خلالها فى 11 منزلاً وفندق وتعرضت لمحاولتين لاغتيالى شخصياً الأولى بقرار من قيادة الحزب الشيوعى العراقى والثانية بقرار من رئيس الجمهورية الزعيم عبدالكريم قاسم. وكذلك كان لى دورى الرئيسى فى إنقاذ حياة الرئيس عبدالسلام عارف الذى ورداً للجميل طلب نقلى من بغداد ولم تستجب القاهرة للمطلوب والذى كان مصيره حرق الطائرة التى كان يستقلها فى سماء العراق؟! وكان الحدث الأخير المرتبط بى هو صدور قرار من الخارجية رسمياً بإبعادى الذى تم تنفيذه خلال 24 ساعة حيث قضيت بوزارة الخارجية بالقاهرة حوالى ثلاثة شهور عضواً بمكتب المرحوم السفير عبدالحميد غالب وكيل الوزارة ثم عدت ثانية إلى عاصمة الرشيد.. وعفواً للإسهاب قليلاً فى أمر شخصى وقد يكون حدة صدى ما ذكرت العميق فى الوجدان هو الدافع لما أشرت إليه هذا، وقد تم تنفيذ نقلى نهائياً فى 31/ 12/ 1964 وكنت بدرجة سكرتير ثالث.

وبعد مرور عشرات السنوات وتنفيذاً لقرار أحد رؤساء البيت الأبيض السابقين تم احتلال العراق عسكرياً، وكان الدافع المعلن المزيف هو امتلاك

العراق لأسلحة الدمار الشامل، وبعد تأكيد عدم صحة النبأ أعلن أن الدافع هو تحقيق مبدأ الحرية للشعب العراقى والتصدى للحكم الدكتاتورى الغاشم كبديل لترك القرار للشعب العراقى ذاته، وكان تنفيذ فقرات المخطط الشرير بداية بتحطيم الجيش العراقى الباسل وقوات الأمن الداخلى وتفتيت الوحدة الوطنية والسيطرة على منابع البترول وهو الهدف الرئيسى للاحتلال، وتم تشكيل العديد من القيادات الشيعية المتصارعة بديلاً عن القيادة الواحدة «الشيخ محسن الحكيم» ومقره لواء النجف وكربلاء.

وهكذا قامت قيادة الاحتلال الأمريكى بإحداث انقسام حاد وخبيث فى صفوف الشعب العراقى الغربى والكردى الموحد الذى يعيش فى الألوية الشمالية بالعراق «السليمانية ـ أربيل ـ كركوك «البترولية» باستثناء لواء الموصل «العربى الوطنى القومى» المتاخم للحدود السورية، وكان يقود أكراد العراق «المسلمين السنة» زعيم واحد هو الملا مصطفى البرزانى، ويقود فى نفس الوقت القوة المسلحة الكردية «البشمرجة» ولهم الجريدة الوحيدة الرسمية «خابات» التى تنطق باللغة الكردية. ونصب جلال الطالبانى قائداً للقسم الأول بعد الانقسام والذى كان فى الماضى الحارس الخاص للزعيم السابق الأوحد مصطفى البرزانى وكانت تربطنى به صداقة شخصية وكان يحمل دائماً على كتفيه سلاحين آليين، وقد سبق للزعيم البرزانى وحارسه زيارة السفارة المصرية وقد تم الترحيب بهما تعبيراً وتوثيقاً للعلاقة الطيبة بين الشعبين المصرى والعراقى الكردى. هذا وقد أراد القدر فى الماضى أن يتولى جلال الطالبانى رئاسة الجمهورية العراقية. أما القسم الثانى بعد الانقسام فقد تولى قيادته نجل مصطفى البرزانى مسعود البرزانى وقد نجحت القيادة الأمريكية فى زرع الصراع والخلاف الحاد الذى تطور إلى القتال بين جلال ومسعود وهكذا نجحت مخططات البيت الأبيض بالمساعدة والدعم «بالمال والسلاح» فى قتال نجل الزعيم الأوحد مع حارس والده الخاص؟! وكان المتصارعان يستقبلان الوفود من قبل «الدول: إيران ـ تركيا ـ إنجلترا ـ أمريكا» باستمرار ضماناً لتعميق النزاع واستمرار القتال وجاءت النهاية بالتئام الانقسام الكردى وانفراد مسعود بقيادة وإدارة كردستان العراق..

كما تم تحطيم كافة الأنشطة الحزبية وخاصة حزب البعث العربى الاشتراكى وكذلك كافة القيادات الوطنية، وظهر على السطح القيادات العراقية الجديدة فى الجيش والأمن الداخلى من العراقيين المؤمنين بالاحتلال الأمريكى، واضطر الرئيس صدام حسين للاختفاء فى أحد الكهوف الصحراوية خوفاً من بطش الأمريكان. ولا يفوتنى ذكر حرص قوات الاحتلال لإحاطة وزارة النفط بالقوات المكثفة حماية لها والسيطرة عليها، كما اقتحمت القوات المتحف الوطنى ونقل أهم الأعمال المعروضة «المعروفة مسبقاً والمسجلة بقوائم الخبراء» التى تعبر وتثبت جذور الحضارة البابلية والآشورية وتم تغليفها قبل نقلها إلى مطار بغداد لشحنها إلى أمريكا بهدف طمس معالم الحضارة والتراث العراقى الوطنى.

وأسفرت الجهود المكثفة عن معرفة الكهف الذى يختبئ فى أعماقه صدام حسين وتم تخديره قبل إخراجه، ولم تجد القيادة العسكرية موعداً لإعدامه شنقاً غير يوم وقفة عيد الأضحى المبارك لقهر المسلمين المحتفلين بالعيد والاستخفاف بالعقيدة الإسلامية، وأعلن مبعوث الرعاية السلطانية «المستر بريمر» الحاكم لدولة العراق المحتلة عن فرحته بكلمات ثلاث فقط «لقد وجدناه» «we got him» وقد سمعته شخصياً من خلال شاشة التليفزيون بالقاهرة، وقد تم تنفيذ القرار.

وأختتم كلمتى عن العراق بذكرى قاتمة ومعبرة عن رؤية الشعب العراقى، حيث قدم إلى العراق أحد سكان البيت الأبيض السابقين فى زيارة رسمية وإذا بمواطن عراقى «إعلامى» أراد أن يعبر عن مشاعره تجاه الضيف فى لقاء شعبى وإذ به يخلع حذاءه ويقذف به ليصيب الضيف ولكنه لم يوفق فى دقة التصويب وإصابة الهدف. وقد رأيت المشهد أيضاً بالتليفزيون المصرى.

فوجئت البشرية مؤخراً ومنذ عدة شهور بوباء وبلاء فيروس كورونا الذى أصاب البشرية فى القارات الخمس، وجاء أكبر عدد من الإصابات والوفيات وحتى الآن فى الشعب الأمريكى، ووجد رئيس أمريكا الحالى فى هذا الحدث الكارثى ما يضاف إلى تعميق العداء والاتهامات مع الصين واتهامها بأنها مصدر وصانعة الفيروس الذى عجز التقدم العلمى العالمى فى المجال الصحى والطبى وحتى الآن عن اكتشاف العلاج لهذا الداء بالرغم من التعاون والتنسيق الدولى إلى حد كبير فى مجال الأبحاث وحتى الآن، هذا بالإضافة إلى قرار إيقاف الدعم لمنظمة الصحة العالمية واتهامها بالتقصير فى أداء رسالتها وأخيراً عدم الاعتراف بها.

وجاء هذا الحدث الكارثى وعمّق من الإدراك بأن إعادة النظر فى ميثاق الأمم المتحدة يشكل ضرورة عاجلة ومهمة وإعادة النظر فى بعض القضايا وخاصة:

ـ حق الإنسان فى الحياة حق له تقديسه، والسلام والأمان والاستقرار حق للبشرية.

ـ الأغلبية المطلقة هو المبدأ الأمثل فى قاعدة التصويت كبديل عن حق الفيتو لبعض الدول فقط.

ـ الالتزام بالحلول السلمية التفاوضية والدبلوماسية فى حل المنازعات الدولية وعدم استخدام الأساليب العسكرية.

ـ احترام حق السيادة لجميع الدول الأعضاء وتثبيت الحدود السيادية وإيقاف التوسعات الاستيطانية.

ـ الالتزام باحترام الحضارات البشرية وشعوبها وعدم المساس بها.

ـ الالتزام بالتعاون الدولى فى التصدى للكوارث الطبيعية الدولية.

ـ الالتزام بتنفيذ القرارات والعقوبات الدولية وعدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الأخرى.

وختاماً أسأل الله القدير، المولى عز وجل، تطهير العقول والقلوب من الغطرسة والاستعلاء والبلطجة الدولية وذلك للإيمان.. واحترام حق الإنسان فى الحياة.. وعدم الاستخفاف بعقل الإنسان.

تقدمها ناديه الريس

رابطة زوجات الدبلوماسيين المصريين

وتستمر لقاءاتنا عبر الفضاء الافتراضى للشهر الثالث على التوالى برحلة إلى (عالم الضيافة)، قامت باستضافتنا فيها:

نائب مدير عام النادى الدبلوماسى المصرى إيناس هانم النقيب حرم سعادة السفير/ قدرى عبد المطلب.

وذلك على مدى خمسة أسابيع متتالية فى لقاءات استمرت 12 ساعة تقريباً، فى جهد ومثابرة عظيمة، استفادت منها عضواتنا استفادة كبيرة وسنكمل باقى الرحلة قريباً - إن شاء الله - دائماً بمساعدة الجندى المجهول والتى لا تألو جهداً فى الإعداد والترتيب لهذه اللقاءات الزميلة هبة هانم ماميش حرم سعادة السفير/ عمرو رمضان.

شكراً لكن باسم عضوات الرابطة وباسمى

ناديه الريس

رئيس رابطة زوجات الدبلوماسيين المصريين

رحلة إلى عالم الضيافة

إن فن الطهى هو فن رفيع يحتاج إلى حس مرهف وتقدير للجمال وتمكن بالتقنيات الحرفية إلى جانب الإلمام بالمبادئ الأساسية له. وفن الطهى مثله مثل الموسيقى والفنون المرئية لا يتوقف أبداً عن التطور. والشخص الذى يعد الطعام إنما يمارس نوعاً من فنون الطهى عند استخدامه تقنيات مختلفة فى إعداده ليقدم طعاماً شهياً، لذيذ المذاق وسهل الهضم. يعكس فن الطهى ومن ثمّ فن الطعام تاريخ وماضى المجتمع كما يسلط الضوء على ثقافته وحضارته. فالطهو يعبر عن عادات وتقاليد العصر الذى هو فيه ويمكننا من دراسة وتحليل المجتمع. ويعتبر فن الطهى مصدراً للإلهام وحافزاً لإحداث تغيير.

عبر التاريخ والقارات كان الطهاة يعدون ولائم الطعام العامرة للمناسبات المختلفة الدينية منها والاجتماعية لإشباع رغبات الملوك والأثرياء وذوى السلطة والجاه. فكان ينظر إلى كرم الضيافة أنه فضيلة كبرى بل ويتحدد مركز نبيل من النبلاء بكرم ضيافته وجودة الطعام وتميز الطاهى. مع نشأة طرق التجارة وطريق التوابل مع الهند أصبحت إيطاليا مركز نشاط الطهى فى أوروبا وازدهرت بها أنشطة وفنون الطهى. لم تكن فرنسا على خريطة الطهى ولم تكن الأطعمة والمشروبات الفرنسية بالشهرة التى عليها الآن. إنما تفوق المطبخ الإيطالى على الفرنسى وكانت لدى الطهاة الإيطاليين خبرات تفوق من دونهم. وفى أوائل القرن السادس عشر انتقلت كاثرين دى ميديتشى من فلورنسا إلى فرنسا لتتزوج من هنرى الخامس الذى أصبح ملك فرنسا. وأخذت معها طاقم الطهاة الذين أبدعوا فى الولائم التى كانت تقيمها للفرنسيين. أدخل الطهاة الإيطاليون تعديلات على كثير من الطعام الفرنسى باستخدام مهاراتهم وحرفيتهم. وصار الفرنسيون ينظرون إلى الشيفات الكبار نظرة تقدير واحترام، وبدأ الفرنسيون يلمعون فى عالم الطهى.

فى بدايات القرن التاسع عشر وصل «المطبخ الكبير» إلى قمة الكمال على يد أنطونان كاريم تميز هذا المطبخ بتقديم وجبات من عشرات الأصناف المعقدة والمجهزة بتفاصيل كثيرة. فى أواخر القرن التاسع عشر لمع اسم جديد فى عالم الطهى ألا وهو أغسطس إسكوفييه. يعد إسكوفييه أحد الأساتذة الكبار فى المطبخ الفرنسى الذى أبدع «المطبخ الكلاسيكى» حيث نقح وهذب وأصقل المطبخ الكبير. كما وضع إسكوفييه التخطيط والتنظيم لأقسام المطبخ المختلفة والتى هى أساس المطبخ الاحترافى المتخصص حتى الآن. وفى منتصف القرن العشرين أدخل فيرناند بوين «المطبخ الجديد» الذى أخذ الصيحة إلى الأطعمة الخفيفة والمنكهة طبيعياً والأبسط فى طرق الإعداد والتقديم.

شهد أواخر القرن العشرين ثورة فى عالم الطهى ومع انفتاح العالم فى عصر التكنولوجيا والتقدم العلمى إلى جانب التعرف على ثقافات الشعوب المختلفة وتقاليدها فى طقوس الطعام، وكذلك حركة الهجرة القوية بين الشعوب وعبر القارات كل ذلك أنتج لنا فنون طهى حديثة مثل المطبخ الاندماجى والمطبخ الأصيل والعرقى بل وفن الطهى الجزيئى الذى يستعين بالعلماء ويستنير بالكيمياء لمعرفة كيفية تفاعل الأطعمة إلى جانب استخدام تقنية عالية جداً.

كان لقوائم الطعام أيضاً نصيب من التطور والتغيير، ففى أواخر القرن السابع عشر كانت قوائم الطعام التى تقدم فى قصور الملوك وبيوت النبلاء تحتوى على

ايناس هانم النقيب

هبه هانم ماميش

سبعة أطباق، وبكل طبق من صنفين إلى ستة أصناف مختلفة أى كان يقدم ما يقرب من ثلاثين صنفاً مختلفاً من الطعام. ثم فى أواخر القرن التاسع عشر كانت الأصناف الموجودة على قائمة الطعام الكلاسيكية الكاملة تقدم ثلاثة عشر صنفاً. ومع تركيب قائمة الطعام العصرية اختصرت القائمة لتقدم من ثلاثة إلى ستة أصناف فقط.

ينقسم عالم الطهى إلى مجالين رئيسيين. المجال الأول هو التأهب لعملية الطهى، والثانى عملية الطبخ نفسها. ويخدم المجال الأول الثانى ويعتبر تمهيداً له. ويندرج تحت مجال التأهب بنود كثيرة من ضمنها السلامة والصحة المهنية وأساسيات العمل فى المطبخ وسلامة الأغذية، ومن ضمن ما يندرج تحت بند الطبخ تقنيات الطهى والنكهات ومكسبات النكهة وغيرها.

أهم شئ هو صحة وسلامة الإنسان سواء الذى يعد الطعام أو الذى يستهلكه. لذلك يقع على عاتق من يقف بالمطبخ سلامته وسلامة من يقف معه وكذلك سلامة الغذاء الذى سيقدم للمستهلك. ولن نسترسل فى جزئية السلامة والصحة المهنية وما تتضمنها من تعلم ومعرفة للمخاطر التى يمكن أن يتعرض لها مثل الحرائق إلى جانب دراسة الإسعافات الأولية. وكلها أمور يتعين على من يقف بالمطبخ أن يدرسها ويكون ملماً بها وعلى علم تام ودراية بكل جوانبها. خاصة إذا كان المطبخ مهنته بخلاف الهاوى أو سيدة المنزل اللذين يتعين عليهما فقط معرفة سطحية لهذه الأمور.

وكنا قد تطرقنا فى لقاءاتنا الأسبوعية عبر تطبيق زووم إلى سلامة الأغذية وكيف أن هناك خمسة عناصر تؤثرعليها فيصبح الطعام غير آمن. تأتى فى مقدمتها المخاطر التى يتعرض لها الطعام سواء كانت مخاطر فيزيائية أو مخاطر كيميائية أو مخاطر حيوية وهو عالم الميكروبات غير المرئى. وعالم الميكروبات واسع وكبير ولكن استطعنا أن نمر سريعاً على الفطريات والعفن والطفيليات والحويصلات والفيروسات والبكتريا وما يتميز به كل منها والخطر من ورائها. ومن المخاطر الأخرى عاملا الوقت والحرارة وكيف أن المشكلة تكمن فى عدم استخدام الوقت بالطريقة السليمة السريعة فى وجود درجة حرارة غير مناسبة (5م - 60م). واستعرضنا وسائل الحفاظ على عامل الوقت والحرارة أثناء إزالة التجميد من الطعام وكيفية تحضير الطعام الآمن إلى جانب تبريده وحفظه ثم إعادة تسخينه بالطرق الآمنة. ويعد التلوث العكسى من المخاطر التى لا يمكن تجاهلها وكيف يمكن للعدوى أن تنتقل وكيفية منع حدوث التلوث العكسى. وأخيراً وليس آخراً النظافة الشخصية وأهمية أن يكون مظهر من يعمل بالمطبخ مهنداً. وذكرنا أهمية غسل اليدين خاصة فى مواقف خمس رئيسية وهى: بعد استخدام الحمام، وبعد معالجة الفضلات، وبعد لمس أى شئ غير نظيف، وبعد العطس أو مسح الأنف، بين التعامل مع طعام نيئ وآخر مطبوخ. وعلينا ألا نغفل مسببات الحساسية عند بعض الأشخاص والتى يمكن أن تودى بحياتهم عند تناولها وأشهرها الفول السودانى والقشريات إلا أن هناك بعض المكونات الأخرى البسيطة مثل الكرفس قد تكون أيضاً سبباً لحساسية القليل منهم.

فى أساسيات العمل بالمطبخ ناقشنا الطرق السليمة والشروط الصحية التى يجب اتباعها عند شراء أو استلام البضاعة كذلك شروط وأنواع التخزين سواء الجاف أو التبريد أو التجميد. كما عرضنا أهمية وكيفية اختيار أدوات ومعدات وأجهزة المطبخ وما يجب مراعاته لاتخاذ القرار السليم عند شرائها. وسلطنا الضوء على خطورة النظافة وضرورة المواظبة عليها بشكل دورى، وكيف أن النظافة هى العدو الأول للجراثيم وما يجب مراعاته قبل وأثناء عملية النظافة من تحديد أنواع الأسطح وأنواع الاتساخ وعليها اختيار المادة المناسبة للتنظيف وكيفية التعامل مع هذه المواد الكيماوية.

الطهى هو انتقال الطاقة من مصدر حرارى إلى الطعام فيتغير التركيب الجزيئى له وبالتالى يتغير ملمس وقوام ونكهة ورائحة ومظهر هذا الطعام. تنتقل الحرارة إلى الطعام بثلاث طرق: التوصيل وهو انتقال الحرارة من جسم لآخر من خلال التلامس المباشر. الحمل وهو انتقال الحرارة من خلال سائل أو غاز. الإشعاع حيث تنتقل الطاقة بواسطة موجات حرارية أو ضوئية يتم تسليطها على الطعام. ماذا يحدث للطعام عندما يتعرض لهذه الطاقة الحرارية؟ نعلم أن الأغذية تتكون من البروتينات والكربوهيدرات والماء والدهون بالإضافة إلى بعض الأملاح المعدنية والفيتامينات. تتخثر البروتينات عند تعرضها للحرارة، ويتحول النشا إلى جيلاتين، فيما تتكرمل السكريات ويتبخر الماء وتذوب الدهون.

توجد ثمانى عشرة طريقة رئيسية لطهى الطعام وتنقسم إلى ثلاث مجموعات. المجموعة الأولى يكون الطهى عن طريق الحرارة الجافة ويستخدم فيها الهواء أو الدهن وتكون لها نكهة قوية مفضلة نتيجة للتحمير الذى يحدث لأسطح الطعام الخارجية وتحتوى على عشر طرق منها الشواء المباشر والخبيز فى الفرن. المجموعة الثانية يتم بها الطهى عن طريق الحرارة الرطبة مستخدماً الماء أو بخار الماء وينتج عنه طعام طرى يسهل مضغه ومن ثم هضمه، ويقع تحت هذه المجموعة ست طرق مثل السلق والطهى على البخار. أما المجموعة الأخيرة فتحتوى على طريقتين وتستخدم عادة الحرارة الجافة كخطوة أولى للطهى ثم تستكمل بالحرارة الرطبة مثل الطهى فى الطواجن.

إلى اللقاء فى محطة جديدة من رحلتنا نستعرض فيها كيفية تخطيط قوائم الطعام وإعداد البوفيهات.

منظمة الإيجاد الإفريقية ..... مصر الأمل والعدل والعمل النبيل

النشأة والأهداف:

وقعت ست دول إفريقية هى جيبوتى وإثيوبيا وكينيا والصومال والسودان وأوغندا على اتفاق إنشاء الهيئة الحكومية لمقاومة الجفاف والتصحر The Intergovernmental Authority on Drought and Development (IGADD)) فى أديس أبابا عام 1986، ثم انضمت إريتريا عام 1993 عقب استقلالها عن إثيوبيا.

وكان ذلك فى أعقاب حالة الجفاف التى أصابت الدول الست المؤسسة للمنظمة، ثم رؤى عام 1996 تغيير اسمها إلى الهيئة الحكومية للتنمية(IGAD) ، وعلى الرغم من أن هدف إنشاء تلك المنظمة هو تنسيق جهود الدول الأعضاء فى مجال مكافحة الجفاف والتصحر، إلا أنه بتوالى عقد الاجتماعات تبين أن الهيئة صارت منتدى يجتمع فيه الرؤساء والمسئولون يستطيعون من خلاله بحث التحديات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى تواجه دول المنظمة، ومن ثم رؤى التوسع فى وظائف الهيئة تلك المنظمة الدولية المهمة سعيًا للتوصل إلى حلول للمشاكل التى قد تتعرض لها دول المنظمة، وهو ما يصب لمصلحة شعوبها فى حاضرهم ومستقبلهم.

نبذة من ديباجة اتفاق إنشاء الهيئة:

تضمنت ديباجة (مقدمة) الاتفاق بعض الخطوط العريضة لأهداف الهيئة وهى:

تستذكر الدول الأعضاء روابط الأخوة والتعاون المثمر الموجود بين الشعوب والحكومات، وإدراكًا لأوجه التشابه فيما بينها، وتحديات الحاضر والمستقبل، وإمكانيات الاعتماد المتبادل، إضافة لعوامل التكامل الكبير فى الثروات الطبيعية التى تملكها الدول الأعضاء.

وإذ تعبر الدول الأعضاء عن اقتناعها بقدرة قارة إفريقيا على مواجهة التحديات من أجل دعم وتنمية الاقتصاد المستدام، وقدرة القارة على المنافسة فى مجال الاقتصاد العالمى اعتمادًا على قدرتها الذاتية الجماعية، وحشد القدرات الاقتصادية والموارد البشرية، واتخاذ الترتيبات المناسبة بما يتفق مع المعاهدة المنشئة للجماعة الاقتصادية الإفريقية.

كما أن اتفاقية إنشاء الإيجاد تسير على خطى أهداف معاهدة السوق المشتركة لدول شرق وجنوب إفريقيا المعروفة اختصارًا بالكوميسا.

وأنه إدراكًا من الدول الأعضاء لمسئوليتها عن الأمن الاقتصادى لشعوبها، وأن التنمية الاقتصادية سوف تسهم من جانب آخر عن إنجاز ميثاق الأمم المتحدة والاتحاد الإفريقى.

كما أن الدول الأعضاء عاقدة العزم على تجميع الجهود لمكافحة الجفاف والكوارث الطبيعية أو التى تحدث بفعل الإنسان.

وأن الدول الأعضاء تستلهم الأهداف النبيلة فى ترقية السلام والأمن والاستقرار وإزالة كل مصادر النزاع ومنع وتسوية

سفير أحمد زين

AhmedZein@live.com

المنازعات فى الإقليم.

ومن بين الأهداف المنصوص عليها فى اتفاقية إنشاء الهيئة:

- صون السلام والأمن والاستقرار الإقليمى.
- المشاركة العادلة والمتبادلة للمنافع عن طريق التعاون المشترك.
- العمل على ترقية حماية حقوق الإنسان والشعوب بما يتفق مع ميثاق حقوق الإنسان والشعوب الإفريقى.
- ترقية إستراتيجية التنمية المشتركة وتنسيق السياسات الاقتصادية النامية والبرامج الاجتماعية فى المجالات العلمية والتكنولوجية.
- تنسيق السياسات فى مجال التجارة البينية والجمارك والنقل والاتصالات والزراعة والموارد الطبيعية وتنمية حرية حركة البضائع والخدمات والشعوب.
- تهيئة بيئة مواتية للتجارة الداخلية والخارجية والعابرة للحدود والاستثمار.
- تحقيق أمن غذائى إقليمى وتشجيع ومساعدة الدول الأعضاء على المكافحة المشتركة للجفاف والكوارث الطبيعية أو البشرية الأخرى.
- عمل برامج ومشروعات للتنمية المستدامة للموارد الطبيعية وحماية البيئة.
- تنمية وتحسين بنية تحتية خاصة فى مجالات النقل والطاقة.
- تنمية أية أنشطة أخرى تقررها الدول الأعضاء، تنفيذًا لأهداف إنشاء تلك الهيئة.
- ومن بين أهم أهداف عمل جمعية رؤساء الدول وحكومات الدول الأعضاء (الهيئة الرئيسية التى تضم رؤساء الدول الأعضاء)، وضع الخطوط العريضة الإرشادية للمسائل السياسية المهمة خاصة منع وإدارة وحل المنازعات.
- دعم الأنشطة الإنسانية ومتابعة الشئون الأمنية والسياسية وكذلك متابعة جهود منع المنازعات وجهود بناء السلام بعد انتهاء المنازعات.

مصر الأمل والعدل والعمل النبيل:

نظرًا لأهمية منظمة الإيجاد ووجود جميع الدول المطلة على الساحل الإفريقى للبحر الأحمر، (السودان وإريتريا وجيبوتى والصومال) أى أن مصر هى دولة البحر الأحمر الإفريقية التى ليست عضوًا كامل العضوية بالإيجاد، وللروابط العميقة الجذور والدبلوماسية العامة المصرية والمساندة المعنوية وصولًا إلى ما يمكن أن نطلق عليه الدبلوماسية العسكرية فى منتصف القرن التاسع عشر، وامتدادًا تاريخيًا من علاقات متجذرة إلى ما قبل الميلاد أكدتها رسوم المعابد المصرية، والعلاقات الرائعة لمصر السلام والحضارة والأمن والأمان مع دول وشعوب ساحل البحر الأحمر الإفريقى، فقد سبق أن تقدمت سفارة جمهورية مصر العربية فى جيبوتى (دولة المقر) (كما تقضى معاهدة إنشاء الهيئة من إجراءات طلب أية دولة الرغبة فى الانضمام لعضوية الهيئة) فى عام 2004، وقد قيل لى إن دولة ما عضو بالهيئة لا توافق، وحيث تشترط الاتفاقية موافقة جميع الدول الأعضاء بالإجماع على طلب أية دولة بالانضمام، وكأن المنظمة (الهيئة) ناد مغلق على بعض الدول، بينما منظمات إقليمية أخرى كالكوميسا تكتفى بأن ترشح لدولة طالبة الانضمام دولة تكون عضواً بالكوميسا وتكون دولة جارة للدولة طالبة الانضمام، وفيما يبدو قبلت مصر عضوًا بصفة مراقب.

لقد قيل إنه كانت هناك مساع دبلوماسية عند بداية إنشاء الهيئة لطلب انضمام مصر، وقيل فى رد الاعتذار وقتها أن الهيئة أنشئت للدول التى عانت من الجفاف والتصحر، ولم يكن ذلك كافيًا للإقناع باعتذار عدم قبول عضوية مصر، ولكن بدا الاعتذار غير مقبول بالمرة بعد أن تحول دور الهيئة ليضاف إليه مساعى السلام فى كل من السودان الجار والذى انتهى بانفصال الجنوب، كما أن للهيئة دور فى محاولة إحلال السلام فى الصومال الشقيق، الذى تتهمه بعض الدوائر الغربية بأن به قراصنة، وما هم بقراصنة.

الصومال رمانة ميزان سلام القرن الإفريقى بل شرق إفريقيا عامة:

تمثل الصومال أهمية كبيرة لقارة

إفريقيا عامة وشرق إفريقيا خاصة، ومصر بصفة خاصة، إن كلتا الدولتين وعلى مر الزمان كانتا ولاتزالان تربطهما وشائج الحضارة العريقة وميزان السلام والأمن وضبط إيقاع الحياة فى شرق القارة عموماً منذ الأزل، ولن يتحقق الأمن فى شرق القارة ولن تمنع الظروف الحالية أى شطط إقليمى من أية دولة فى شرق إفريقيا إلا بعودة السلام والوئام ولن تستطيع دولة أن تحقق ذلك فى الصومال إلا مصر منفردة شفافة بدبلوماسيتها الفريدة وبثقة شعب الصومال بها.

تشغل الصومال مساحة ستمائة وثمانية وثلاثين ألف كيلومتر مربع أى ما يساوى عدداً لا بأس به من الدول الأوروبية التى سادت العالم جبرًا وقسرًا وظلمًا وعدوانًا.

تشغل الصومال مساحة من الساحل البحرى الكبير ثلاثة آلاف وخمسة وعشرين كيلومترًا مربعًا تنقسم إلى ألف ومائة كيلو متر مربع على البحر الأحمر فى جزئية ساحل خليج عدن وألف وتسعمائة وخمسة وعشرين كيلومترًا على ساحل المحيط الهندى، وبعدد سكان عشرة ملايين نسمة. وبأنهار شبيلى وجوبا وخيرات عديدة وحوض كل منهما حوالى نصف مليون كيلومتر مربع.

وأجد من الأمانة الدبلوماسية المصرية أن أشير إلى ما يلى:

1 – سبق أن ذكر لى وزير تموين صومالى سابق فى عهد الرئيس محمد سياد برى رئيس الصومال سابقًا، وكان ذلك الوزير الصومالى السابق يعمل مستشارًا اقتصاديًا بديوان حاكم إمارة الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة عام 2000، أن الرئيس سياد برى عاد من زيارة رسمية لمصر يناير عام 1973، وأصدر تعليماته بضرورة شحن كميات من اللحوم الصومالية إلى مصر وأنه أى الوزير حاول إثناءه بسبب أن الاتحاد السوفييتى (وقتها كان قد تعاقد على كمية لحوم ولكن الرئيس الصومالى أصر على أوامره فحاول الوزير إثناءه بأن الاتحاد السوفييتى سيلجأ إلى التحكيم الدولى، فصاح الرئيس سياد برى بالأهمية العاجلة لإرسال اللحوم الصومالية لمصر، معقبًا بأنه يشعر كرجل عسكرى بأن الرئيس السادات سيحارب، وأن هذه كانت إحدى لوجستيات حرب أكتوبر، فعقبت بأن هذه صفحة مضيئة من تاريخ العلاقات بين الدولتين يجب أن ترددها الأجيال فى الدولتين حتى نهاية الحياة.

2 – سبق أن قال لى قائم بأعمال السفارة الصومالية بجيبوتى سابقًا وهو فى نفس الوقت نجل نائب رئيس صومالى سابق. إن مصر هى الدولة الوحيدة التى يثق بها شعب الصومال وأن الله اختص مصر بتلك الصفة وأن كلًا من إثيوبيا وكينيا لن تعملا على إحلال السلام بالصومال فكل من الدولتين اقتطعتا جزءًا من أراضى الصومال من قبل فى عهد الاحتلال البريطانى. وأن كلتا الدولتين ليس من مصلحتهما أن تنعم الصومال بالسلام.

3 – نفى سفير الصومال بجيبوتى سابقًا لى أن الصوماليين قراصنة، مشيرًا إلى أن القراصنة هم المعتدون الذين يهاجمون شواطىء الصومال ويسرقون الأسماك، ويستخدمون سفنًا تقف خارج المياه الإقليمية ثم تستخدم معدات تحت سطح البحر تقوم بسحب الأسماك من داخل المياه الإقليمية.

جدير بالإشارة أنه بالاطلاع على كتاب «تاريخ القرصنة فى العالم» تأليف السيد ياتسيك ماخوفسكى، يتبين أن القرصنة بدأت فى أوروبا وأمريكا ولم تكن الصومال أبدًا قراصنة، كما أن ما تناولته اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار عن القرصنة تم بشكل مبتسر ومخل ولا يحقق المعنى المقصود ولم يربط كما ينبغى بين القرصنة وفكرة العدوان.

4 – سبق أن ذكر لى سفير الصومال بجيبوتى سابقًا رحمنا ورحمه الله محمد سبان نور أنه عندما حدث إعصار تسونامى فى شواطىء آسيا خرجت براميل من المحيط الهندى على شواطىء الصومال مليئة بنفايات نووية ألقتها دول نووية على شواطىء الصومال وأدت إلى كوارث بيئية يندى لها جبين الإنسانية إذ أدت إلى إصابة كائنات بحرية مثل السلاحف بالعمى وأخذت تتخبط بالجدران لا ترى حتى تعود للمياه وأثرت تلك النفايات على البيئة البحرية والبرية الملاصقة لها بالمخالفة للقانون الدولى للبيئة فمن هم القراصنة حقًا، الذين ألقوا بالنفايات أم هم الذين يعيشون على سواحل الصومال وعانوا ويعانون من النفايات النووية وغيرها.

5 – إن أهداف اتفاقية منظمة الإيجاد، عملت مصر على تحقيق الكثير منها ومنذ أكثر من قرنين على الرغم من أن مصر ليست عضوًا كاملًا بتلك المنظمة، وبشهادة أوروبيين مثل الرحالة الألمانى هلد براند فى كتاب بعث به إلى رئيس الجمعية الجغرافية المصرية عام 1875 قال فيه أنه لا توجد أمة أصلح من مصر لرفع مستوى المدنية فى إفريقيا، وكذلك بولتشكا النمساوى كما أورده كتاب: «مصر فى إفريقيا الشرقية هررو زيلع وبربرة» الذى نشرته الهيئة العامة لقصور الثقافة عام 2019.

6 – حضر إلى زيارتى أثناء فترة عملى سفيرًا لمصر بجيبوتى جنرال سابق بالجيش الصومالى، وقال لى أنه كان بجانب السفير المصرى الشهيد كمال الدين صلاح، والذى كان عضوًا بوفد مصر الدائم بالأمم المتحدة والذى سعى للمخاطرة بالمجىء مع وفد لجنة الأمم المتحدة لتصفية الاستعمار استعدادًا لنيل الصومال استقلالها، حيث قال لى الجنرال الصومالى أن الشهيد والذى يتصدر تمثاله النصفى مدخل مبنى وزارة الخارجية مبنى قصر البستان، كان قد أدى دورًا جليلًا مزيدًا على دوره كمبعوث للأمم المتحدة إلى دور تنويرى بالسعى لمساعدة شعب الصومال على تعلم اللغة العربية وإنشاء المستشفيات وأن المجهولين الذين اغتالوه أرادوا أن يقطعوا الصلة بين مصر والصومال ولن يساعدهم الله فى تحقيق ذلك.

7 – لقد أورد الأستاذ الدكتور جلال يحيى فى كتابه عن الوجود المصرى فى شرق إفريقيا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر أنه عندما غادر المصريون شرق إفريقيا تركوا مستشفيات وقصورًا وبيوتًا ومخازن مليئة بالغلال، ومن المشاهد التى تدل على قوة الصلة بين المصريين والصوماليين أن كثيرًا من الصوماليين أمسكوا بألجمة خيول الفرسان المصريين يسألونهم البقاء لكى يحلوا المشاكل البينية البسيطة ويعملوا على إحلال الأمن فى شرق إفريقيا، وقد استرجعت من مشهد إمساك بعض المواطنين ألجمة خيول الضباط المصريين وألا يتركوهم، بالمشهد النورانى التاريخى الفريد عندما أمسك النبى محمد صلى الله عليه وسلم بزمام ناقة عمه أبى طالب وهو متوجه إلى رحلة تجارة قريش إلى الشام فى الصيف، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لمن تتركنى يا عم بعد أن مات أبى وأمى وجدى عبدالمطلب فترقرقت عينا أبى طالب بالدموع وقال قولته الشهيرة يا محمد والله لن فارقك ولن تفارقنى حتى آخر عمرى، ومن بين الوفاء الفريد بالعهد من أبى طالب أنه عندما ظلمت قريش النبى محمدًا وفرضت الحصار عليه وعلى المسلمين، لم يقبل أبو طالب أن يظل بمكة ويترك النبى محمدًا صلى الله عليه وسلم بل ظل معه لم يفارقه وعانى من الحصار حتى الموت، ومن وحى ذلك أدعو الله أن تقول مصر وتؤكد للصومال أنها ستظل بجانبها ولن تفارقها ولن تتركها لأية دولة أخرى، لأن مصر هى الدولة الوحيدة منفردة وليس معها أحد لا دولة أخرى ولا منظمة دولية أو إقليمية، هى التى ستساعد وتأخذ بيد الدولة الشقيقة.

وأختتم بأن أقول إن عضوية مصر الكاملة بمنظمة الإيجاد ضرورة إستراتيجية لكل الأطراف، وستدفع بعمليات التنمية والأمن والسلام، فضلًا عن استخدام خبرات مصر فى شق الطرق والمواصلات لإيجاد طريق ساحلى على ساحل البحر الأحمر الإفريقى مما سيدفع بالعلاقات التجارية وصلات التعاون بين الدول الإفريقية الخمسة المطلة على البحر الأحمر وتغيير وتطوير مسار الحياة فى تلك الدول.

المراجع :

- اتفاقية إنشاء منظمة الإيجاد.
- مصر فى إفريقيا الشرقية (هرر وزيلع وبربرة) – د. محمد صبرى.
- كتاب «تاريخ القرصنة فى العالم» – ياتسيك ماخوفسكى – ترجمة د. أنور محمد إبراهيم – الهيئة المصرية العامة للكتاب 2008.
- كتاب إفريقيا دراسة فى الجغرافيا الإقليمية ا. د محمد خميس الزوكة أستاذ الجغرافيا الاقتصادية -كلية الآداب جامعة الإسكندرية.

مخطط الضم الإسرائيلى: القنص فى الفراغ

وسط صفيح ساخن تتقلب عليه دول الشرق الأوسط قاطبة ما بين تحديات مختلفة لعل آخرها، وهو تفشى وباء كورونا، ليس بأخطرها أو أكثرها تأثيرًا فى أوضاع هذه الدول. وهنا لن نسرد قائمة الدول وأنواع التحديات والتهديدات المحيطة بها والمتجذرة فى بنيتها لأن هذا الأمر أصبح لدى المطلعين على خارطة الشرق الأوسط إن صح التعبير من الأبجديات البديهية.

ميسا جيوسي

حرم سكرتير أول جمال عطا

أما على الجانب الآخر من هذا المشهد المضطرب تسارع إسرائيل فى سباق مع الزمن تقتنص فيه الفرصة تلو الأخرى لاستغلال الفراغ المتصل بانشغال المحيط الشرق أوسطى والساحة الدولية قاطبة فى قضايا متعددة الجوانب والتبعات، تجعل من تجاوزات إسرائيل للقانون الدولى موضوعاً قد لا يبدو ملحاً على جدول الأولويات الدولية، لتفرض على الأرض كما اعتادت منذ قيامها سياسة الأمر الواقع.

لكن ما قد يميز خطورة هذه المرحلة هو أن إسرائيل بدأت بفرض الأمر الواقع بشكل عملى فظ فى قضايا ما عرف بقضايا الحل النهائى والتى تشمل القدس والحدود واللاجئين والمياه. وهى قضايا تم الاتفاق على تأجيل النظر فيها لمرحلة أخيرة من مراحل اتفاق إعلان المبادئ. وقد ألقى الانشغال الدولى والإقليمى بقضايا مفصلية وملحة أخرى بظلال ثقيلة على القضية الفلسطينية أدت إلى تراجع الاهتمام بقضية فلسطين لتسجل اعتراف الدولة العظمى بالقدس، كل القدس، كعاصمة لدولة إسرائيل اليهودية الصبغة، بما يتنافى وكل القوانين الدولية والقرارات والاتفاقات المتصلة بوضع المدينة المقدسة. وتلا ذلك على الفور نقل سفارة الولايات المتحدة الأمريكية إلى القدس. مر الأمر كزوبعة فى فنجان العلاقات الدولية والدبلوماسية، وحاولت السلطة الفلسطينية بدعم من جامعة الدول العربية والدول الصديقة حشد الدعم لوقف اعتراف دول أخرى بالقدس كعاصمة لدولة إسرائيل. لكن ذلك لم يمنع عدداً من الدول من اللحاق بركب الولايات المتحدة الأمريكية.

اليوم تهرول الحكومة الإسرائيلية فى سباق مع الزمن مرة أخرى، ولكن هذه المرة مع قرب انتهاء الفترة الرئاسية الأولى للرئيس الأمريكى «دونالد ترامب»، والتى يمكن وصفها بالولاية الذهبية فيما يتعلق بمصالح إسرائيل، لتطل إسرائيل على العالم مرة أخرى معلنة ما تبناه حزب الليكود اليمينى بشأن مستقبل الضفة الغربية وهو ما يعرف بقرار الضم. وهذه ليست المرة الأولى فى التاريخ التى يسعى بها المحتل لبسط نفوذه بشكل غير قانونى ومعناه الحيازة القسرية لإقليم دولة واحدة من قبل دولة أخرى. وهى عمليّة مختلفة عن الغزو، والذى يشير إلى الاستحواذ والسيطرة على الأراضى التى تنطوى على تغيير فى السيادة، ويختلف عن التنازل، حيث يتم إعطاء الأرض أو بيعها من خلال معاهدة، لأن الضمّ هو عمل انفرادى حيث يتم الاستيلاء على الأراضى واحتجازها من قبل دولة واحدة. وعادةً ما يتبع الاحتلال العسكريّ لإقليم ما، وهى ليست المرة الأولى التى يحصل بها هذا الشكل من الاستيلاء على أراضى الدول بقوة السلاح لا المنطق والحق والقانون. فحزب الليكود صاحب طرح الضم، لا يختلف وأيا من نهج الأحزاب السياسية اليمينية الإسرائيلية التى تتبنى موقفاً يتسم بالتعنت فيما يتعلق بالوصول إلى أية تسوية سياسية تعتمد على حل الدولتين الذى يتضمن إقامة دولة فلسطينية تعيش بسلام إلى جانب إسرائيل وهو الحل المرجعى الذى اعتمده المجتمع الدولى لحل أحد أقدم النزاعات فى العالم حيث يحصل الفلسطينيون من خلاله على دولة بحدود عام 1967 والقدس الشرقية عاصمة لها وبإيجاد حل «عادل» لقضية اللاجئين. فى المقابل ترفض التيارات اليمينية الإسرائيلية هذا الحل، تماماً كما ترفض حل الدولة الواحدة لأنها ترى بهذا انتهاء لحلم الصهيونية بإقامة دولة قومية يهودية العرق والمنشأ. وبنظر هذه الأحزاب فإن الوجود الفلسطينى على الأراضى المحتلة أو حتى فى الداخل الإسرائيلى يمثل تهديداً ديموغرافياً يضع حلم يهودية الدولة فى خطر.

هنا وبعد عقود من إنشائها وفقاً لاتفاق أوسلو، تقف السلطة الفلسطينية بقيادتها فى مواجهة التعنت الإسرائيلى المدعوم أمريكياً والذى يقوض كل حلم بإقامة الدولة. ومن المنطقى القول بأنه قد لا يبدو أمام السلطة الفلسطينية الكثير من الخيارات فى مجال مراوغة القرار الإسرائيلى والحصول على وقت يمكنها من مواجهة هذا المد الإسرائيلى العارم إلا بالاستناد إلى الركائز التالية لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من أراضى فلسطين المحتلة عام 1967.

بإمكان السلطة الفلسطينية استخدام المنحى القانونى بالاستناد إلى الرأى الاستشارى الصادر عن محكمة العدل الدولية حول قضية قانونية الجدار؛ تلبية لطلب الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ 3/ 12/ 2003، والذى رفضت إسرائيل التعاون بشأنه؛ مدعية عدم وجود صلاحية للمحكمة للبحث فى هذه القضية، وأن إطار بحث هذه القضية هو «العلاقات الثنائية ما بينها وبين الفلسطينيين» وذلك للتنصل من أى التزامات دولية ترغمها على إحقاق الحق. كذلك بإمكان السلطة الفلسطينية عدم إغفال الدور الذى بالإمكان أن تقوم به المحكمة الجنائية الدولية فى ملاحقة قادة الاحتلال والتحقيق فيما يدور على الأرض من انتهاكات إسرائيلية ترقى لحد جرائم الحرب كما ورد على لسان المدعية العامة فى المحكمة الجنائية الدولية «فاتو بنسودة» التى قالت فى ديسمبر من العام المنصرم: «لديّ قناعة أن هناك جرائم حرب، ارتكبت أو ما زالت ترتكب فى الضفة الغربية، بما يشمل القدس الشرقية وفى قطاع غزة». وهنا ستكون قضية الضم ليست بمعزل عن السياسات الإسرائيلية الممنهجة للتنكيل بالفلسطينيين وحرمانهم من أبسط حقوقهم فى الحياة بدولة ذات سيادة على أراضى 1967 وعاصمتها القدس الشرقية.

ولا مجال للشك فى أن فلسطين ككيان سياسى أصبحت أمراً واقعاً باعتراف أغلبية أعضاء الأمم المتحدة، إن تحظى باعتراف. ولا بد وأن نستذكر فى هذا الشأن قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة 67/ 19 لرفع مستوى تمثيل فلسطين إلى دولة غير عضو بصفة مراقب، والذى كان اعتماده يوم 29 نوفمبر 2012 ذا دلالة رمزية لا تخطئها عيون المراقبين. وكذلك قرار مجلس الأمن قرار 2334 الصادر فى 23 ديسمبر 2016 الذى وصف إسرائيل صراحة بقوة الاحتلال، وأدان سياستها الاستيطانية، ودعم رؤية إنشاء دولة فلسطينية إلى جوار إسرائيل، وميز صراحة بين أراضى دولة إسرائيل والأراضى التى احتلتها إسرائيل عام 1967 متضمنة القدس الشرقية.

المعركة الدبلوماسية:

وجنباً إلى جنب والمعركة القانونية على قيادة السلطة الوطنية الفلسطينية العمل

على فتح جبهة من العمل الدبلوماسى السريع والمكثف والجاد لمواجهة هذه الخطوة الإسرائيلية الخطيرة. مستندين إلى تصريحات صدرت عن مسئولى ورؤساء دول قوية فى الإقليم والعالم بأسره. فقد أصدر وزراء خارجية كل من مصر والأردن وألمانيا وفرنسا بياناً مشتركاً تلا اجتماعاً افتراضياً شددوا فيه على أن ضم إسرائيل لأراض فلسطينية محتلة سيكون خرقاً للقانون الدولى، ويعرّض الأسس التى قامت عليها العملية السلمية للخطر كما شدد الوزراء فى البيان على عدم الاعتراف بأى تغييرات على خطوط الرابع من حزيران/ يونيو للعام 1967 ما لم يتفق عليها طرفا النزاع. واتفق المشاركون على أن مثل هذه الخطوة سيكون لها تبعات خطيرة على أمن واستقرار المنطقة، وتشكل عقبة رئيسة أمام الجهود المستهدفة تحقيق السلام الشامل والعادل، وانعكاساته على العلاقات مع إسرائيل، مؤكدين التزامهم الثابت بحل الدولتين وفق القانون الدولى، وقرارات الأمم المتحدة ذات الصلة.

أما باريس فقد أصدرت بياناً صحفياً بعيد الاتصال الهاتفى بين الرئيس الفرنسى ماكرون برئيس الوزراء الإسرائيلى «نتنياهو»، حيث ورد عن ماكرون قوله: «نذكر بالتزام فرنسا بالسلام فى الشرق الأوسط ونطلب من إسرائيل الامتناع عن اتخاذ أى إجراءات لضم الأراضى الفلسطينية». وأضاف البيان أن «الرئيس الفرنسى شدد على أن مثل هذا الإجراء سيكون مخالفاً للقانون الدولى وسيعرض للخطر إمكانية حل الدولتين، مثل إقامة سلام عادل ودائم بين الإسرائيليين والفلسطينيين».

وفى سياق متصل دعت مفوضة حقوق الإنسان فى الأمم المتحدة، «ميشيل باشليه» مفوضة حقوق الإنسان فى الأمم المتحدة إسرائيل إلى وقف خططها التى وصفتها بـ«غير القانونية» لضم جزء من الأراضى الفلسطينية المحتلة فى الضفة الغربية، محذرة من العواقب المترتبة على مثل هذه الخطوة وما قد ينتج عنها من تردى للوضع الأمنى حيث قالت فى بيان لها بأن «الضم غير قانونى. بكل تأكيد، أشعر بقلق بالغ من أنه حتى أقل شكل من أشكال الضم سيؤدى إلى زيادة العنف وخسائر فى الأرواح».

أما السفيرة الألمانية لدى إسرائيل «سوزانه فاسوم راينر» فقد أكدت بأن ضم إسرائيل لمناطق فلسطينية محتلة سيثقل كاهل العلاقات الإسرائيلية مع الاتحاد الأوروبى. مضيفة بأن «الاتحاد الأوروبى لن يعترف بتعديلات الحدود». بينما ذهب البرلمان البلجيكى لأبعد من هذا بالدعوة إلى «معاقبة إسرائيل» إذا أقدمت على ضم أجزاء من أراضى الضفة الغربية المحتلة. وفى السادس والعشرين من مايو 2020 قال «جوزيف بوريل» مفوض الأمن والسياسة الخارجية فى الاتحاد الأوروبى بأن «الاتحاد الأوروبى يعرب عن تصميمه العمل من أجل منع إسرائيل من تنفيذ مخططاتها بشأن الضم». بينما دعت روسيا من جانبها الأمم المتحدة لتحرك عاجل معتبرة على لسان سفيرها لدى السلطة الفلسطينية «غوتشا بواتشيدزة» بأن الضم سيقوض عملية السلام.

هذا وقد كانت القيادة الفلسطينية قد اتخذت قراراً باجتماع ضم كافة فصائل منظمة التحرير بالتحلل من الاتفاقيات مع دولة الاحتلال. لكن هذا لا يعنى أننا لا نريد السلام -على حد تعبير الرئيس الفلسطينى محمود عباس - بل «إننا نمد أيدينا للسلام وعلى استعداد للذهاب لمؤتمر دولى، والعمل من خلال آلية متعددة الأطراف هى الرباعية الدولية لرعاية المفاوضات على أساس قرارات الشرعية الدولية، ومبادرة السلام العربية». بينما قالت عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية حنان عشراوى: «بأن الضم سواء كان جزئياً أو مرحلياً، يعد جريمة وتدميراً ممنهجاً للحقوق الفلسطينية ولفرص السلام، وأن الاستمرار فى توفير الغطاء لدولة الاحتلال وعدم مساءلتها وحرمان شعبنا من الحماية سيعرض الفلسطينيين لمزيد من القهر والحرمان».

استناداً لما سبق وغيره بإمكان السلطة الوطنية الفلسطينية الاستفادة من هذا الزخم الدبلوماسى لحشد التأييد الدولى لعدالة قضيتها وحق الشعب الفلسطينى بالعيش بكرامة وحرية على دولة ضمنتها له قرارات الشرعية الدولية.

الضم والانقسام:

ليس من الخافى على المتابع للشأن الداخلى الفلسطينى بأن الانقسام والهوة الآخذة بالاتساع بين حركتى فتح وحماس وبسط نفوذ الأولى فى الضفة بينما تسيطر الثانية على قطاع غزة منذ العام 2007، جعل المشهد أكثر تعقيداً، حيث أصبح توجه القيادة الفلسطينية للمحافل الدولية بصفة موحدة يواجه بعائق الانقسام الذى ضيّع على الفلسطينيين فرصاً ومنح الاحتلال ذريعة يتجه بها للعالم بحجة أن ليس هناك شريك فلسطينى لعملية السلام، بالتالى فمن حق الإسرائيليين التصرف بشكل أحادى فيما يعتبرونه أرضاً متنازعاً عليها وفرض سياسة الأمر الواقع. وفى محاولة لم تكن الأولى ظهر مسئولون من فتح وحماس فى بداية إعلان قرار إسرائيل بشأن الضم، لكن هذا الظهور لم يتجاوز بنظر الكثير من المراقبين غرضاً إعلامياً يخلو من خطوات عملية جادة تقوم بها السلطة فى رام الله وقيادات حماس فى غزة لرأب الصدع الذى كلف القضية الفلسطينية الكثير وجعل إنجازاتها على الصعيد الدولى على المحك.

هل يتراجع نتنياهو عن خطوته تحت ضغط إقليمي/ أوروبي/ دولي؟

فى المقابل قام رئيس الوزراء الإسرائيلى «بنيامين نتنياهو» بتجاهل كل من تطرق لعدم قانونية خطة الضم واتجه لدعوة الفلسطينيين للتفاوض ليس على ما تم بناؤه والوصول إليه فى اتفاقية إعلان المبادئ وإنما وفقاً لـ«خطة السلام الأمريكية». كما ذهب «نتنياهو» لأبعد من ذلك بالتأكيد على أن خطة الضم الإسرائيلية المرتقبة لن تضر بعملية السلام بل ستدفع بها قدماً على حد تعبيره. وهذا ما قوبل بالرفض من جهة السلطة الوطنية الفلسطينية على لسان رئيسها الذى قال: إن تنفيذ مخططات الضم فى الأراضى الفلسطينية المحتلة، خطوة غير شرعية سيترتب عليها أن يتحمل الاحتلال جميع المسئوليات عن الأرض المحتلة وفق اتفاقية جنيف الرابعة كقوة احتلال. مشدداً على رفض ضم أى شبر من الأراضى الفلسطينية المحتلة إلى دولة الاحتلال، وما يسمى «صفقة القرن» وجميع المخططات الأمريكية - الإسرائيلية وما ينتج عنها على حد تعبيره.

يرى البعض بأن نتنياهو سيقدم خطة الضم لسد فاتورة تحالفات فى حكومته ولجذب تأييد إسرائيلى وحشد المجتمع الإسرائيلى لدعمه فى حين يعانى من تحديات اقتصادية ومساءلات تطال قضايا فساد داخلية، فهل سيقع الفلسطينيون مجدداً فريسة السطوة الإسرائيلية التى لا ترحم؟ أم سيكون اشتداد الأزمة مبشراً بانفراجها؟ ومرة أخرى تقف القيادة الفلسطينية فى مواجهة الأطماع الصهيونية الرافضة لمنح الفلسطينيين أدنى حقوقهم التى تضمنها لهم المواثيق الدولية والتى كرس الفلسطينيون سنوات كثيرة من المفاوضات والعمل الجاد لتحقيقها من خلال عملية سلام من أبسط ما يمكن وصفها بأنها ولدت ميتة لسبب واحد وهو التعنت الإسرائيلى ورفض أى خيار يضمن للفلسطينيين العيش بكرامة على دولة حدودها فلسطين المحتلة عام 1967 وعاصمتها القدس الشرقية.

لماذا رفضت أوكرانيا تسليم الإرهابى المصرى؟

أطلقت أوكرانيا سراح الإرهابى المصرى معتز محمد، رغم أن مصر طلبت تسليمه بتهم تتعلق بالإرهاب والتطرف، وهو مدرج على نشرات الإنتربول.

ويأتى الإفراج عن هـذا الإرهابى بعد تواصل وزيـر خارجية قطـر مع وزير الخارجيـة الأوكرانى، وطبعًا طلب الوزير القطرى إخلاء سبيل الإرهابى فورًا مقابل مسـاعدات قطرية. وحاولت أوكرانيا أن تسـاوم مصر بأن عرضت تسليمه لمصر مقابل إرهابـى أوكرانى اسـمه إدوارد شـيكوس - الذى ألقى القبض عليه قادمًا من إسرائيل مرتديًا زى قسـيس ويحمل صليبًـا كبيرًا ولكن يقظـة الأمن المصرى كشفت أن الصليب مجوف وبداخله بندقية قناصة حديثة، واتضح أنه يهرب أسـلحة إلى الجماعات الإرهابية فى سـيناء وبالتالى فقد قدم إلى المحاكمـة التى حكمت عليه بـ ٢٥ سنة سجن -، وبالتالى فقد عرضوا تبادل الإرهابى معتز بالإرهابى شـيكوس إلا أن طلبهم قد رفض وبالتالى فقد أطلقت أوكرانيا سراح الإرهابى معتز امتثالًا لوعود قطر.

ومن الملاحـظ أن أوكرانيا قد أصبحت فى الفترة الأخيرة مأوى للجماعات الإرهابية والإخوان المسـلمين، وعدد المصريين منهم هنا يتجاوز ٧٠٠ من الجماعة أو المؤيدين لها بخلاف مجموعة كبيرة من السـوريين

سفير أسامة توفيق بدر

osama56@hotmail.com

من مدينتى حماة وحلـب معقل الإخوان المسـلمين، وهناك أكثر من مصرى هارب إلى أوكرانيا رغم أنهم مطلوبون للعدالة فى مصر، فبالإضافة إلى الإرهابى معتز محمد فهناك آخرون تلاحقهم العدالة ومنهم على ف. ب (سرقات متنوعـة) وتابع للجماعة وخالد. ج (هارب من ٣ سـنوات سجن فى مصر) وأحمد. ع . ال (حكم عليه بالسجن ٣ سـنوات فى مدينة بالتافا بتهمة الخطف والبلطجـة). هذا وقد بـدأت عناصر من داعش تسـتخدم بعض المدن الأوكرانية كنقـاط للعبور إلى المناطـق الملتهبة من العالم.

وتعمل السفارة القطرية فى كييف منذ افتتاحها بعد ثـورة ٣٠ يونيو على تمويل هذه الجماعـات، وتشرف عـلى تهريب الأسـلحة الأوكرانية المتقدمـة إلى مناطق الصراعات فى العالم، وعلى سبيل المثال فقد تم ضبط مجموعات كبيرة من الأسـلحة الأوكرانية مع متمردى دارفور منذ حوالى ٣ سنوات وكذلك مناطق أخرى من العالم.

ومركز آخر لتجمع المتطرفين من مصر وسـوريا هو جمعية «الرائد» التى يديرها مجموعة مـن الإخوان السـوريين الذين توجههم الدوحة، وتمول السفارة القطرية أيضًا الإخوانى السـورى المدعو صفوان جولاق والذى يراسـل الجزيرة من كييف ولديه صحيفة تسـمى «أوكرانيا برس» معادية لمصر وللـدول الخليجية الصديقة وتعبر دائمًا عن فكر جماعة الإخوان ودويلة قطر التى تحرك جماعات حقوق الإنسان.

والطرف الأخـير فى المعادلة هو تركيا التـى تربطها علاقـات تاريخية خاصة ومتينـة بأوكرانيا الجـارة على الطرف الآخر من البحر الأسـود وتعتبر سفاراتها هى مراكز توجيـه الجماعات المتطرفة إلى مناطق التوتر فى العالم. .

كان ياما كان. نور وانطفأ

سفيرة د. عبير بسيونى رضوان
Abassiouny@hotmail.com

كل حكاياتنا تبدأ بها «كان ياما كان»، فهل أبدأ بها حكايتي! جميع القصص صراع بين الخير والشر، فهل دائماً الخير ينتصر! كان ياما كان. أو كنت وياما كنت! هل أحكى لما حدث لى أو فى أنا كإنسان؟ أم هل أحكى بما حدث حولى من تغير فى الأحوال، وتبدل المكان والزمان والأبعاد! وسبحان الذى يغير ولا يتغير. وتنزه الله صاحب العزة وحده والجبروت. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

سأبدأ بما كان! لعلنا نفهم ما يكون! المكان هو مكان عمل، أما الزمان فهو الزمان الذى ضاع فيه العمل!

كنّا فى مؤسسة حكومية صغيرة لا يزيد عدد العاملين فيها عن 10 أفراد. كانت الأعمال محددة وواضحة لكل فرد، ولصغر حجم المؤسسة كان من السهل كشف المتكاسلين فيها أو النشطاء. مشكلة المؤسسات الحكومية عدم إلزام العاملين بواجباتهم الوظيفية ظناً من البعض أن المال العام حق مستباح سواء كان مقابلاً لعمل أو بدونه. معظم الموظفين اعتادوا أن مرتباتهم هى «حسنة» مفروضة على الحكومة، أقلية فقط من يواظبون على العمل رغبة فى أن يحل الله بالعمل البركة فيما رزق. أخيراً، ازدان العمل برئيس مختلف محب للعمل ومهتم به، بل ويسعى لنجاح المؤسسة لربما تكون مثالاً نموذجياً لما نود أن نراه جميعاً. آمن حسن، وهو فى أول عهده كمدير، بأن وضع رؤية واضحة وتخطيط مستقبلى هو سبيل الإنتاج والاستمرارية، وطلب العمل، وجعله ديناً. فهل يقبل الناس بهذا الدين القديم الجديد المتجدد. دين السعادة فى الحياة الدنيا والثواب فى الآخرة!

بالإرادة الإنسانية والعمل امتلأ المكان بالخير والسعادة والإيمان، مصدر الأسرار الربانية والعطايا الإلهية، وظهر ضياء العمل فأصبحت المؤسسة نبراساً يخطف الأبصار.

وما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع! هكذا قال العرب قديماً فى تصويرهم لقصر حياة قصص النجاح!

ليس هناك من يُحرم الظُلم، ولا من يراه ظلمات تطفيء أنوار الحق وتنشر الظلام. البعض يعشق الظلام ويسعى لأكل الحرام، وفى زماننا هؤلاء هم الأغلبية. تماما كما كان الكفار يسعون للظلم والظلمات بتكذيبهم بدين الله وصدِّهم الناسَ عنه بألسنتهم، وهو النُّور الذى جعله الله لخلقه ضياءً «يريدون أن يطفئوا نور الله بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» (سورة التوبة، آية32).

تكاثرت الأسئلة لماذا يكون هناك نور التوفيق والنجاح فى مؤسسة واحدة ولا يتكرر فى الآلاف بل الملايين المماثلة! عزّ على العاملين بالمؤسسة أن يعملوا وغيرهم يعيشون فى دعة وفراغ! وحرض المتكاسلون، بل وهددوا، العاملين المتقين المتقنين بالعقاب المرير إذا استمروا على سيرة العمل الذى بالطبع لا ينتهى. وبدأت مسيرة الفشل المؤسسى بالتهرب من العمل أو إنكاره. والأهم تدمير رب المؤسسة، فإذا كان رب البيت بالدف ضارباً فشيمة أهل البيت كلهم الرقص. تم استهدافى، أنا حسن، بكل السبل والطرق! وكأن الناس يسارعون بخطاهم نحو الظلام.

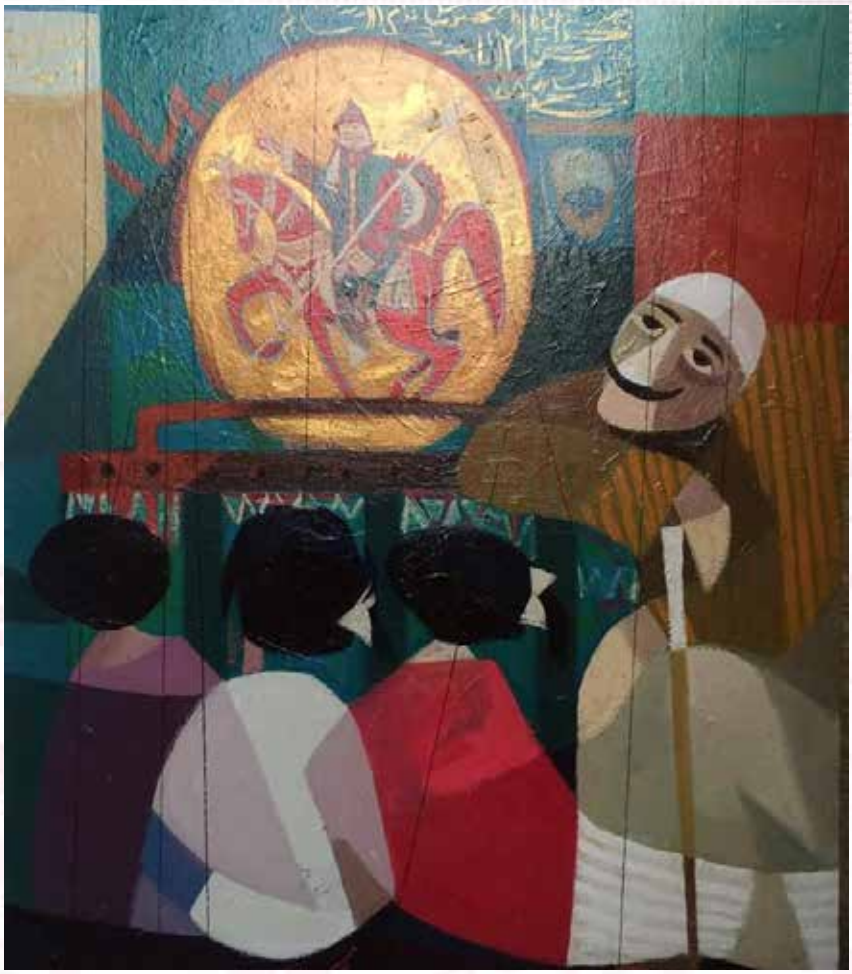

الإرهاب السيبرانى وخطورته على الأمن القومى المصرى

احدثت التكنولوجيا الرقمية ثورة شـــاملة فى جميع نواحى الحياة، وكانت هذه الثورة إيذاناً ببزوغ العصر السيبيري؛ وأصبح الفضاء السيبرانى مجالاً مؤثراً نتيجة ارتباطه بالقطاعات الحيوية والبنى التحتية الحرجة. وفى ظل تنامى أهمية الفضاء الســـيبرانى ازدادت المخاطر السيبرانية، وعلى رأسها الإرهاب السيبرانى.

ملحق دبلوماسى محمد كامل

moh.k7394@gmail.com

وفى هذا الصدد اقتـــضى الأمر قيام الدولة المصريـــة باتخاذ التدابير اللازمة لحماية فضائها السيبرانى من التنظيمات الإرهابية. يقتضى الأمـــر تحديد ما هو الفضاء الســـيبرانى وما أهمية الفضاء الســـيبرانى، لتقييم الخســـائر التى قد تنجم عن اختراق هـــذا المجال؛ وكذلك يتطلب الأمر الوقوف على ماهية الإرهاب الســـيبرانى لتحديد مدى خطورته على الأمن القومى المصرى.

تختلـــف التعريفات التـــى تتناول مفهـــوم الفضاء الســـيبرانى، وترجع مشـــكلة تعريف الفضاء السيبرانى إلى اختـــلاف مصالح الجهـــات الفاعلة فى هذا الفضاء، هـــذا وبالإضافة إلى تعدد اســـتخدامات هذا الفضاء. بالرغم من أن الدولة هى أبـــرز الفاعلين، غير أنها لا تســـتطيع احتكار القـــوة فى الفضاء السيبرانى بســـبب كثرة الفاعلين مثل: الشركات متعـــددة الجنســـيات التى تملك قواعد البيانـــات العملاقة تمكنها من التأثـــير على هذا المجـــال، الأفراد، والجماعات الإرهابيـــة .وأصبح الربط الإلكترونى عامـــلاً فى إدارة القطاعات الحيوية والبنـــى التحتية، حيث أنه يتم اســـتخدام برامج الربـــط الإلكترونى والتكنولوجيـــا الرقميـــة فى مختلـــف القطاعات الحيوية مثل: الاستخدامات العسكرية، الرعاية الصحية، والخدمات المالية والمصرفية؛ وشهدت الاونة الاخيرة ظهور ما يسمى بـ إنترنت الأشياء الذى يتم توظيفه فى كافة مجالات الحياة.

وفى ضوء الأهميـــة المتزايدة للفضاء الســـيبرانى زادت المخاطر التى تحدق بهذا المجال ،وقد بلغت حجم خســـائر الاقتصـــاد العالمـــى جـــراء الهجمات السيبرانية 500 مليار دولار بنهاية عام 2014. وترتب على زيادة هذه المخاطر تنامـــى أهمية الأمن الســـيبرانى، حيث بلغ إجمالى الإنفـــاق العالمى على الأمن الســـيبرانى بنهاية عـــام 2014 حوالى 124 مليار دولار. وفى هذا الإطار تجدر الإشارة إلى أن أبرز المخاطر التى تقوض من أن الفضاء الســـيبرانى هى: الحرب السيبرانية ،القرصنة الحقوقية، الجريمة السيبرانية، و الإرهاب السيبرانى. ويتم التفرقة بين هذه الهجمات وفقاً للهدف من وراء الهجوم السيبرانى، حيث تشمل القرصنة الحقوقية اســـتخدام الفضاء الســـيبرانى لخدمة قضية سياســـية؛ وتنطـــوى الحـــرب الســـيبرانية على الإجراءات التـــى تتخذها دولة لمهاجمة شـــبكة المعلومات فى دولة أخرى. وإذا كان الغرض من وراء الهجوم السيبرانى هو تحقيق مكاســـب ماليـــة، فأن هذه الهجمة تندرج تحت الجرائم السيبرانية. أما إذا كان الهدف من وراء الهجوم هو إثارة الرعب، فأن الهجوم يندرج تحت الإرهاب السيبرانى.

وفى هـــذا الصدد، حـــرص المجتمع الدولى على تبنى مـــا يلزم من اتفاقيات ومعاهدات لمواجهة المخاطر السيبرانية. فتعـــد اتفاقية بودابســـت لعام 2001 هى باكورة التحـــركات الدولية فى هذا الشـــأن؛ ونصـــت هـــذه الاتفاقية على التعاون الدولى لوضـــع حد لانتهاكات حقوق النشر والتأليف والاحتيال. وعلى صعيد الأمم المتحدة، أصدرت الجمعية العامة قرارً عام 2004 بتشـــكيل فريق الخـــبراء الحكوميين«GGE» لدراســـة تأثير التطورات فى تكنولوجيا المعلومات على الأمن القومي؛ وشـــهد عام 2019 قرار الجمعية العامة بتشكيل مجموعة

العمل مفتوحة العضوية. ومن الجدير بالذكر أن المجتمع الدولى شهد تباينات فى التعامل مع قضية الأمن السيبراني؛ وترجع هذه التباينات إلى اختلاف المصالح بين الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى من جانب والصين وروسيا من جانب آخر، وقد تبلورت هذه الخلافات فى اعتراض الولايات المتحدة على قرار إنشاء مجموعة العمل مفتوحة العضوية عام 2019.

وفى ضوء ارتباط الفضاء السيبرانى بالأمن القومى للدول، شرعت التنظيمات الإرهابية فى توظيف الإرهاب السيبرانى لتقويض الأمن القومى للدول المستهدفة. ويتميز الإرهاب السيبرانى ببعض السمات التى سهلت مهمة التنظيمات الإرهابية فى ضرب الأهداف الحيوية ،ومن أبرز هذه السمات: تجاوز حاجزى الزمان والمكان، تراجع تكلفة الهجمات السيبرانية ،وقدرة منفذى الهجوم على التخفى. وينقسم الإرهاب السيبرانى إلى نوعين: الإرهاب السيبرانى الخالص الذى يدور حول ضرب البنية التحتية والأهداف الحيوية عن طريق شن هجمات سيبرانية، والإرهاب السيبرانى الهجين الذى يشمل استغلال الفضاء السيبرانى فى بعض الخدمات اللوجستية مثل التمويل والتدريب والدعاية؛ ويعد إعلان تنظيم داعش عن تشكيل ما يسمى بالخلافة السيبرانية المتحدة أحد النماذج على توظيف الجماعات الإرهابية للفضاء السيبرانى.

وفى ضوء تنامى هذا الخطر قد تقوم التنظيمات الإرهابية بشن هجمات سيبرانية ضد الدولة المصرية، وهناك بعض الدوافع التى قد تشجع الجماعات الإرهابية على هذه الخطوة مثل:

التقدم الذى أحرزته قوات الجيش والشرطة ضد التنظيمات الإرهابية؛ الثورة الرقمية التى شهدتها مصر فى الآونة الأخيرة؛ والتحديات التى تواجه الدولة فى تأمين الفضاء السيبرانى والتى يأتى على رأسها التكلفة الباهظة. وفى هذا الصدد اتخذت مصر التدابير اللازمة لتأمين فضائها السيبرانى. قامت مصر باتخاذ التدابير التشريعية لمواجهة المخاطر السيبرانية، فنصت المادة 31 من الدستور على ضرورة تأمين الفضاء السيبرانى، فضلاً عن اتخاذ التدابير الفنية اللازمة مثل إنشاء المجلس الأعلى للأمن السيبرانى وإطلاق الاستراتيجية الوطنية للأمن السيبرانية؛ وحرصت مصر على التوصل إلى اتفاقية تحقق التعاون فى مجال الأمن السيبرانى، فشاركت مصر ثلاث مرات فى لجنة الخبراء الحكوميين المعنية بهذا الشأن.

خلاصة القول، يُمثل الفضاء السيبرانى أهمية كبيرة لمصر فى ظل ثورتها الرقمية، لذلك قد تستخدم التنظيمات الإرهابية الفضاء السيبرانى فى ضرب مصالح الدولة المصرية؛ وفى هذا السياق يقتضى الأمر اتخاذ بعض الإجراءات لمواجهة هذا الخطر مثل: قيام وزارة الخارجية بإعداد كوادر من الدبلوماسيين قادرين على التفاوض فى القضايا الجديدة مثل تأمين الفضاء السيبرانى؛ قيام وزارة الخارجية بطرح اتفاقية أو مدونة سلوك على مستوى الأمم المتحدة ،لوضع إطار تنظيمى بين الدول التى ترغب فى عقد اتفاقيات لمواجهة المخاطر السيبرانية؛ نشر الوعى على المستوى الوطنى حول مخاطر الإرهاب السيبرانى، ويتم ذلك عن طريق قيام وزارة التعليم بتوفير دورات حول الأمن السيبرانى؛ قيام الدولة بنشر الوعى بين الشباب حول قيام التنظيمات الإرهابية بتوظيف مواقع التواصل الاجتماعى لنشر فكرها المتطرف؛ وفى ظل غياب تعريف موحد للإرهاب السيبرانى ينبغى عقد ورش عمل على الصعيدين العربى والإفريقى للتوصل إلى صيغة توافقية فيما يخص التعاون لمواجهة الإرهاب السيبرانى.

أمن مصر المائى فى ضوء أزمة «سد النهضة» الإثيوبى

يعد الأمن المائى إحدى الركائز الأساسية للأمن القومى لأية دولة، فالماء عنصر حيوى وأساسى لحياة الإنسان والكائنات الحية، ويحتل أهمية قصوى للتنمية الاقتصادية فى جميع أنواعها ومجالاتها، ومن ثمّ كان الاهتمام فى توفير الموارد المائية وتطويرها والمحافظة عليها من أهم ما تسعى إليه مصر ضماناً لاستقرارها وبقائها، واستمرار مسيرتها نحو التنمية الشاملة وحماية أمنها الغذائى والإنسانى والقومى.

تعتبر مصر من أكثر الدول جفافاً فى إفريقيا وعلى مستوى العالم، وتعتبر مصادرها من المياه محدودة جداً ومعظمها يأتى من خارج البلاد؛ حيث تقدر نسبة الاعتمادية على الموارد المائية الخارجية (Dependency Ratio) بأكثر من 97.7 ٪، ونظراً لمحدودية الموارد المائية، تسعى مصر إلى تعظيم الاستفادة من كل موارد المياه، بينما يقدر إجمالى موارد مصر المائية المتجددة نحو 56.8 مليار م3 سنوياً.

وقد بدأت أزمة مياه النيل فى التفاقم منذ مايو 2009، بعد المؤتمر الذى عقده وزراء مياه دول حوض النيل فى «كينشاسا» بالكونغو الديمقراطية، عندما طالبت مصر بالالتزام بمبدأ «التشاور والإخطار المسبق» فى حالة إقامة أى مشروعات مائية على ضفاف النيل، وذلك بالاتفاق مع ما ينص عليه القانون الدولى من «ضرورة التزام دول المنبع بعدم إحداث أى ضرر لدول المصب» وبما يتفق مع حقوق مصر التاريخية فى حصة مياه النيل. وكانت نقاط الخلاف الرئيسية متمثلة فى مطالبة دول حوض النيل خاصة (تنزانيا، وكينيا، وإثيوبيا، وأوغندا) بإعادة النظر فى الاتفاقيات القديمة التى تحكم دول حوض النيل بدعوى أن الحكومات القومية لم تبرمها ولكن أبرمها الاحتلال نيابة عنها بالإضافة إلى المطالبة «بالاستغلال المتساوى لحوض النيل» بدعوى أن هناك حاجة لدى بعض هذه الدول خاصة كينيا وتنزانيا لموارد مائية متزايدة، بل وهددت الدول الثلاث (تنزانيا، وكينيا، وإثيوبيا) بتنفيذ مشروعات سدود وقناطر على نهر النيل تقلل من كمية المياه التى ترد إلى مصر.

ملحق دبلوماسى هانى حلمى

marchani2007@hotmail.com

ومن خلال تحليل الاتفاقيات القانونية المائية بشأن مياه النيل، سواء تلك التى وقعت أثناء العهد الاستعمارى أو بعده، لُوحظ أن هناك غياباً للإطار القانونى فى النظام الإقليمى لحوض نهر النيل. وفى هذا الصدد، وعلى الرغم من وجود ما يزيد عن عشر اتفاقيات لتنظيم مياه النيل فهى جميعها إما ثنائية أو ثلاثية لا تحظى بالرضا والقبول من باقى دول الحوض هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن هذه الدول الأعضاء فى بعض تلك الاتفاقيات ترفض الاعتراف بها بحجة عدم مشروعيتها، لأنها وقعت فى العهد الاستعمارى، ومن ثمّ فقد ترتب على هذا الوضع القانونى أن أصبح النظام الإقليمى لحوض النيل خال من أى إطار قانونى أو مؤسسى عام وشامل ويحظى بقبول مختلف الدول النيلية.

فى إبريل 2011، قامت إثيوبيا بالإعلان المنفرد عن اعتزامها بناء «سد النهضة» على النيل الأزرق بدون الالتزام بمبادئ القانون الدولى الراسخة والمرتبطة باستخدام الأنهار المشتركة. وبعد التواصل مع الجانب الإثيوبى، تم تشكيل اللجنة الدولية للخبراء التى استمر عملها لمدة عام بهدف مراجعة مستندات ودراسات السد وذلك للوقوف على آثار السد على دولتى المصب. وقد خلص التقرير النهائى للجنة بأن جميع الدراسات التى تم تقديمها عبارة عن دراسات أولية لا ترتقى لمستوى دراسات تنفيذ سد بهذا الحجم وقد احتوت على العديد من الفرضيات غير المدققة، كما لم تشمل الدراسات الخاصة على تقييم الآثار الجانبية (اقتصادية، اجتماعية، بيئية، إلخ...) على دول المصب. وقد تم توقيع اتفاق «إعلان المبادئ» بين الدول الثلاث فى 23 مارس 2015 بالخرطوم من قبل السيد الرئيس ورئيس الوزراء الإثيوبى والرئيس السودانى، حيث تضمنت الاتفاقية الالتزام بعشرة مبادئ تتوافق مع المبادئ الواردة فى العديد من الاتفاقيات الدولية للأنهار العابرة للحدود مثل «مبدأ التعاون»، و«مبدأ التنمية»، و«التكامل الإقليمى والاستدامة»، و«مبدأ عدم التسبب فى ضرر ذى شأن»، و«مبدأ الاستخدام المنصف والمناسب».

وقد اعتمدت وزارة الرى الإثيوبية عام 2013 خريطة تكشف تمسك إثيوبيا ببناء «سد النهضة» و3سدود أخرى خلفه، لتقليل «عملية الإطماء» حول السد الكبير. وتشير الخريطة إلى أن السد الإثيوبى هو أكبر مشاريع الطاقة الكهرومائية لتوليد الطاقة على «النيل الأزرق»، وأن الإطماء فى «سد النهضة» سيكون عالياً جداً، لأنه سيحجز كل الطمى الذى صنع أرض مصر والسودان الزراعية، وبالتالى سيتسبب فى ردم السد بالكامل خلال 50 سنة، وسيقلل من كفاءته عاماً بعد عام، وبالتالى ستضطر إثيوبيا إلى تقليل الإطماء حول «سد النهضة» من خلال بناء 3 سدود خلفه

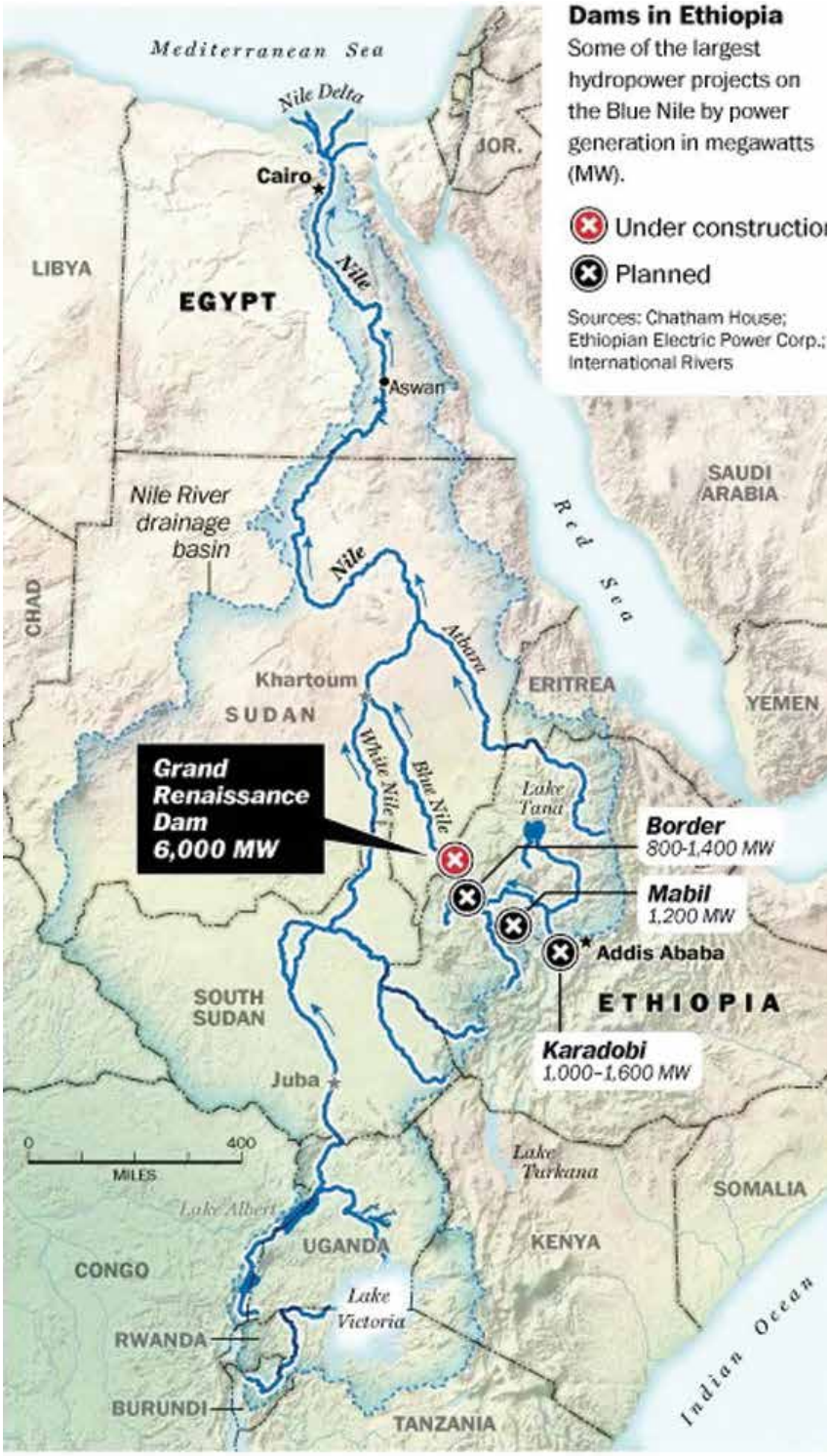

إجبارية سيصل مجموع سعتها إلى 200 مليار متر مكعب من المياه. وبافتراض إقامة إثيوبيا كل هذه السدود، فإن حجز كل هذه الكمية من المياه سيجعل إثيوبيا هى المتحكم الرئيسى فى مياه النيل، ومن الممكن أن تبيع المياه لإسرائيل ودول الخليج بل وإلى مصر نفسها؛ فلا توجد دولة فى العالم تحتجز 200 مليار متر مكعب من المياه إلا إذا كانت تعتزم بيعها.

فى ضوء المتغيرات التى طرأت على الملف مؤخراً، نرى وجوب إدراك صعوبة وقف بناء السد وأنه أصبح أمراً واقعاً وهدفاً قومياً للشعب الإثيوبى ويتعين التعامل مع هذا الأمر الواقع بكافة الأدوات المتاحة لمصر عن طريق بعض المقترحات:

• الاستمرار فى التأكيد على الموازنة بين الحفاظ على المصالح المائية المصرية دون وقوع ضرر جسيم على مصر وحق إثيوبيا فى التنمية، والتمسك بمسار واشنطن والعمل على استئناف المفاوضات.

• فى ظل أن الاتفاقية الإطارية أوشكت على دخول حيز التنفيذ، نتيجة لقرب الوصول إلى عدد التصديقات المطلوب (6 تصديقات)، فإن هناك ضرورة لاستمرار الجهود المصرية للحفاظ على الوضع الحالى من خلال تكثيف التعاون والتواصل مع الدول التى لم توقع أو وقعت ولم تصدق.

• الاتجاه إلى التصعيد عبر مؤسسة اليونسكو فيما يخص الدراسات البيئية للسد والآثار السلبية التى قد تنتج عنه، ومحاولة استصدار قرار بأنه غير مطابق للمعايير البيئية وفقاً لدراسات تقييم الأثر البيئى «Environmental Impact Assessment» بل ومهدد لها، ووقف استكمال أعمال تشييده.

• التأكيد على ضرورة التزام إثيوبيا بمبادئ القانون الدولى العامة وخاصة قوانين الأنهار الدولية فى هذا الصدد. فالقضية ليست قضية دولة تبنى سداً، بل قضية مبدأ وأصبح لها جوانب أخرى -غير السياسية - اقتصادية وبيئية واجتماعية وأمنية وأخلاقية وإنسانية. فإذا وافق المجتمع الدولى على أن تبنى دولة بتصرفات وقرارات أحادية سداً يهدد بقاء شعب دولة أخرى، لن تكون الواقعة الأخيرة. ونذكر فى ذلك موقف تركيا الأخير وقرارها بالشروع فى ملء وتشغيل سد إليسو على نهر دجلة دون الرجوع أو التفاوض مع العراق. لذا، يجب تحريك المجتمع الدولى كله لاحترام وتطبيق القوانين والأعراف الدولية للحيلولة دون تكرار هذا التصرف مستقبلاً إذا حدثت هذه السابقة.

• التقدم لإثيوبيا بعرض لشراء الكهرباء التى سيتم إنتاجها من السد بالكامل مقابل التوقيع على وثيقة واشنطن قبل الشروع فى ملء السد، شريطة امتثال إثيوبيا للتحفظات المصرية المتعلقة بتشغيل وملء السد لاسيما فى أوقات «الجفاف» و«الجفاف الممتد».

• استبعاد اللجوء إلى الخيار العسكرى قدر المستطاع فى ظل طبيعة المجتمع الدولى الحالى، والعمل على استنفاذ كافة الحلول الدبلوماسية وأية حلول أخرى، منها استمرار مصر فى تدويل القضية وطلب تشكيل لجنة أممية تشرف على عملية التفاوض.

مسيرة صديقى

لماذا لم يكفه أن يترقى فى مناصب الإدارة كأبيه؟
ولماذا لم يكفه أن يتشرب الفنون التى مارستها والدته بعدما وضعته طفلاً على بداية السلم حتى أتقن كل جوانبها؟

لماذا أراد أن يعيش بمفرده وأن يستقل بحياته شاباً مضحياً برعاية الأسرة ودفئها؟ وهل كان تطلع الشباب من جيله إلى القوة والمتعة كافياً ليشبع طموحاته؟

الشباب يبحث عن المال والرفاهية والحب، فماذا عن القيم النبيلة، وهل يمكن أن يسعد أحد دونها؟ وإذا كانت السعادة هدف البشر فما طريقهم إليها؟

ذلك الطموح الجارف للتعلم، تلك الروح التى تتلمس الدروب نحو الصفاء والنضج، هذا التفانى فى المسعى بالانغماس فى القراءة ليثرى ذاته، فتمضى كسهم مضئ تلتمس اختراق الظلم وبعث الهمة فى مكامن العجز، تلك النفس التى تبرع فى السباحة فى بحار الخيال، تدفعها شعلة أمل خالدة لا تعرف المستحيل؛ نفس كلها نهم للقراءة، تنهل من أمهات الكتب، لتلم بالكتب السماوية والعقائد، لتوفق بين الفلسفات، لتتأمل تجارب الشعوب، وتستوعب طباع البشر، ولتصل لرؤية شاملة تحتوى فى سلام كل ذلك.

شخصية فذة كهذه فى سعيها للخير لنفسها ومجتمعها كان طبيعيًا أن تتعرض لمحاربة أعداء النجاح وسهام

سفير د. هادى التونسي

arabemaluco@hotmail.com

الغيرة وشرور الكراهية، وإن أرادت إصلاحاً يعترضه المستفيدون من الوضع القائم، ومن يتصورون أن وراء كل هدف مكسباً مادياً أو شخصياً، فكيف تخوض تلك المعارك مبقية على نقائها، لتعيش فى سلام وتطهر؟

الطريق هو التسامى فوق الصغائر، البعد عن النميمة، تقبل حقائق الحياة، أن الله خلق الخير والشر يتدافعان، ومن خلال الصراع ننضج ونقوى ونبنى، إن لكل منا رسالة وظروف حياة وإمكانيات فى رحلاتنا لإنضاج أرواحنا، وأن علينا أن نتصالح مع دنيا الله كما هى، فنتقبل ما لا نستطيع تغييره، أن نبتعد عن سموم الرغبة فى الانتقام والنرجسية والأنانية والتمحور حول الذات، أن نتحلى بأكثر الأمور نجاحاً فى تاريخ البشر: النبل، الفروسية، الاستغناء، الإيثار.

فى هذه الحياة كان عليه أن يخلق عالمه الخاص؛ ماديًا بالعناية بمنزله وأسرته وأسلوب التغذية والرياضة، ونفسياً وروحياً بمخالطة الأسوياء والتأمل والموسيقى والفنون وبتلمس مناحى الجمال فى الأشياء والطبيعة وبالشعور بالتواصل والتعاطف مع البشر والحيوان والنبات.

وجد زاده فى سير الأنبياء والمستنيرين وفاعلى الخير، الفطرة الصافية الحية، التى تصقلها المعرفة، ويدربها التعليم، وتصقلها التجارب والسفر، لتفضى إلى الحكمة، التأمل كطريق للتبصر وتمالك النفس، ثم مصاحبة الألم البناء لإنضاج الشخصية.

وأولًا وأخيرًا الصلة بالله وبالحدس، فالحب طريق لمعرفة النفس والتقرب إلى الله، وفعل الخير عن محبة للبشر وإسعاد للنفس، وخدمة للمجتمع.

مسيرة صديقى شعلة نور تضئ طريق من يسعى للسمو؛ سمو الروح والنفس، هو قدوة لمن يريد أن يبنى نفسه، فيتعلم أن الخيال سباحة فى غياهب السلام النفسى والمتعة الوجدانية، وأن الأمل المتجدد معين نجاح لا ينضب، وأن فعل الخير يعود لصاحبه، وأن الإيمان واليقين طريق تحقق المعجزات، وأن الإنسان قادر دوماً أن يختار عواطفه كطرف فاعل مبادر فى الحياة، وأن النفس السوية والعفوية الصادقة المرتبطة بأرض الواقع والالتزام بالمبادئ النابعة من الذات هى وسيلة السلام النفسى والتوافق المجتمعى وحكمة الحياة.

حكايات وطرائف دبلوماسية من الماضى

حكايات إذا لم تسجل ستضيع..... قد تبدو غير مهمة لكنها تحمل معلومة ربما تنطوى على عبرة، أو حكمة، أو حتى مجرد فكاهة

خلال فترة خدمتى سفيرًا لمصر فى زيمبابوى تشرفت باستقبال زيارتين دينيتين مهمتين:

أولاً: زيارة قداسة الأنبا الراحل شنودة الثالث بابا الكنيسة الأرثوذكسية المصرية الذى وفد لمباركة الكنيسة القبطية بالعاصمة هرارى.

ثانياً: زيارة قداسة البطريرك الراحل بارثينيوس الثالث بابا الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية (مقره الرسمى بالإسكندرية) بدعوة من الجالية اليونانية.

قامت السفارة المصرية بواجبها وبكل ما يلزم لإنجاح زيارة البابا شنودة، ورتبت مقابلات قداسته مع الرئيس موجابى وكافة المسئولين الرسميين، والشخصيات البارزة وأعضاء الجالية المصرية بزيمبابوى.

وبالنسبة لزيارة البطريرك بارثينيوس الثالث فقد تصدى السفير اليونانى لتنظيمها والإشراف عليها، بوصفه من رعايا الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية بالإضافة إلى كونه المسئول عن شئون الجالية اليونانية بزيمبابوى التى دعت البطريرك لزيارتها. وقد فوجئ زميلى السفير اليونانى وتعجب عندما طلب منه قداسة البطريرك بارثينيوس الثالث أن تكون زيارته لمقر السفارة المصرية على رأس بنود برنامج زيارته لهرارى. وبالفعل حضر قداسته والوفد المرافق لمقر البعثة المصرية، فرحبت به الترحيب اللائق، ومعى أعضاء السفارة وفى حضور السفير اليونانى، الذى لمس ما لمصر من مكانة لدى قداسة البطريرك - مكانة لم تتوفر لبلده اليونان، التى تتبع دينياً الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية.

أثناء اللقاء أعرب قداسة البطريرك بارثينيوس الثالث عن فخره بكونه من

سفير يسرى القويضى

ykouedi@yahoo.com

مواليد بورسعيد عام 1919، واعتزازه بجنسيته المصرية، مؤكداً تقديره وحبه لمصر التى توفر لأتباع كنيسته الأرثوذكسية اليونانية بمصر المناخ الآمن لممارسة حرية العبادة فى سلام ومحبة. ودعانى لحضور القداس الذى سيقيمة فى كنيسته، فشكرته مرحباً بدعوته الكريمة.

وفى صباح الأحد المقرر لإقامة القداس توجهت والسيدة زوجتى للكنيسة، فأرشدنا المنظمون لمكان الجلوس طبقاً

لقواعد حيرت سفراء اليونان، وروسيا، وصربيا، وكلهم يتبعون الطائفة المسيحية الأرثوذكسية. فلقد جاءت جلستى تالية مباشرة للسيد وزير خارجية زيمبابوى الذى حضر نائباً عن الرئيس موجابى، وجاء فى الترتيب بعدى سفير اليونان، فسفير روسيا، ثم سفير صربيا.

لم يكتف قداسة البطريرك بارثينيوس الثالث بالرمزية التى أوحت بها أسبقية ترتيبات الجلوس فى القداس، فقام بعد انتهاء مراسم الصلاة بإلقاء كلمة استهلها بشكر وزير الخارجية على حضوره وكلفه بنقل خالص الشكر للرئيس موجابى على حسن استضافة زيمبابوى ورعايتها لطائفته، وأتبع ذلك مباشرة بتوجيه الشكر لى كسفير لمصر، راجياً أن أنقل تحياته وامتنانه لرئيسه رئيس جمهورية مصر العربية، ودعا لمصر وشعبها بدعوات الخير والتقدم والسعادة، ثم وجه كلامه بعد ذلك لباقى جموع الحاضرين متمنياً لهم كل الخير والأمن والسعادة.

أتذكر ذلك الحدث، وينتابنى شعور بالاعتزاز والفخر ببلدى الذى أنتمى إليه... مصر التى منحتنى شرف تمثيلها بالخارج، ورفع رايتها عالياً. جال كل ذلك بخاطرى وأنا أردد « تحيا مصر».

لقد صدقت مقولة «مصر أم الدنيا» إنها بالفعل محروسة، كائنة، راسخة فى وجدان ووعى كل شعوب الأرض، ولها السبق والمكانة التى تحسدها عليها كافة شعوب الأرض. مباركة أنت يا بلدى، حرسك وحماك الله على مر السنين.

الصراع الإقليمى على الغاز الطبيعى فى منطقة حوض شرق البحر المتوسط

أدى ظهور اكتشـــافات الغاز الطبيعى الحديثة فى منطقة شرق البحر المتوسط إلى بدء فصل جديد من الصراع بين دول المنطقة، بعد أن كانت الصراعات التقليدية بينهم مقتصرة على الأســـباب السياسية والديموغرافية التاريخية، ولعل تلك الاكتشافات قد أثارت جدلاً واسعاً بين هذه الدول حول أحقيتها فى استغلال تلك الثـــروات لصالحها، الأمر الذى دفعها إلى السعي نحو إبرام اتفاقيات لتعيين حدودها البحرية، وهو ما حدث بين مصر وقبرص عام 2003، وبين قبرص وإسرائيل عام 2010.

يشوب الإطار القانونى الدولى الذى تستند إليه الدول أعضاء المجتمع الدولى فى تعيين حدودها البحرية قدر كبير من عدم الاكتمال وذلك لعدة أســـباب من أبرزها:

(أ) الطبيعة الاسترشـــادية لاتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار لعام 1982، والتى لا تفـــرض على الـــدول أعضاء المجتمع الدولى الانضمام إليها.

(ب) عدم وجود إطار قانونى دولى موحد تستند إليه الدول أعضاء المجتمع الدولى فى تعيين حدودها البحرية، ومن ثمّ تلجأ كل دولـــة إلى إجراء مفاوضات ثنائية لتعيين حدودها البحرية مع الدول الأخرى، وفقاً لرؤية كل طرف.

فى ضوء ما سبق، تخلو منطقة شرق البحر المتوســـط من منظومة متكاملة من الاتفاقات الثنائيـــة لتعيين الحدود البحرية بين جميـــع دول المنطقة، الأمر الذى يزيد من احتمالية استمرار الصراع والنزاعـــات على مصـــادر الطاقة فيها فى حال عدم التوافق عـــلى آليات تعيين الحدود مع الـــدول الأخرى خاصة مع عدم انضمام عدد من القوى الإقليمية إلى اتفاقية قانون البحار لعام 1982 مثل تركيا وإسرائيل.

جديـــر بالذكر أن مـــصر كانت من أوائل الدول التـــى انضمت إلى الاتفاقية الأممية وتطالـــب أعضاء المجتمع الدولى باحترامها والتقيد بأحكامها.

كما يتضح من خلال متابعة ودراسة مســـار العلاقات والتحركات بين دول منطقة شرق البحر المتوســـط ، أنه من غير المرجح أن تتم تســـوية الصراع بين إسرائيل ولبنان على المناطق الاقتصادية فى شرق المتوســـط فى القريب العاجل،

ملحق دبلوماسى أحمد جمال

Gamal.Ahmed91@hotmail.com

وذلك لعدة أسباب منها:

(أ) عدم وجود علاقات دبلوماســـية رســـمية بين البلدين، مما يعكس عدم رغبـــة الطرفـــين فى إعمـــال القنوات الدبلوماسية والســـلمية للتفاوض على تســـوية هذا الصراع، علماً بأن الحدود البرية التى تم تعيينها بين البلدين والتى يتم الاسترشـــاد بها عند تعيين الحدود البحرية بينهما، لم يتم تحديدها بطريقة طوعية أو تفاوضيـــة، ولكن من خلال قوات اليونيفيـــل التابعة للأمم المتحدة، فيما يعـــرف بالخـــط الأزرق أو خط الانسحاب فى عام 2000.

(ب) اكتشاف حقول غاز جديدة فى المنطقة والتى يقـــع بعضها فى المنطقة البحرية المتنازع عليهـــا بين الطرفين، مما يزيد من فرص استمرار الصراع على هذه الاكتشافات الجديدة.

(ج) عدم إمكانية مطالبة إسرائيل – التى لم توقع على اتفاقية قانون البحار لعام 1982 – بالتقيـــد بمعايير تعيين الحـــدود البحرية التـــى تضمنتها هذه الاتفاقية.

جديـــر بالذكر أيضـــاً أن إسرائيل تعد مـــن أكثر دول المنطقـــة تقدماً فى تكنولوجيا التنقيب عن الغاز الطبيعى، حيث تســـاهم الشركات الإسرائيلية – منها شركة «ديليك جـــروب»، وشركة «اسرامكـــو نجيف»، وشركة «راشـــيو أويل» – مع الـــشركات الأمريكية وعلى رأسها شركة «نوبل إنرجي» فى عمليات التنقيب فى أغلب الحقول قبالة السواحل الإسرائيلية، وهو ما يعطى إسرائيل ميزة نســـبية عن الدول الأخـــرى فى المنطقة التى تعتمد بشكل أساسى على الشركات الأجنبية فى عمليات التنقيب.

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن الصراع بين تركيا وقبرص على الحدود البحرية والمناطق الاقتصاديـــة الخالصة مازال قائمـــاً ومرجحاً للاســـتمرار فى الفترة المقبلة، ويرجع هذا الصراع إلى العوامل التالية:

(أ) عـــدم اعـــتراف تركيا بشرعية اتفاقيات تعيين الحـــدود البحرية التى وقعتها قبرص مع الدول المجاورة لها.

(ب) الخلاف بين الطرفين على حدود الجرف القارى لتركيا.

(ج) تداخـــل حـــدود المناطـــق الاقتصادية بين قبرص الشـــمالية غير المعترف بها دولياً – ســـوى من تركيا – وجمهورية قبرص.

(د) المنافســـة بـــين الطرفين على القيام بالدور المحورى فى تصدير الغاز الطبيعى فى المنطقة إلى القارة الأوروبية.

فى ضوء هذه العوامـــل قامت تركيا بالعديد مـــن الإجـــراءات الأحادية فى محاولة لفرض ســـيطرتها على مصادر الغـــاز الطبيعـــى المتنـــازع عليها مع قبرص، حيث قدمت مذكرة احتجاجية للأمـــم المتحدة حـــول الاتفاقيات التى وقعتها قبرص لتعيين حدودها البحرية، وقامت باتخاذ خطـــوات تصعيدية فى

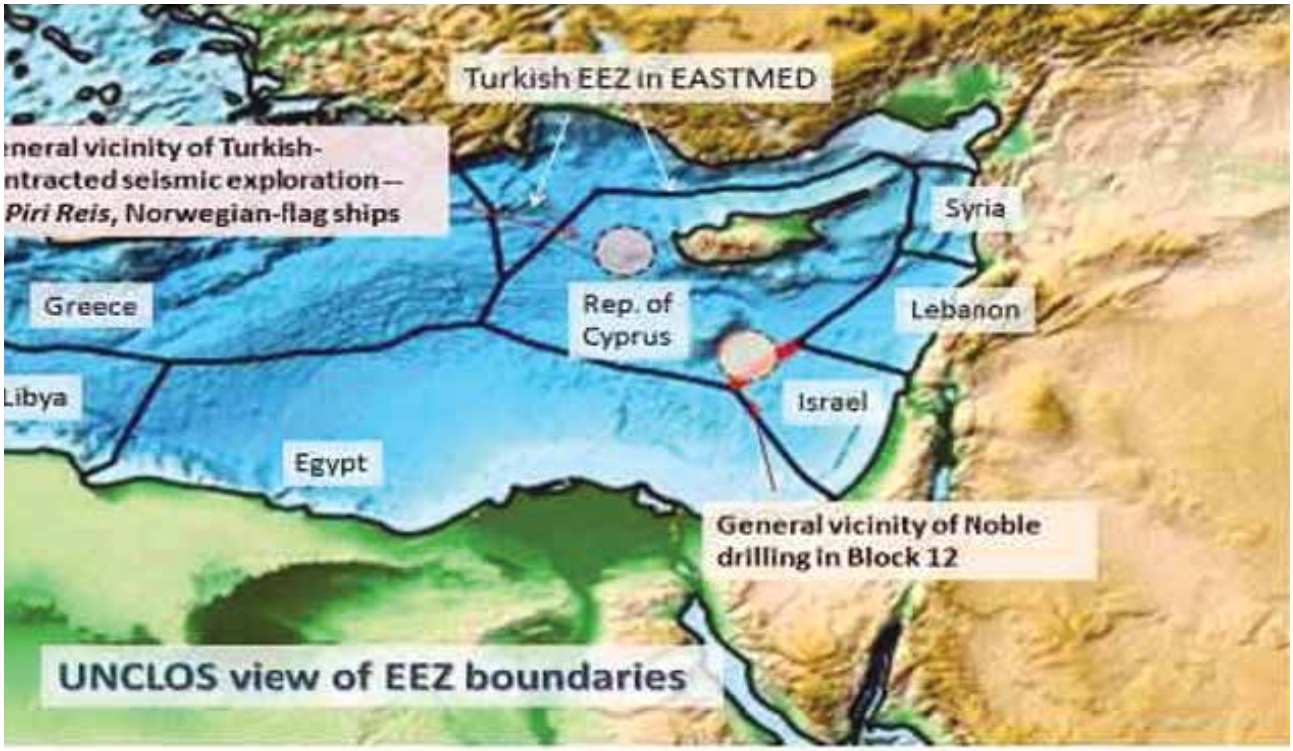

الميـــاه الاقتصادية القبرصية، كما قامت بشكل أحادى - دون التنسيق مع قبرص - بالتوقيع عـــلى اتفاقية لتعيين الحدود البحرية مع حكومة الوفاق الليبية، بما يعكس تجاهلها لحقوق جارتها.

ومـــن المتوقع أن تســـتمر تركيا فى انتهاج سياساتها التصعيدية فى تعاملها مع ملف الغاز الطبيعى فى منطقة شرق المتوســـط، حيث إنه من المســـتبعد أن تتخلى بســـهولة لصالح دول أخرى عن طموحاتها فى أن تصبـــح مركزاً إقليمياً للطاقة، كما أن استمرار توتر علاقاتها مع باقـــى دول المنطقـــة مثل مصر، وسوريا، وقبرص، واليونان، يجعل من الصعب التوصل لاتفاقات مع هذه الدول فى المستقبل القريب.

على صعيد آخر تظلّ فرص التعاون فى منطقة شرق البحر المتوســـط قائمة بصورة كبـــيرة، والتى يمكن رصدها فى عدد من المحاور التالية:

(أ) المحـــور المـــصرى - القبرصى والذى يتمثل فى التعاون الثنائى فى مجال الطاقة، وكذلك آلية التعاون الثلاثى بين مصر وقبرص واليونـــان، بالإضافة إلى منتدى غاز شرق المتوسط.

(ب) المحور المـــصرى - الإسرائيلى والذى يتمثل فى استغلال البنية التحتية المصرية لاســـتيراد الغاز الإسرائيلى ثم إعادة تصديره إلى أوروبا، وذلك فى إطار تنفيذ الإســـتراتيجية المصرية الهادفة لتحويل مصر إلى مركـــز إقليمى لنقل وتداول الغاز الطبيعى فى المنطقة.

(ج) المحور الإسرائيلى - القبرصى - اليونانى القائم على مشروع خط أنابيب غاز شرق المتوسط المزمع إنشاؤه بحلول عام 2024.

مما ســـبق يمكن أن نخلص إلى أن مـــصر تمتلك من المقومـــات ما يؤهلها للقيام بالدور الرئيسى فى تشكيل وبلورة إطار للتعاون الإقليمى فى منطقة شرق المتوسط، خاصة فى ضوء حرص السياسة الخارجية المصرية عـــلى ربط المصالح الاقتصاديـــة المصريـــة بمصالح الدول أعضاء هذا الإطـــار أو الأطراف الدولية المســـتفيدة منه، كما ترتبط فعالية هذا الدور بقيـــام مصر باتخاذ مجموعة من السياســـات والإجراءات، يمكن تلخيص ملامحها على النحو التالى:

1 - الاســـتمرار خلال الســـنوات القادمة فى صياغة وتنفيذ إســـتراتيجية متكاملة لإدارة قطاع الطاقة ومصادرها لا سيما الغاز الطبيعى، وهو ما قطعت فيه مصر شوطاً كبيراً حتى الآن.

2 - المضى قدمـــاً فى تعيين الحدود البحريـــة مع اليونـــان والإسراع فى بدء عمليات البحث والاستكشاف.

3 - الاهتمام بسرعة تسوية المنازعات القضائيـــة، وقضايـــا التحكيم الدولى مع الشركات العاملـــة فى مجال البحث والتنقيب عن الغاز الطبيعى.

4 - تعزيـــز موقع مـــصر كمركز إقليمى للطاقة، من خـــلال الإسراع فى تنفيذ خط الأنابيب البحـــرى الذى تم الاتفاق عليه مع قبرص، لنقل الغاز من حقل أفروديت القـــبرصى إلى محطات التسييل المصرية بهدف تسييله وإعادة تصديره إلى أوروبا عبر الموانئ المصرية.

5 - إجراء دراســـات حول جدوى تأسيس شركات وطنية تعمل فى مجال البحث والاستكشاف والتنقيب عن النفط والغاز الطبيعى أو بالشراكة مع القطاع الخاص تكون لمـــصر الحصة الأكبر فى أسهمها، خاصة فى ضوء تزايد اكتشافات مصـــادر الطاقة فى مـــصر والتى تقدر باحتياطات كبيرة وتحتاج إلى استثمارات ضخمة، أخذاً فى الاعتبار أهمية الاستفادة من الخبرات الحالية للشركاء الإقليميين والدوليين، فى نقل التكنولوجيا، وتوفير العملة الصعبة.

6 - اعتمـــاد منهج «الطاقة كمدخل لإقرار السلام والاســـتقرار فى المنطقة»، وهو ما يُعظم مـــن دور مصر الإقليمى ويخلق محاور جديدة للتعاون، ويتيح قدرة أكبر على المناورة.

الذكاء الأصطناعى

يشـــهد العالم حالياً موجة كبيرة من التطور التكنولوجى طالت شتى مناحى الحياة ولاسيما مجال الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، وهو ما يحتم علينا تغيير الكثير من المفاهيم التقليدية المعمـــول بها والتعاطى مع هذا التطور بقدرٍ من المرونة والسرعة. فى ظل هذه التغيرات الهائلة التى طرأت على العالم المعاصر، ظهرت مصطلحـــات جديدة تنبئ بالدخول فى عصرٍ جديد من التطور التكنولوجى الذى يتخطى كل حدود الخيال والابتكار التى عرفها العالم مسبقاً.

ملحق دبلوماسى ملك القصراوي

malak.elkasrawy@gmail.com

. يأتى على رأس هـــذه المتغيرات ما يعرف باســـم الذكاء الاصطناعى، وهو مصطلح علمى ظهر خلال العقد الأخير كنتيجة لتطـــور التطبيقات والماكينات التى تقوم بمهام كانت تتطلب فى الماضى إدخالات بشرية مثل التواصل مع العملاء أو ممارسة لعبة الشـــطرنج أو القيادة الذاتية. يعنى ذلك أن العالم على مشارف عهد جديد يمكن فيه الإنســـان الآلى أن يقوم بعمليات معقدة بدلاً من الإنسان. بناءً على ما سبق، تقوم الشركات المختلفة بضخ استثمارات هائلة فى مجال الذكاء الاصطناعى بهدف إنتاج آلات وتطبيقات يمكنها أن تحل محل الموظفين وذلك من أجل خفض تكلفة الإنتاج وزيادة الربح، وهو مـــا يفتح الباب أمـــام العديد من المخاوف والتســـاؤلات. بالرغم من قدرة أجهزة وتطبيقات الـــذكاء الاصطناعى على تحســـين الإنتاجية، ورفع الكفاءة، وتقليل معدل الخطـــأ البشرى، إلا أنها تثـــير مجموعة من القضايا الشـــائكة مثل الملكية الفكرية ومســـتقبل العمل والوظائف البشرية. إن استبدال الإنسان البشرى بالإنســـان الآلى يجعله بطبيعة الأمر كياناً مســـتقلاً تصدر عنه أعمال ومنتجات فنيـــة وأدبية وصناعية، ومن الممكن أن تصدر عنه أخطاء أيضاً، كما أنه يجعل الطلب على الإنســـان البشرى فى الوظائف المختلفة أقل بكثير، وهو ما يهدد مستقبل العمل والتوظيف برمته.

بالنظر إلى ما ســـبق، وُجد أنه من الـــضرورى أن يتم التطـــرق إلى هذا الموضوع من منظـــور القانون الدولى حيـــث يتوجب إعادة النظـــر فى كيفية تعامـــل القوانين المحليـــة والدولية مع هذه المتغـــيرات العالمية فى مجال الذكاء الاصطناعى. بالإضافـــة إلى ذلك، يجب تضافر الجهود الدولية للخروج بمفاهيم قانونية جديدة للتعامل مع الدور الجديد والمتزايد الذى يلعبه الإنسان الآلى فى العالم المعاصر ويلعب الذكاء الاصطناعى دوراً كبيراً فى القانون الدولى ولاسيما فى مجالى الملكية الفكرية وسوق العمل.

فى الواقع، ينقسم الخبراء اليوم حول تســـجيل براءات الاختراع الناتجة عن الذكاء الاصطناعى وإعطاء آلات الذكاء الاصطناعى حقوق المؤلف عن المصنفات الفنية التى تنتج مـــن قِبَلها. حاليًا، لا تحمـــى القوانين والتشريعات ســـوى الأعمال والاختراعات البشرية ولا تحمى الـــذكاء الاصطناعى حيث لا يُعترف بها على أنها أعمال إبداعيـــة أو اختراعات حقيقية، ولكن يتوقع أن يتم تغيير تلك التشريعات لمواكبـــة واحتواء التطورات التكنولوجية. أما فيمـــا يخص قانون العمل، فالحـــق فى العمل اللائق معترف به فى الإعلان العالمى لحقوق الإنســـان ويتضمن أحكامًا تتعامـــل ليس فقط مع الحق فى العمـــل، ولكن مع مختلف جوانب العمل اللائق، بما فى ذلك الحماية من البطالة. ويـــرى الخبراء أنه فى ظل استبدال الإنســـان بالآلة فى سوق العمل واختفاء الوظائف سيتحول دور منظمة العمـــل الدولية إلى دور رقابى يشـــمل برمجـــة التكنولوجيـــا والخوارزميات لاحترام أســـس المســـاواة وإصلاح أى انحياز كامن فى التكنولوجيا.

لمواجهة هذه التغيرات، يقترح بعض الخبراء تطبيق سياسة الدخل الأساسى الشامل وهو عبارة عن مبلغ ثابت يكفى متطلبات الحياة توفـــره الدولة لجميع مواطنيها بغض النظـــر عن الدخل أو المركز الوظيفى لضمان توفير حد أدنى من الضمان الاجتماعى للجميع وهو ما يتسق مع مبادئ منظمة العمل الدولية.

ويقـــترح أن تصبـــح التشريعات الخاصة بـــالذكاء الاصطناعى أولوية عاجلـــة للحكومة المصريـــة للتوصل للقواعد القانونية الســـليمة التى تنظم الذكاء الاصطناعى وتضمن استخدامه بطريقة مسئولة وآمنة. كما يرى أن تأخذ مصر مبادرة لتطوير الذكاء الاصطناعى وتشجيع الأبحاث فى هذا المجال لمواكبة التطور التكنولوجـــى وحماية المواطن من تبعيات تدخل الذكاء الاصطناعى فى سوق العمل ودراسة كيفية المنافسة فى الأسواق العالمية مستقبلاً فى ظل التطور التكنولوجـــي؛ كما يجـــب الوصول الى إطار لحماية الدولة من معدلات البطالة المرتفعة حال اســـتبدال البشر بالآلات الذكية.

وأخـــيراً، يجـــب أن تهتـــم وزارة الخارجيـــة المصرية أيضاً بتأهيل كوادر شـــابة متخصصـــة فنيـــاً وقانونياً فى موضوعات الـــذكاء الاصطناعى، حيث ســـوف يزداد طرح تلك الموضوعات فى المحافل الدولية.

قراءات ليلية:

خيال الظل

هو فن الدمى والعرائس المرتبط بفن التشـــكيل والنحت حيث يظهر الطيف الظلى للعرائس وتحركاتهم من وراء ســـتار. وفى تعارض هذه العرائس بين الحقيقة والخيال صارت هذه الأنواع من التمثيليات موضعاً للترفيه تسامح فيه فقهاء الإسلام.

ومن المرجح أن العرب عرفوا خيال الظل عن طريق شرق آســـيا وجنوبها الشرقـــى. ومن الثابـــت علمياً أن مصر عرفته فى القرن الثالـــث عشر الميلادى وظل شـــائعاً بها وإن تأثر بعض الشئ بفن القره جوز التركى أو ما أطلق عليه العامة (الأراجـــوز) الذى تأثر هو الآخر بالفن المصرى.

وتعد عرائس خيـــال الظل محاكاة صريحة للشخوص الإنســـانية، وكانت تصنع عادة من جلد الجمل بعد أن يدبغ ويرقق إلى أن يصير قشرة شفافة تصبغ بالألوان.

ولم يفت الفقهاء أن يناقشوا شرعية هذه العرائس مناقشـــات احتدمت ثم انتهـــوا فيها إلى قرار حاســـم وهو أنه مـــا دام فى كل عروس ثقـــب تعلق منه بخيط، وما دام هذا الثقب نافذاً بطريقة يســـتحيل بمثيل له فى الكيان الإنسانى الحى، فلن تنشأ عن ذلك مقارنة بين هذا العمل وقدرة الله عز وجل على الخلق.

ونجح بعض الفقهـــاء مثل المفكر الأندلسى محى الدين بن عربى فى تطويع خيال الظل لمبادئ الأخلاق والشرع بعد

سفير أشرف عقل

مجون كان يجتذب الناس. فخيال الظل دعوة إلى تأمل القدرة الإلهية، كما تبهر العرائس مشـــاهديها بقدرة اللاعب على تحريكهـــا، فالحياة البشرية إنما تجرى بمشـــيئة القدرة الإلهيـــة الكامنة وراء ظلالها، كما تتراقص الظلال والخيالات إثر تحريك العرائس بالخيوط والحبال.

وهنا تكمن المفارقة، إذ أن نصوص هذه المسرحيات كانت مشحونة بكل ما هو فاحش، ومن ثمّ فإن مثل هذا الرأى يعبر عن وجهة نظر الفلاسفة أكثر مما يعكس براعة حججهم وقوة إقناعهم.

وبالنسبة لمصر، فقد كان خيال الظل من أهم وسائل الترفيه فى عصر سلطنة المماليك (١٢٥٠ - ١٥١٧م) وكان عبارة عن عرض بالعرائـــس المربوطة بحبال فى طرفها عـــصى يحركها رجل محترف يسمى (المخايلى) من وراء ستارة بيضاء مشـــدودة ومســـلط عليها نور لمبة من الخلف، وكان الناس يشـــاهدون خيال العرائس وهى تتحرك.

كما كانت تمثيلياته تعبر عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياســـية والتاريخية بأســـلوب كوميدى بسيط. وأشهر كاتب لتلك التمثيليات كان (ابن دانيـــال) وهو ممن هربـــوا وقت غزو المغول لبغداد وجـــاء من الموصل لمصر عام ١٢٦٧م فى عهد السلطان بيبرس.

وقد أعجـــب العثمانيون بفن خيال الظل فنقلـــوا العديد مـــن فنانيه من القاهرة إلى اســـتانبول لإقامة عروضهم هناك، لكن العروض اســـتمرت لفترة طويلة فى العالـــم العربى وحتى بدايات القرن العشريـــن، وارتبطت بفن خيال الظل فى مصر خـــلال القرنين ١٩ و٢٠ أســـماء مثل حسن القشـــاش والشيخ سعود والشيخ على النحلة.

ناس فى الظل

يحيى حقى

إن عملاً أدبيًا بهذا العنوان، لمجموعة قصصية تحمل فى طياتها أبطالاً لم يلتفت إليهم أحد، مروا مرور الكرام ولم يتذمـــروا، مثل هذا العمل لابد وأن يكتبه كاتب مرهف الحس مثل يحيى حقى أو أنطوان تشيكوف، الذى عاش بين أناس فقراء ومجهولين وملأ بهم صفحات قصصه القصيرة أو رواياته.

سوسن رحمى

إن هـــذا العمل الأدبـــى مجموعة من اللقطات التى يقدمها الكاتب بحسه المرهف وهو يختفـــى وراء الكاميرا، وكأنه أراد أن يعوض هؤلاء الأفراد عن النسيان والتجاهل الذى عاشوا بداخله فغلف حياتهم.

إن يحيى حقى يفكر دائمًا فى الآخرين وهذا مـــا يفسر التفاتـــه دائمًا إلى كل من يعيشون فى الظل. إنهم أناس يمرون مرور الكرام بجانب الآخرين فـــلا يلتفت إليهم أحـــد، وكأن يحيى حقى أراد أن يعوضهم عن التجاهل الذى يعيشون فيه. ولذا كانت يوميات يحيى حقـــى أو ذكرياته مختلفة عن الســـير الذاتية التـــى تعرفنا عليها فى عالم الأدب، مثل: «الأيام» لطه حســـين أو «اعترافات» جان جاك روسو الذى أراد أن تكون اعترافاته دفاعاً وتبريراً لأهم المواقف الخاصة بحياته.

فى قصـــة «الكومبـــارس» قدم يحيى حقى هذا الفنان الذى يقف، هو وزملاؤه، وراء الأبطال. إنه يتابع أداءه وراء الفنانين المشـــهورين فيقول «كم يقاسى منه كعب حذائـــه، إنه هو الـــشىء الوحيد منه الذى يريه ســـعيد الدءوب ووجه مستدير كأنه الشمس». لقد مزج الوصف الحسى بوصف الملامح، فهو يقول وهو يتكلم عن وظيفته: «إذا غاب الباقى غاب هو ولو كان حاضرًا (...) لا هوية له، بل حتى لا اســـم له (...) كل هذا يحدث وهو واقف فى الظل».

إن هـــذا الوصف التأثـــيرى، إن كان يبرهن عـــلى شىء فهو يؤكـــد، إلى جانب المهارة الفنية، أن هذا المبدع مرهف الحس، فنان يتميز بإنسانية خلاقة وهو يسير بين الناس فيشفق عليهم وهو يراقبهم.

إن «نـــاس فى الظل» حكايات وتأملات من السيرة الذاتية.

يقول يحيى حقى فى تقديمه لهذا العمل «هذا الكتاب فى انتباه فنان للذين تراجعوا عن الأضـــواء» ويقول الناقد صبرى حافظ وهو يتكلم عن يحيى حقى ويبين اهتمامه المتزايد بأسرار اللغتين العامية والفصحى: «فى الكتاب كنوز من طـــراز فريد: يخدم النثر العربى ويحتفى باللغة العربية». إن اللوحات التى قدمها فى وصفه لنســـاء «فى الظل» وفى «رشح» لدليل رائع لهذا الرأى. فهو يرسم لوحات كاملة التفاصيل للنساء الطوافات، بائعات متجولات وبعض اللائى يترددن عـــلى بيت العائلـــة، حتى القطة اللصة، لم تفلت مـــن وصفه الدقيق وهو يعود لذكريات الطفولة: «قطة غبراء اللون بطنها مشموط، عجوز ولكنها ولود كالبنت الشابة (...) هى معروفة لدينا أنها لصة، حرامية من الدرجـــة الأولى، إنها لا تغافلك فتخطف قطعة من يدك، بـــل أحيانًا من الطبق وتجرى بهـــا كالرهوان، بل لها يد تشبه، إذا مدتها، يد ملاكم يمتحن خصمه».

ثم يســـتكمل صبرى حافـــظ، وهو يســـتمتع مثلنا بهذا العمل الرائع «تحس وأنت تقرأه بأنـــك أمام ضرب من ضروب الإعجاز فى اللغـــة والخبرة والملاحظة (...) ومـــن خلالها قدم لنا الفنـــان عالماً كاملاً يعيش فى الظل.

هكـــذا بعـــث يحيى حقـــى فى هذه الشـــخوص الحياة، فأخرجهم من الظل فامتـــلأوا بالحياة وصعـــدوا إلى صفوف الأبطال.

فى الصفحات التى تحمل عنوان «كيف كان يعيـــش الناس» يظهر لنـــا، الكاتب، بوضوح هدفه من كتابة هذا العمل «ناس فى الظل»، وقد أراد أن يســـلط الأضواء على بعـــض المواقف التى ظلـــت مبهمة لدينا «شراء أوراق اليانصيب» فقدم من خلالها قصة بســـيطة حب الناس للمقامرة، وهم يتحايلون على أنفسهم، بادعاء فعل الخير. «فورق يانصيب مغلف يعلوه أوراق تحمل أســـماء جمعيات خيرية، فهـــا هى قصة الســـيدة التى تنتظر بائع يانصيب فتقول لابنها وهى ترســـله لـــشراء الورقة «انزل اشترى ورقة الجمعية الخيرية الإسلامية، إياك تشترى ورقة غيرها». ثم تضيف «إذا لم أكســـب ذهب القرش عـــلى الأقل لعمل صالح». ثم يضيـــف الكاتب فيقول: «هذا النفاق اللذيذ».

إن هذا العمل الأدبى يجمع فى تصنيفه بين فن القصة القصيرة وكتاب «الطبائع» للكاتب الفرنسى لابروبير «La Bruyère» فى القرن الســـابع عشر، والذى استعرض الكاتـــب من خلاله بانوراما للشـــخوص المختلفة بطبائعها الغريبة، فى أحيان كثيرة.

إن هذا النوع من الأدب قد قدمه العرب فى عصر ازدهار حضارتهم، التى شاركت فى حـــدوث النهضة الأوروبيـــة فى القرن السادس عشر.

تتلاحق اللوحات، التـــى تضم أنماطاً مختلفة عن الناس.. ناس يغلفهم الثراء فى انضمامهم لمنظومة الحياة، فتدور الحلقات التى تضمهم وهم لا يشعرون أنهم يقدمون هذا التنوع الثرى عن البشر.

يسير المطرب داخل الكورس إلى جانب الكومبارس والقطـــة المتطفلة التى تغزو مائدة الطعام، وبائع اليانصيب والعجوز تنتظره «والملاية اللف» والمرأة الشـــعبية، خفيفة الظل التى تتبختر بداخلها.

لوحات ثرية متنوعة غزيرة فى المعنى، ثرية فى تنوع ألوانهـــا والفنان الذى يلقى عليها الضوء يقف هو نفســـه فى الظل لأنه يحيى حقى.

أهمية الثقافة فى أدب الناشئة 4/3

االثقافة، بمعناهـــا التكاملى، عنصر مهم فى جميع العصور والحقب، والزمان والمكان، نحن، جميعاً، فى حاجة إلى الثقافة. وتعوزنا معرفة الوسيلة، أو الأداة التى نقدّم بها الثقافة للناشئة بيسر وسهولة وجاذبية وتشويق.
ونحن الآن فى عصر القصة والرواية – حقًا– كما يشهد واقعها، وكما تُجمع الدراسات والبحوث .

د. يوسف نوفل
شاعر وناقد
أستاذ النقد الادبى بجامعة عين شمس
youssfnofal@yahoo.com

ولكـــنّ الأهم مـــن التّســـليم بأننا فى عصر القصـــة والروايـــة، التنبّه إلى وسائل مســـاعدة عديدة متمثلة فى تعدد وســـائط بثّ الرواية، ونشرْها، وذيوعها وإذاعتها، الأمر الذى جعل مناخ التلقى أكثر اتساعاً ورحابة من ذى قبْل؛ ففيما مضى من الزمان قد كان النّشر المطبوع وسيطًا وحيدًا احتلّ مكان السّارد الرّاوى الشّفاهى فى زمن أكثر سبقاً وأبعد غوراً، وقد انتشرت الرواية وشاعت على أجنحة هذا الوســـيط، النشر الطباعى، فى إطار (صناعة الكتـــاب) فى العصر الحديث، لا ســـيما على مســـتوى النشر بالمفهوم العربى، حيث يضاف للمؤلف شـــخص آخر مشـــارك هو المحرر The Editor، الذى قد يضيف شـــخصية إلى الرواية، أو يعمّق مدى شـــخصيّة أخرى. بل قد يوجد الوكيل الأدبـــى للنشر والترجمة، وقـــد تعاون ذلك الوكيـــل مع كثير من كتّابنا العرب كيوسف المحيميد، وإلياس خورى، وهشام مطر وغيرهم.

تـــمّ ذلك فى دور شـــهيرة مثل: دار بنغويـــن، ودار بلومزبرى، ودار راندوم هاوس، ودار آكت سود الفرنسية، أو دار لينوس الألمانيـــة، ودار أنكوربوكس، إلى جانب تطور وسائل النشر وتقْنياته؛ إذْ تنوعت الوسائط بين المدوّنات والمنتديات والمواقع الإلكترونية الشخصية، والمجلات الإلكترونية، ورسوم الأطفال، بما فى ذلك من نصٍّ تفاعلى بين المرســـل والمتلقى، صار سمة واضحة لأدب جديد عبْر تلك الوسائط يســـمّى تسميات عديدة منها: «الأدب التفاعلى، أو الرقمي».

ونكـــرر: نحن، جميعـــاً، فى حاجة إلى الثقافة، فما بالك بناشـــئة كل جيل وفتيانه؟ أليسوا أشـــد احتياجاً منا إلى الثقافة؟

لقـــد تنوعـــتْ صورة تلقـــى الفن القصصى بســـبب من وجـــود ما يمكن تســـميته (مالتيميديا الروايـــة)، وما يمكن وصْفـــه بالروايات المســـموعة، والمرئية، واتّساع مجالات النشر الرقمى أو الإلكترونى، والوســـائط الإلكترونية،

منذ بدأت ظاهرة الكتاب المســـموع منذ منتصف القرن الماضى.

ولعل أخطـــر وســـائط الرواية فى عصرنا: المسلسل الإذاعى، على مستوى السمع، والتليفزيونى وتمثيلية السهرة، والفيلـــم الســـينمائى، والإنترنت، على مستوى الســـمع والبصر معاً، وبخاصة ما يحمل عنـــوان (حكاية، أو قصة، أو سرد ...)، ويمكن الوقوف على حصر لها فى (الببليوجرافيـــا الوطنية، دار الكتب، مصر1998، ص603 – 607) من مثل: قصة إبليس، وقصـــة الطفل المهاجر، قصـــة العرش الطائـــر، وقصة العصا المسْحورة، وقصة ثعبان يحرس الكعبة إلى آخر المجموعـــة التى صدرت لحمزة النشرتى، وكلها صادرة ســـنة 1993، ومن قبل هؤلاء كانت كتابات عبدالحميد جودة الســـحار، وأمثالـــه ممن يطول حصرهم.

من هذا المنطلق تتحدد مجالات ثقافة الفتـــى، إذ لا تنفصل ثقافة الصغير عن ثقافة الكبير فى الأهداف الكبرى، كما أن ما يوجه للكبير من مواد ثقافية يؤثّر فى الفتيان، كما عبّر أحمد شوقى (1870 – 1933)، بطريق مباشر أو غير مباشر؛ مصداقًا لقوله:

ربّوا على الإنصاف فتْيان الحمى
تجدوهمو كهْف الحقوق كهولا
فهو الذى يبْنى الطّباع قويمة
وهو الذى يبنى النفوس عدولا
وإذا المعلم لم يكن عدْلا مشي
روح العدالة فى الشباب ضئيلا
وإذا أصيب القوم فى أخلاقهم
فأقمْ عليهم مأتمًا وعويلا

الإحساس بالقرب من الله

المؤمن الذى يذكر الله كثيراً ويستحضره فى جميع أحواله، لابد وأن يشعر بالقرب من الله سبحانه لأنه كلما ذكر الله ذكره الله «فاذكرونى أذكركم» «البقرة:152» فكان ممن أشـــاد بهم رب العزة فى قوله تعالى «والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً» «الأحزاب:35».

سفير د. فتحى مرعي

ذكر اللـــه والمداومة عـــلى ذكره، فى أفراحنا وفى أحزاننا، فى يسرنا وفى عسرنا، فى صحتنا وفى مرضنا، شىء يجعل المؤمن راضياً عن نفسه، راضياً عن قدره، راضياً عمن حوله.. بعيداً عن القلق والهواجس مما قد يأتى به الغد، بعيداً عن الجزع إن أصابه مكروه.. فإحساســـه بالقرب من ربه، وأنه وليه وناصره وحافظه، يجعله يحس بالاطمئنـــان.. كيف لا والله حاميه وكافيه «ومن يتوكل على الله فهو حسبه» «الطلاق:3».

والثقة فى الله عز وجل والإحســـاس بالقرب منه، هى التى جعلت يعقوب عليه الســـلام لا ييأس من عودة يوسف إليه، برغم ضآلة هذا الحلم ظاهرياً، فالمفروض أن يوســـف قد قضى نحبه، منذ أن عاد إخوته بقميصه الملوث بالدم، ورد يعقوب على بنيه وهم يعاتبونه على اســـتمراره فى ذكر يوسف «قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين. قال إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله وأعلم من الله مـــا لا تعلمون. يا بنـــىّ اذهبوا فتحسســـوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون» «يوسف 85: 87» وحتى تكون حرضاً أى مشرفاً على الهلاك، وإنما أشـــكو بثى وحزنى إلى اللـــه أى أتوجه بشكواى إلى الله، لأنى أعلم من رحمة الله بعباده ما لا تعلمون، ولا تيأسوا من روح الله أى من فرجه وإحسانه، ولم يخيب الله ظن يعقوب الذى ذهب الحزن ببصره، إذ ما لبث أن شم رائحة قميص يوسف عن بعد «اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيراً وائتونى بأهلكم أجمعين، ولما فصلت العير قال أبوهم إنى لأجد ريح يوســـف لولا أن تفندون، قالوا تالله إنك لفى ضلالك القديم. فلما أن جاء البشـــير ألقـــاه على وجهه فارتد بصـــيراً قال ألم أقل لكم إنى أعلم مـــن الله ما لا تعلمون «يوسف 93: 96».

ويذكرنا سبحانه بأنه فى هذه القصص عبرة وعظة للمؤمنـــين ذوى الألباب أى العقول والأفهـــام «لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب مـــا كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذى بـــين يديه وتفصيل كل شىء وهـــدى ورحمة لقـــوم يؤمنون «يوسف:111».

وخذوا منى هذا الدعاء، بهذه المناسبة، والله من وراء القصد:

يا رب مســـنى الضر وأنـــت أرحم الراحمين، وأنت أقدر القادرين، فأنت رب العالمين، الذى يقول للشىء كن فيكون..

أتوســـل إليك أن تكشف الضر عنى، برحمتك وقدرتك.. يا رب لا تخلف ظنى ولا تخيب رجائى.. إن ربى سميع قريب مجيب.

وصل اللهم وســـلم وبارك على محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.